المنهج الدعوي القرآني في التعامل مع الأمم السابقة

دراسة تحليلية

إسماعيل مُحَمَّد عبد القادر دوكوري

دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن

كلية العلوم الإسلامية

١٤٣٧هـ/٢٠١٦م

المنهج الدعوي القرآني في التعامل مع الأمم السابقة

إسماعيل مُحَمَّد عبد القادر دوكوري

(PTF141BB390)

بحث مقدم للحصول على درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن

كلية العلوم الإسلامية

تحت إشراف :

الأستاذ المشارك الدكتور/ السيد سيد أحمد مُحَمَّد نجم

جمادى الأولى ١٤٣٧هـ/فبراير ٢٠١٦م

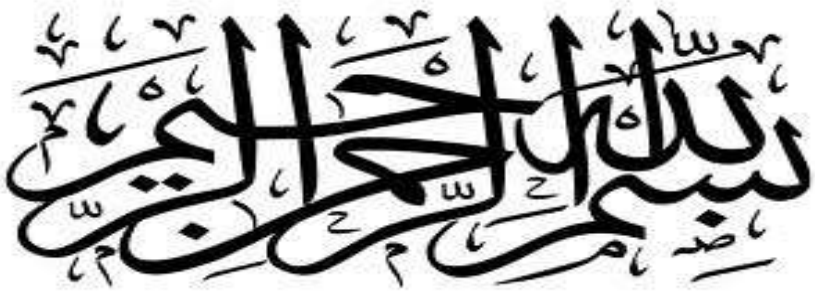

الاعتماد

تم اعتماد بحث الطّالب: **إسماعيل مُحَمَّد عبدالقادر دوكوري**

من الآتية أسماؤهم:

The thesis of : **DOUCOURE ISMAILA** . has been approved By the following:

المشرف

الاسم: الأستاذ المشارك الدكتور السيد سيد أحمد مُحَمَّد نجم

التوقيع:

المشرف المساعد (إن وجد)

الاسم :.....

التوقيع:.....

المشرف على التعديلات

الاسم : الأستاذ المساعد الدكتور المتولي علي الشحات

التوقيع:

رئيس القسم

الاسم: الأستاذ المشارك الدكتور السيد سيد أحمد مُحَمَّد نجم

التوقيع:

عميد الكلية

الاسم: الأستاذ المشارك الدكتور السيد سيد أحمد مُحَمَّد نجم

التوقيع:

عمادة الدراسات العليا

الاسم : الأستاذ المشارك الدكتور أحمد علي عبد العاطي

التوقيع:

(صفحة التحكيم)

عضو لجنة المناقشة	الاسم	التوقيع
رئيس الجلسة	الأستاذ المشارك الدكتور منصور مُحَمَّد أحمد يوسف	
المناقش الخارجي الأوّل	الأستاذ الدكتور زكي مُحَمَّد أبو سريع	
المناقش الخارجي الثاني	الأستاذ الدكتور عبدالفتاح مُحَمَّد أحمد خضر	
المناقش الداخلي الأوّل	الأستاذ المساعد الدكتور المتولي علي الشحات	
المناقش الداخلي الثاني	.....	.....
ممثل الكلية	الأستاذ المساعد الدكتور خالد نبوي سليمان حجاج	

إقرار

أقر بأن هذا البحث من عملي وجدي إلا ما كان من المراجع التي أشرت إليها، وأقر بأن هذا البحث بكامله ما قدم من قبل، ولم يقدم للحصول على أي درجه علمية من أي جامعة، أو مؤسسة تربوية أو تعليمية أخرى.

اسم الطالب: **إسماعيل مُحَمَّد عبد القادر دوكوري**

التوقيع:

التاريخ:.....

DECLARATION

I acknowledge that this research is my own work except the resources mentioned in the references and I acknowledge that this research was not presented as a whole before to obtain any degree from any university ،educational or other institutions .

Name of student :**DOUCOURE ISMAILA**

Signature

Date ……..

حقوق الطبع

جامعة المدينة العالمية

إقرار بحقوق الطبع وإثبات مشروعية الأبحاث العلمية غير المنشورة

حقوق الطبع ٢٠١٦ © محفوظة

إسماعيل مُحَمَّد عبد القادر دوكوري

المنهج الدعوي القرآني في التعامل مع الأمم السابقة

لا يجوز إعادة إنتاج أو استخدام هذا البحث غير المنشور في أيّ شكل أو صورة من دون إذن مكتوب موقع من الباحث إلاّ في الحالات الآتية:

١- يمكن الاقتباس من هذا البحث بشرط العزو إليه .

٢- يحق لجامعة المدينة العالمية ماليزيا الاستفادة من هذا البحث بمختلف الطرق وذلك لأغراض تعليميّة، لا لأغراض تجاريّة أو تسوقيّة.

٣- يحق لمكتبة جامعة المدينة العالميّة بماليزيا استخراج نسخ من هذا البحث غير المنشور؛ إذا طلبتها مكتبات الجامعات، ومراكز البحوث الأخرى.

أكدّ هذا الإقرار :

الاسم : إسماعيل مُحَمَّد عبد القادر دوكوري

التوقيع:

التاريخ:.....

الشكر

أحمد الله وأشكره على ما يسر ووفق لإتمام البحث، فله الحمد كله، وله الشكر كله، وإليه يرجع الأمر كله، والخير كله بيده، وأسأله المزيد من فضله.

ثم أثني بالشكر الجزيل والعرفان الجميل لكل من أسهم في تعليمي بشكل عام، وفي هذا البحث بشكل خاص، وفي مقدمتهم والدي وشيخي المرحوم الشيخ محمد عبد القادر دوكورى، ووالدتي الحنونة، اللذان ربياني صغيرا، وقاما علي خير قيام، وأولياني كل اهتمام، لأسلك سبيل العلم والعلماء، فجزاهما الله خير الجزاء، وغفر الله للوالد ورحمه وأسكنه فسيح جناته، وأطال بقاء الوالدة، وألبسها لباس الصحة والعافية.

وأثلث بالشكر لشيخي وأستاذي الفاضلين المشرفين على هذه الرسالة، المشرف الأول، فضيلة الدكتور سعيد دويكات، الذي كان له اليد العليا في إعداد الخطة، والمشرف الثاني، فضيلة الدكتور السيد سيد أحمد نجم، فقد منحني من وقته الثمين ما كان له الأثر الملموس في هذا البحث، فجزاهما الله خيرا وبارك فيهما.

ولا أنسى في هذا المقام جامعة المدينة العالمية، التي حققت لي أمنيتي، وحولت أحلامي إلى حقائق، بإتاحتي هذه الفرصة الثمينة، التي طالما انتظرتها.

كما لا يمكنني نسيان مؤسستين عريقتين، كان لهما الفضل -بعد الله- في حياتي العلمية والعملية: أولاهما: مدرسة دار القرآن والحديث، بمدينة طوبى، بجمهورية مالي، فجزى الله مؤسسيها والقائمين عليها خير الجزاء، وثانيتهما: تلك الجامعة الميمونة، الجامعة الإسلامية، بالمدينة النبوية، فبارك الله فيها، وأجزل مثوبة القائمين عليها، وحفظ الله المملكة العربية السعودية، من كيد الكائدين ومكر الماكرين، وأدام عليها وعلى جميع البلدان الإسلامية الأمن والرخاء والاستقرار، والشكر موصول لكل من قدم يد العون في إخراج هذا البحث إلى حيز الوجود، وخاصة الأخ أحمد توري ممول المشروع، والأخ محمد كونتا، فبارك الله في الجميع، وشكر سعيهم، وجعل ما قدموا في موازين حسناتهم، ونفع بهذا البحث الأمة الإسلامية، وغفر لي ما سلف وكان من أخطاء، وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وأزواجه وذرياته.

ملخص

هذا البحث يدور حول: (المنهج الدعوي القرآني في التعامل مع الأمم السابقة)، ويهدف إلى إبراز الدور الريادي والتاريخي الذي قام به القرآن الكريم في التعامل مع الأمم السابقة في دعوتهم، من خلال الوصول إلى تعريف الدعوة، ومحورها وعناصرها وأساليبها وأهدافها، والتعرف على الخطاب الإعلامي ومحوره وأنواعه وأهدافه، واستخراج الأساليب والمناهج التي عامل الله بها الأمم، والتعرف على التمييز القرآني للأمم في توجيه الخطابات، والتعرف على حيثياته، وإرادة الوصول إلى جمع هذه العناصر وبيانها والاستفادة منها في حياتنا المعاصرة بعد تصنيفها ودراستها، وقد استخدم فيها الباحث المنهج التاريخي، الوصفي، والتحليلي لإجراء الدراسة، وقد جاء فيه: أن محور الدعوة الذي تركزت دعوات الرسل والأنبياء قاطبة عليه شيء واحد، هو إفراد الله بالعبادة، ونبذ الشرك والخرافة، وأن التمييز القرآني للأمم تضمن أربعة أنواع: التركيز على الأمم جملة، التركيز على بعض الأمم، التركيز على رؤساء الأمم، التركيز على بعض أفراد الأمم.

Abstract

This study turns around the (Qur'anic method in dealing with the fore nation) It aims at presenting the historical ,and progressive role played by the Holy Qur'an in dealing with the fore Nations in their calling, Through reaching to : the preaching (Da'wat), and its central, its elements, its method and its goals, and to Identify,. the informative address, its centers, its qualities, its aims, And apparents of Qur'nic dialogue in an organized and accurate form. And bring out the wisdom of the Qour'anic dialogue, and abstraction of styles and method, by which God dealt the fore nations, IT also intends to the identification on the Qur'anic classification for the nations in addressing the speeches, and identification on its wheresoever's , nd on trying to reach gathering the organs, and illustrate them, and beneficion from them, In our current life, after its classification and studying,The researcher used historical and descriptive and analytical method, in the research performance,the central of the calling on which the preaching of Messengers and prophets had focus on, is one thing: to unify God in worshipping, and rejecting the polytheism and superstition, The Qur'anic identification for the Nations, contained four qualities: The concentration on the nations globally, The concentration on some nations, The concentration on the chiefs of nations, The concentration on some member on the nations.

فهرس المحتويات

الموضوع **الصفحة**

صفحة العنوان.....ب

صفحة البسملة.....ج

الاعتماد .....د

التحكيم .....هـ

الإقرار.....و

DECLARATION.....ز

حقوق الطبع.....ح

شكر وتقدير.....ط

ملخص البحث.....ي

ABSTRACT.....ك

فهرس الموضوعات.....ل

المقدمة.....١

التمهيد: تعريف منهج القرآن:..... ... ٩

الباب الأول: الدعوة وما يتعلق بها:.....١٥

الفصل الأول: الدعوة:.....١٥

المبحث الأول: تعريف الدعوة لغة واصطلاحا:.....١٥

المبحث الثاني: محور الدعوة:.....١٨

المبحث الثالث: عناصر الدعوة: ٢٠

المبحث الرابع: أساليب الدعوة:.....٢٥

المبحث الخامس: أهداف الدعوة:.....٣٢

الفصل الثاني: الخطاب الإعلامي: ٤٠

المبحث الأول: تعريف الخطاب الإعلامي: ٤٠

المطلب الأول: تعريف الخطاب لغة واصطلاحا: ٤٠
المطلب الثاني: تعريف الإعلام لغة واصطلاحا: ٤١
المطلب الثالث: تعريف الخطاب الإعلامي باعتباره علما: ٤٣
المبحث الثاني: محور الخطاب الإعلامي: ٤٥
المبحث الثالث: أنواع الخطاب الإعلامي: ٤٧
المبحث الرابع: أهداف الخطاب الإعلامي: ٤٩
المبحث الخامس: علاقة تلك القضايا بالواقع المعاصر: ٥٠
الباب الثاني: الأمم وما يتعلق بها: ٥٢
الفصل الأول: تعريف الأمم: ٥٢
المبحث الأول: تعريف الأمم لغة: ٥٢
المبحث الثاني: تعريف الأمم اصطلاحا: ٥٤
الفصل الثاني: التمييز القرآني للأمم: ٥٥
المبحث الأول: ذكر القرآن للأمم في الجملة: ٥٦
المطلب الأول: ما يشترك فيه جميع الأمم: ٥٦
أولا: كون جميع الناس أمة واحدة على التوحيد: ٥٦
ثانيا: حكمة الله في اختلاف شرائع الأمم: ٥٩
ثالثا: حكمة الله في منع اقتداء الأمم بالكفار: ٦٢
رابعا: كون كل أمة لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت: ٦٣
خامسا: اتفاق الأمم على تكذيب الرسل: ٦٤
سادسا: تزيين عمل كل أمة لها، قدرا من الله تعالى: ٦٩
سابعا: قيام حجة الله على جميع الأمم بإرسال الرسل إليهم جميعا: ٧٢
ثامنا: اختصاص كل أمة من الأمم بمناسك: ٧٥
تاسعا: بعث الله شهيدا من كل أمة يوم القيامة: ٧٧
عاشرا: حشر فوج من كل أمة كافرة يوم القيامة للسؤال والتعذيب: ٨١

حادي عشر: كون كل أمة جاثية تدعى إلى كتابها يوم القيامة:.....٨٢
المطلب الثاني: ما يختص به هذه الأمة : ٨٣
أولا: وجوب توفر دعاة في كل مجتمع:..... ٨٣
ثانيا: وسطية هذه الأمة:.....٨٦
ثالثا: فضل هذه الأمة على سائر الأمم:.....٨٩
المبحث الثاني: التركيز على بعض الأمم: ٩٣
المطلب الأول: قوم نوح عليه السلام: ٩٣
المطلب الثاني: قوم هود عليه السلام: ٩٥
المطلب الثالث: قوم صالح عليه السلام: ٩٧
المطلب الرابع: قوم إبراهيم عليه السلام: ٩٩
المطلب الخامس: قوم لوط عليه السلام: ١٠١
المطلب السادس: قوم شعيب عليه السلام: ١٠٢
المطلب السابع: بنو إسرائيل:..... ١٠٥
المطلب الثامن: النصارى:..... ١٠٩
المطلب التاسع: قَوْمُ تُبَّعٍ: ١١١
المطلب العاشر: قريش:..... ١١٣
المبحث الثالث: التركيز على رؤساء الأمم: ١١٦
المطلب الأول: الرسل والأنبياء وذووهم:..... ١١٦
أولا: أبوا يوسف عليه السلام: ١١٦
ثانيا: إخوة يوسف عليه السلام: ١١٨
ثالثا: الأسباط:.....١٢٠
رابعا: الخضر عليه السلام:.....١٢١
خامسا: فتى موسى (يوشع بن نون عليه السلام):.....١٢٤
سادسا: لقمان الحكيم:.....١٢٦

سابعا: الرسل الثلاثة وأصحاب القرية:.....١٢٧
المطلب الثاني: الملوك والوزراء و ذووهم:.....١٢٩
أولا: النمروذ بن كنعان:.....١٢٩
ثانيا: ذو القرنين:.....١٣١
ثالثا: ملك مصر:.....١٣٥
رابعا: عزيز مصر:.....١٣٨
خامسا: فرعون:..... ١٣٩
سادسا: هامان:.....١٤١
سابعا: قارون:.....١٤٢
ثامنا:طالوت:.....١٤٥
تاسعا: جالوت:.....١٤٦
عاشرا: ملكة سبأ (بلقيس):.....١٤٧
المبحث الرابع: التركيز على بعض أفراد الأمم: ١٥١
المطلب الأول: أفراد عصر ما قبل النبي صلى الله عليه وسلم ١٥١
أولا: امرأة نوح عليه السلام:.....١٥١
ثانيا: امرأة لوط عليه السلام: ١٥٢
ثالثا: أبو إبراهيم عليه السلام (آزر): ١٥٣
رابعا: التسعة رهط ثمود: ١٥٤
خامسا: امرأة العزيز: ١٥٦
سادسا: شاهد يوسف عليه السلام: ١٥٨
سابعا: النسوة في مدينة مصر:..... ١٥٩
ثامنا: صاحبا يوسف في السجن:..... ١٦٠
تاسعا: أم موسى عليه السلام: ١٦٢
عاشرا: أخت موسى عليه السلام: ١٦٥

حادي عشر: الاسرائيلي والقبطيان: ١٦٦
ثاني عشر: ناصح موسى عليه السلام: ١٧٠
ثالث عشر: شيخ مدين وابنتاه: ١٧١
رابع عشر: أهل موسى عليه السلام: ١٧٤
خامس عشر: السامري: ١٧٥
سادس عشر: آسية بنت مزاحم (امرأة فرعون): ١٧٦
سابع عشر: سحرة فرعون: ١٨٨
ثامن عشر: مؤمن آل فرعون: ١٨٢
تاسع عشر: العفريت من الجن: ١٨٣
عشرون: الذي عنده علم من الكتاب: ١٨٤
حادي وعشرون: عمران (أبو مريم بنت عمران): ١٨٦
ثاني وعشرون: امرأة عمران: (أم مريم): ١٨٧
ثالث وعشرون: مريم بنت عمران: ١٨٨
رابع وعشرون: الملأ الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت: ١٩٠
خامس وعشرون: المار على قرية وهي خاوية على عروشها (عزير): ١٩٢
سادس والعشرون: أصحاب الكهف: ١٩٤
سابع وعشرون: صاحب الجنتين وأخوه: ١٩٨
ثامن وعشرون: صاحب يس: ٢٠١
تاسع وعشرون: أصحاب الجنة: ٢٠٣
المطلب الثاني: : ذكر المهاجرين والأنصار في الجملة: ٢٠٥
المطلب الثالث: أفراد الصحابة وأمهات المؤمنين: ٢٠٧
أولا: أبو بكر الصديق رضي الله عنه: ٢٠٧
ثانيا: أم المؤمنين (عائشة بنت أبي بكر الصديق التيمية رضي الله عنهما): ٢١١
ثالثا: أم المؤمنين (حفصة بنت عمر الفاروق رضي الله عنهما): ٢١٢

رابعا: زيد بن حارثة رضي الله عنه: ٢١٥
خامسا: الثلاثة الذين خلفوا:..... ٢١٨
أولهم: كعب بن مالك رضي الله عنه: ٢١٨
وثانيهم: مُرارةَ بن الربيع رضي الله عنه: ٢١٨
وثالثهم: هلال بن أمية رضي الله عنه:..... ٢١٨
سادسا: المرأة الواهبة نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم:..... ..... ٢٢٠
المطلب الرابع: أفراد المشركين والمنافقين:..... ٢٢١
أولا: أبو طالب (عم النبي صلى الله عليه وسلم):..... ٢٢١
ثانيا: أبو لهب (عم النبي صلى الله عليه وسلم) وزوجته أم جميل:..... ..... ٢٢٣
ثالثا: أبو جهل (الحكم بن هشام):..... ..... ٢٢٤
رابعا: العاص بن وائل السهمي:..... ..... ٢٢٧
خامسا: أبي بن خلف الجُمَحي:..... ..... ٢٢٩
سادسا: عقبة بن أبي معيط:..... ٢٣١
سابعا: النضر بن الحارث:..... ٢٣٣
ثامنا: الوليد بن المغيرة المخزومي:..... ٢٣٤
تاسعا: عبد الله بن أُبيّ بن سلول:..... ٢٣٨
الخاتمة..... ٢٤١
فهرس الآيات القرآنية..... ٢٤٧
فهرس الأحاديث النبوية..... ٢٦٥
فهرس الأعلام..... ٢٦٧
فهرس الأماكن والبلدان..... ٢٦٩
فهرس المصادر والمراجع..... **٢٧٠**

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[3].

أما بعد: فإن الله قد بعث أنبياءه بالهدى ودين الحق، وأوجب على كلّ أمة أن يتبعوا نبيهم فيما جاء به من الخير والفلاح، ولكن الناس انقسموا تجاه دعوة أنبيائهم إلى قسمين: قسم أسلموا وجوههم لله واتبعوا دينه الذي ارتضاه لهم، والآخر أبى واستكبر وكان من الكافرين؛ يعارِضون دعوة الأنبياء، ويردّونها، ويصدون الناس عنها، ويتواصَون فيما بينهم على ذلك، ويتوارثونه، ويتّبع فيه المتأخرُ منهم المتقدم[4].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) سورة الأحزاب، لآيات: ٧٠ – ٧١.

(٤) الرحيلي، **منهج القرآن في دعوة أهل الكتاب**، ط ١، ١.

وقد وفّى القرآن بالرد على كل مشاقّ لله ورسوله من الوثنيين والمنافقين والكتابيين وغيرهم، ونزل منجَّماً على حسب ذلك؛ وكذلك هو موفّ برد شبهة كل ملحدٍ إلى يوم القيامة[1].

ولذا كان من أبرز الأساليب الحكيمة والبليغة التي استعملها القرآن الكريم، في إقامة الأدلة على وحدانية الله تعالى، وعلى صدق الرسل الكرام -عليهم السلام-فيما يبلغون عن ربهم عز وجل أسلوب الحوار من أجل الوصول إلى الحق والرد على الباطل عن اقتناع عقلي، وارتياح نفسي، يجعل صاحبه يعيش حياته وهو ثابت على ما آمن به ثباتًا لا ينازعه ريب، ولا يخالطه شك[2].

وقد استعمل القرآن الكريم أقوى البراهين في حواره للوصول إلى معرفة الحق على أساس الحوار الإقناعي، وليس على أساس القهر والإكراه[3].

ولما كان من مستلزمات الحوار الاعتراف بالآخر وبحقه في الوجود وبحقه في التعبير عن رأيه وبحقه في الاختلاف مع الآخر، اهتم القرآن الكريم بهذا الجانب من الحوار اهتماماً كبيراً، وذلك لأن الطبيعة الإنسانية ميالة بطبعها وفطرتها إلى الحوار، أو الجدال كما يطلق عليه القرآن الكريم في وصفه للإنسان: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾[4].

غير أن أهل الحق قديماً وحديثاً لا يزالون يردّون على أهل الباطل باطلهم، ويفنّدون شبههم، ويكشفون عن زيفها، ويجتثّونها من أصولها؛ كل ذلك بعلم وبصيرة وعدل وهدى، ولهم فيه منهج واضح المعالم يترسّمونه، وطرائق بيّنة المسالك ينتهجونها[5].

ولكون العلم بتلك المناهج التي سلكها القرآن لردّ شبه أولي الضلال والفتنة سبباً للتمسّك بالأصول الصحيحة وتطبيقها، وعصمةً ونجاةً -بإذن الله- من الاغترار بالشبه والميل إليها، و-من ثم- لردّ الشُّبَه وبيان زيفها وكشف عوارها، فقد استعنتُ بالله واخترتُ أن يكون موضوع رسالتي لنيل

---

(1) الحكمي، **معارج القبول**، ط١، ١١١٣/٣.

(٢) الرحيلي، **منهج القرآن في دعوة أهل الكتاب**، ط ١، ٢.

(٣) المصدر السابق ، ٣ .

(4) سورة الكهف، الآية: ٥٤.

(٥) الشرقاوي، **الحوار القرآني في ضوء سورة الأنعام**، ط ١، ١_٢.

درجة العالمية العالية (الدكتوراه): العناية بدراسة الطرق والمناهج التي سلكها القرآن للتعامل مع الأمم السابقة، وجعلت عنوان الرسالة: المنهج الدعوي القرآني في التعامل مع الأمم السابقة (دراسة تحليلية).

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في تطبيق المنهج القرآني المثالي والرائع في التعامل مع الغير في العصر الراهن، والبحث الحثيث عن مشاكل مناهج الدعوة وحلولها حسب المنهج القرآني في الموضوع نفسه، إذ ما تزال الأمة بحاجة ملحة إلى ذلك المنهج الرباني الحكيم، وتطبيقه في الحياة اليومية المعاصرة.

أسئلة البحث:

١. ما هي الدعوة في اللغة والاصطلاح؟ وما محورها الذي ترتكز عليه؟ وما عناصرها وأركانها التي لا بد منها؟ وما أساليبها وطرقها الصحيحة التي تجب تأديتها بها؟ وما أهدافها وأغراضها ومقاصدها السامية وغايتها التي من أجلها أرسل الله الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام؟
٢. ما الخطاب الإعلامي في اللغة والاصطلاح ؟ وباعتباره علما؟ وما محوره الذي يرتكز عليه من أسس وقواعد وضوابط؟ وما أنواعه من حيث الباعث والدافع، والعرض والواقع؟ وما أهدافه وأغراضه التي يرميها؟
٣. كيف ميز القرآن الأمم في الخطابات بأساليب متعددة وطرق متنوعة ؟ وما أنواع هذا التمييز؟ وكيف كان كل نوع؟ وما الغرض من ذلك؟
٤. هل من الممكن الوصول إلى جمع هذه العناصر؟ والتعرف عليها؟ وبيانها والاستفادة منها بسهولة ويسر بعد تصنيفها ودراستها؟

أهداف البحث:

١. الوصول إلى تعريف الدعوة، ومحورها وعناصرها وأساليبها وأهدافها.
٢. التعرف على الخطاب الإعلامي ومحوره وأنواعه وأهدافه.
٣. الكشف عن التمييز القرآني للأمم في توجيه الخطابات، والتعرف على حيثياته.

٤. إرادة الوصول إلى جمع هذه العناصر وبيانها والاستفادة منها في حياتنا المعاصرة بعد تصنيفها ودراستها.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

١- المكانة التي يحظى بها دعوة الرسل في حياة الناس.

٢ - القيمة العلمية من الدراسات والتحليلات لمنهج تعامل القرآن مع الأمم السابقة.

٣ - في دراسة هذا الموضوع تدريبٌ وتمرين لكل من يطلع عليه، يكسبه قوة ومَلَكةً في الجدال ومخاصمة الأعداء بالتي هي أحسن.

٤- تعلقه بكتاب الله وتدبر آياته، وجمعها ومعرفة معانيها ومراميها ومقاصدها، وقد أمر الله تبارك وتعالى بتدبر القرآن حيث قال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[1].

٤-حاجة المسلمين إلى معرفة منهج القرآن الكريم في التعامل مع الأمم السابقة، والاستفادة من ذلك .

حدود البحث:

الآيات القرآنية التي تتحدث عن الأمم، وكيف برز المنهج الدعوي القرآني في تعامله مع الأمم السابقة، وما يتعلق بالموضوع من صحيح السنة النبوية المطهرة.

الدراسات السابقة:

بحثت في مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث وموقع هدي الإسلام عن الدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع، فلم أجد هذا العنوان نفسه، إلا دراسات حول قصص الأنبياء أو الأمم السابقة، ومنهج القرآن في قضايا عديدة، دون هذا العنوان ذاته.

---

(١) سورة ص، الآية: ٢٩.

وفيما يلي قائمة ببعض الدراسات السابقة التي وقفت عليها وهي ليست أصلا في الموضوع:

١. أسباب هلاك الأمم السالفة كما ورد في القرآن، رسالة ماجستير من الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، للباحث سعيد محمد بابا سيلا، وهو يتناول نبذة تاريخية عن الأمم السابقة وما حصل بينهم وبين أنبيائهم، والأسباب التي أدت إلى هلاك الأمم السالفة الطاغية الباغية، ونجاة الأمم المتبعة لدعوة أنبيائها، وهو بحث قيم في موضوعه، لكنه لا يتناول الجوانب التي أريد معالجتها من خلال هذا الموضوع، والذي هو في المنهج الدعوي القرآني في تعامله مع الأمم السابقة.

٢. منهج نوح في الدعوة إلى الله كما يصورها القرآن،رسالة ماجستير للباحث شيخ صلاح حاتيه، وهو بحث خاص بمنهج أول الرسل نوح عليه السلام في دعوته قومه إلى الله كما جاءت في القرآن الكريم، وموضوعي يحاول تسليط الضوء على المنهج الدعوي القرآني في التعامل مع الأمم السابقة.

٣. وسائل الكافرين والمنافقين في مواجهة دعوة الإسلام والرد عليها، رسالة دكتوراه، للباحث صبحي إبراهيم عبد الفتاح الفقي، وهي رسالة عالمية عالية في الوسائل التي اتخذها الكافرون والمنافقون ليصدوا بها دعوة الإسلام ووجوه الرد عليها، ولا يبحث في المناهج ولا الأساليب التي عاملهم الله بها، لإقناعهم بما رفضوا من دعوة رسلهم ومحاولة تحديهم بها.

٤. منهج القرآن في دعوة أهل الكتاب، للباحث حمود أحمد فرج الرحيلي، رسالة ماجستير، وتلك رسالة في منهج القرآن من ناحية دعوة أهل الكتاب خاصة، في حين أن عنواني يشتمل على الأمم السابقة من حيث تعامل القرآن معهم.

٥. منهج القرآن في دعوة المشركين إلى الإسلام، للباحث حمود أحمد فرج الرحيلي، رسالة دكتوراه، وهذه الرسالة تقوم بدراسة منهج القرآن في دعوة المشركين إلى نبذ الشرك وتحقيق التوحيد الذي من أجله خلقوا، ورسالتي تدرس منهج القرآن الدعوي من حيث معاملته مع الأمم التي خلت من قبل.

وهذه البحوث – مع جودتها وفوائدها في موضوعاتها– لم تتعرض للمنهج الدعوي القرآني في التعامل مع الأمم السابقة.

هذا، بالإضافة إلى المؤلفات العامة حول الموضوع، كقصص الأنبياء، للحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، وغيره، وحياة الأنبياء، لأحمد بن الحسين الخراساني البيهقي، وتاريخ الأنبياء والرسل، لمؤلفه سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث، ودعوة الرسل إلى الله تعالى، لمحمد أحمد العدوي، ودعوة الرسل عليهم السلام لأحمد أحمد غلوش، ومنهج الأنبياء في الدعوة لربيع بن هادي المدخلي، وعظات وعبر في قصص الأنبياء لسعيد عبد العظيم وتحفة النبلاء من قصص الأنبياء للإمام الحافظ ابن كثير، وللحافظ ابن حجر العسقلاني، وقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لعلي حسين سندي، ومصابيح الضياء من قصص الأنبياء، لعيسى بن محمد القرعاني، وغير هؤلاء كثير في الموضوعات العامة، والتي لا تتناول الجوانب المنهجية ولا الأساليب التي أرجو أن يعينني الله عليها، وإن تناولت بعضها فعلى سبيل العرض والإيجاز، لا على سبيل القصد والبسط.

منهج البحث:

اعتمدت –مستعيناً بالله تعالى في كتابة رسالتي– على الجمع بين المناهج العلمية الثلاثة:

الأول: المنهج التاريخي: وهو ما يقوم على مواكبة أو استعراض المراحل التاريخية للأقوام السابقة ودراسة أحوالهم –من الأقدم للأحدث.

الثاني: المنهج الوصفي: وهو المنهج الذي يعتمد على جمع الحقائق والمعلومات، وتعني هنا المناهج والأساليب التي تعامل الله بها مع الأمم، ثم وصفها وتحليلها وتفسيرها.

الثالث: المنهج الاستنتاجي: وهو المنهج الذي يعتمد على استنتاج معالم منهج القرآن الكريم الدعوي في تعامله مع الأمم السابقة، وأسلوبه في الحوار والخطاب والدعوة، والفوائد والحكم والدروس من خلال ذلك المنهج[1].

(١) الربيعة، **البحث العلمي**، ط٢، ١٧٩. وبدر، **أصول البحث العلمي ومناهجه**، ط٦، ١٨٢.

إجراءات البحث:

١- تتبع وجَمع المناهج والأساليب التي سلكها الرب عز وجل في التعامل مع الأمم السابقة، في بابين وفصول ومباحث ومطالب حسبما يقتضيه الحال والمقام.

٢- دراسة هذه المعاملات وبيان الأساليب والمناهج؛ للاستفادة منها في حياتنا اليومية المعاصرة.

٣- ذكر سبب نزول الآيات التي يتعلق فهمها عليه؛ فإن سبب النزول مما يعين على فهم الآية فهماً صحيحاً.

٤- شرح الغريب في الآيات و الأحاديث وغير ذلك.

٥- إيراد ما له تعلق بمعنى الآية من السنة الصحيحة، عند ما تقتضي الحاجة؛ لأن السنة هي الشارحة للقرآن والمبينة له، والمفصلة لما أجمله.

٦- الاعتماد في النقل عن المفسرين على الأقرب والأصح والأرجح لمعنى الآية ومقصدها.

٧- توثيق المادة العلمية في البحث كما يلي:

أ - عزو الآيات الواردة في البحث على مواطنها في المصحف الشريف بذكر اسم السورة ورقم الآية.

ب- تخريج الأحاديث الواردة في البحث من مصادر السنة المعتمدة، بذكر المصدر والجزء والصفحة ورقم الحديث إن وجد، مع ذكر درجة الحديث من خلال أقوال أئمة هذا الشأن، وإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالإحالة عليهما.

ج- التعريف بالأعلام الوارد ذكرهم في البحث تعريفا موجزاً.

د- التعريف بالأماكن والمواضع التي يمر ذكرها في البحث تعريفا موجزاً.

هـ- توثيق المنقول من كلام أهل العلم في الحاشية بالإشارة إلى مصادرهم بذكر الجزء إن وجد والصفحة.

و- عمل الفهارس اللازمة.

٨- الالتزام بعلامات الترقيم.

٩- الاستفادة من المصادر الأصلية والمراجع العلمية والكتب التي تناولت جوانب الموضوع.

التمهيد: تعريف منهج القرآن باعتباره مركبا إضافيا، وباعتباره طريقة معينة:

تعريف منهج القرآن:

يمكن تعريف منهج القرآن باعتباره مركبا إضافيا، كما يمكن تعريفه باعتباره طريقة معينة.

فأما تعريفه باعتباره مركبا إضافيا، فمن منطلق أنها كلمة مركبة من كلمتين، هما: منهج، والقرآن، وبالتالي، فلا بد من تعريف الجزأين لغة واصطلاحا، تمهيدا للتوصل إلى النوع الثاني من التعريف، وهو باعتباره طريقة معينة، إذ الأول سبيل إلى الثاني، ومبني عليه.

المنهج لغة: من مادة نهج، ينهج نهجاً، وهو الطريق البين الواضح، ويطلق على الطريق المستقيم، والمنهج، والنهج، والمنهاج: بمعنى واحد، وفي التنزيل قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[1]، وعلى هذا، فلا بد للمنهج من شيئين، هما: الطريق والوضوح، فحيث لا طريق لا منهج، وحيث يكون طريق بلا وضوح فليس ذلك منهجا.

والنهج: الطريق الواضح، وكذلك المنهج والمنهاج، وأنهج الطريق، أي استبان وصار نهجا واضحا بينا[2].

و(نهج) طريق نهج بين واضح وهو النهج، وطرق نهجة وسبيل منهج كنهج، والمنهاج كالمنهج[3].

والمنهج في الاصطلاح:

هو الطريق الذي يتبعه الإنسان لتحقيق هدف ما، وقيل: هو الطريق المؤدي إلى التعرف على الحقيقة في العلوم؛ بواسطة طائفة من القواعد العامة؛ والتي تهيمن على سير العقل، وتحدد عملياته؛ حتى يصل

([1]) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

([2]) الجوهري، **الصحاح**، ط٤، مادة: نهج، ٣٦٩/٢،

([3]) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ط ١، ٥ /٣٦١، مادة: نهج، ٢/ ٣٨٣.

إلى نتيجة معلومة، وبعبارة موجزة: هو القانون، أو القاعدة التي تحكم أي محاولة للدراسة العلمية، وفي أي مجال، ومن ثم تختلف المناهج باختلاف العلوم التي تبحث فيها؛ فلكل علم منهج يناسبه، مع وجود حد مشترك بين المناهج المختلفة، وقد تتعاون -وهو الغالب- مجموعة من المناهج لخدمة ومعالجة فن واحد[1].

ويمكن تعريفه بأنه الطريق المؤدي إلى شيء ما وهدف محدد بالتفصيل، ومن ثم تم تعريف المناهج على أنها تلك المقررات الدراسية أو التدريبية، وقد تطور مصطلح المناهج فأصبح يعنى به أو يراد به محتوى المواد الدراسية أو الخطط الخاصة بتلك المواد، بمعنى أنه التحديد والتخطيط لإعداد المحتوى الدراسي لأي مادة ما سواء أكانت هذه المادة ثقافية أو أدبية أو غير ذلك من المواد[2].

تعريف القرآن:

لقد بذل العلماء قديما وحديثا كل وسعهم لإيجاد تعريف للفظة القرآن، فتناولوها من الجانبين اللغوي والاصطلاحي، كما هو معهود عند كل تعريف، وأوردوا في ذلك أقوالا وآراء يكاد يكون كل واحد منها تكرارا للآخر، غير أن كل واحد من أولئك العلماء الأجلاء رجح رأيا استحسنه ومال إليه، أختار منها ما يلي:

القرآن (لغة): مأخوذ من (قرأ) بمعنى: تلا، وهو مصدر مرادف للقراءة، وقد ورد بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾[3]. أي قراءته، ومنه قول حسان بن ثابت رضي الله عنه في رثاء عثمان بن عفان رضي الله عنه:

ضحوا بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحا [4].

---

(1) المنتدى الإسلامي، **مجلة البيان**، ع٦٠/١٤.

(٢) فتحي، **بحث في مناهج وطرق تدريس**،*adel.mater@mediu.edu.my*

(٣) سورة القيامة، الآيتان: ١٧-١٨.

(٤) البيت في ديوان حسان بن ثابت، ٤١٠، وقد استدل به ابن عطية لتأكيد مصدرية القرآن، والشمط: في الرجل شيب اللحية، ابن منظور، **لسان العرب**، ط٣، مادة: شمط، ٧/٣٣٥-٣٣٦.

و(القرآن) على وزن فعلان كغفران وشكران، وهو مهموز كما في قراءة جمهور القراء، ويقرأ بالتخفيف (قران) كما في قراءة ابن كثير[1].

وأصله من (القرء) بمعنى الجمع والضم، يقال: قرأت الماء في الحوض، بمعنى جمعته فيه، وسمي القرآن قرآنا لأنه يجمع الآيات والسور ويضم بعضها إلى بعض[2].

ولقد أصبح (القرآن) علما شخصيا على كلام الله تعالى[3]، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[4].

وبهذا يكون الأصل اللغوي لكلمة (قرآن) قد اتحد، وإن اختلفت عبارات المعبرين عنه، وهو معنى الجمع والضم، ولكن بعضهم عبر عن ذلك بما يؤول إليه جمع الحروف، وقرنها ببعضها فسماه تلاوة، وبعضهم نظر إلى أن حروف القرآن لا تكون كذلك حال التلفظ بها إلا أن تخرج محددة مبينة مظهرة، فجعل الاشتقاق آتيا من ذلك[5].

وقال بعض العلماء بأنه لم يسم قرآنا إلا لجمعه ثمرات الكتب السالفة، فإن كان هذا في الناحية المعنوية، فليكن كذلك من حيث اللفظ[6].

---

(١) هو أبو معبد محمد أو عياد أو المطلب، عبد الله، بن كثير الداري، تابعي، كان إمام الناس بمكة، لم ينازعه فيها منازع، وقيل: (من أراد التمام فليقرأ بقراءة ابن كثير)، لقي من الصحابة عبد الله بن الزبير وأبا أيوب الأنصاري وأنس بن مالك، وقرأ على أبي السائب عبد الله بن السائب المخزومي، وعلى أبي الحجاج مجاهد المكي، وعلى درباس مولى ابن عباس وعبد الله بن السائب، وتوفي ابن كثير سنة (١٢٠) ومولده سنة (٤٥) خمس وأربعين بمكة، ونشأ بها. فائز، **إغاثة الطالب بتراجم القراء**، ط ١، ١ / ٥. ٦، وفي القراءة: قال الشاطبي: ونقل قران والقران دواؤنا .. الشاطبي، **حرز الأماني**، ط١، البيت رقم: ٥٠٢.

(٢) ابن منظور، **لسَان العَرَب**، ط٣، مادة: قرأ، ١/ ١٢٨، وابن المثنى، **مجاز القرآن**، ط١، ١/ ١-٣، والزرقاني، **مناهل العرفان**، ط١، ١/ ١٤-١٥.

(٣) السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ط ١، ١/ ٥٠، والرومي، **جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين**، ط ١، ١/٨.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٩.

(٥) المجيدي، **تلقي النبي –صلى الله عليه وسلم– ألفاظ القرآن الكريم عن جبريل**، ط ١، ١/٣٨٥.

(٦) المصدر السابق، ١/٣٨٥.

تعريف القرآن في الاصطلاح:

وردت عن العلماء تعريفات كثيرة للقرآن الكريم، وهذه التعريفات تتفاوت من ناحية الشمول، فبعضها أشمل من بعض، وتتفاوت كذلك من ناحية الألفاظ، فألفاظ بعضها أكثر من بعض، وإنه –وإن قل الاعتداد بكثرة ألفاظ التعريف أو قلتها– فإن التعريف ينبغي أن يكون دالا على جميع أجزاء المعرف بأقل لفظ ممكن، مهما كثرت ألفاظه، وعند الرجوع إلى كتب علوم القرآن لمعرفة التعريف الاصطلاحي توجد عدة تعريفات:

١– فقد عرف بأنه: "كلام الله منه بدا بلا كيفية قولا، وأنزله على رسوله وحيا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقا، وأيقنوا أنه كلام الله حقيقة، سمعه جبريل عليه السلام من الله عز وجل، ونزل به على خاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم بلفظه ومعناه، المنقول بالتواتر، المفيد للقطع واليقين، المكتوب في المصاحف، المحفوظ من التغيير والتبديل"[١].

٢– وعرفه بعض العلماء بقوله: "كلام الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته"[٢].

٣– وعرف آخر، فقال: "هو الكلام المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف المنقول عنه بالتواتر المتعبد بتلاوته"[٣].

٤– كما زاد بعضهم قائلا: "هو كلام الله تعالى المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف المنقول إلينا نقلا متواترا المتعبد بتلاوته المتحدى بأقصر سورة منه"[٤].

---

(١) الطحاوي، **العقيدة الطحاوية**، ط١، ١/ ١٧٢، والقطان، **مباحث في علوم القرآن**، ط٣، ٢١، والقاسمي، **قواعد التحديث**، ط ١، ٦٥.

(٢) القطان، **مباحث في علوم القرآن**، ط٣، ١٦.

(٣) الصالح، **مباحث في علوم القرآن**، ط٢٤، ٢١.

(٤) رابطة العالم الإسلامي، **تاريخ القرآن الكريم**، سلسلة دعوة الحق، السنة الثانية، ١٤٠٢هـ.

٥- وزاد آخر بأنه: "كلام الله المعجز المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين بواسطة الأمين جبريل عليه السلام المكتوب في المصاحف المنقول إلينا بالتواتر المتعبد بتلاوته المبدوء بسورة الفاتحة المختتم بسورة الناس"[١].

٦- وهو: "كلام الله الذي أوحاه إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يقظة بلفظه ومعناه، المعجز والمتعبد بهما والمنقول إلينا تواترا والمحفوظ بين دفتي المصحف"[٢].

٧- وقيل:" هو كلام الله تعالى المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والإعجاز، المجموع بين دفتي المصحف، المتعبد بتلاوته المنقول بالتواتر جيلا بعد جيل"[٣].

٨- وقيل: "هو الكلام المعجز، المنزل على النبي -صلى الله عليه وسلم- المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته ولو بآية منه"[٤].

مناقشة التعريفات:

يلاحظ على التعريفات ما يلي:

١- الاتفاق على أمور، هي: أ)- كلام الله، ب)- المنزل على محمد، ج)- المتعبد بتلاوته.

٢- الاختلاف على بقية الأمور، من حيث الزيادة والنقصان، فمنهم من يزيد شيئا من هذه الأمور، ومنهم من لا يرى تلك الزيادة، وهذه الأمور هي: أ)- الوحي، ب)- سماع جبريل، ج)- تصديق المؤمنين، د)- المنزل لفظه ومعناه، كل هذه الأمور مذكورة في التعريف الأول. هـ)- المنقول بالتواتر، و)- المفيد لليقين والقطع، ي)- المكتوب في المصاحف، وهذه في معظم التعريفات، ثم زاد بعضهم:

---

(١) الصابوني، **التبيان في علوم القرآن**، ط ١، ٦.

(٢) الحاطي، **العناية بالقرآن الكريم في العهد النبوي الشريف**، ط ١، ١/ ٩.

(٣) الرومي، **جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين**، ط ١، ١/ ٩.

(٤) القطشة، **الإتقان في تعليم أحكام القرآن الكريم**، ط ١، ١/ ٣.

التحدي ولو بآية، وبعضهم: التحدي بأقصر سورة، كما زاد بعضهم: المجموع أو المحفوظ بين دفتي المصحف، فيما زاد آخرون: المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس، وأضاف آخرون: البيان.

وعند التأمل يظهر أن الأجزاء المتفق عليها في التعريفات هي الأركان المهمة الضرورية لتعريف القرآن الكريم، وهي كفيلة بتمييز القرآن عن غيره، وقد اجتمعت في التعريف (رقم ٢)، وهو أرجح التعريفات لوجازته وشموله، ولو استبدلت كلمة: المتعبد بتلاوته، بكلمة: المعجز، لكان التعريف أيضا صحيحا وكافيا.

وبناء على ما سبق فكل جزء من الأجزاء غير الأجزاء الأربعة ليس ضروريا في تعريف القرآن، وإنما يعتبر ذلك إضافة صفات أخرى على صفات القرآن، لا أنها أركان في تعريف القرآن، فإن أراد أصحابها الزيادة في البيان فلا حرج في ذلك فالمجال واسع، أما إن أرادوا بذلك حدودا للقرآن، فلا يلزم شيء من ذلك بعد ذكر الأركان.

محترزات التعريف المختار:

ف "كلام الله" خرج بهذا كلام الجن و البشر و الملائكة، و"المعجز" خرج بهذا القيد كلام الله الذي عبر عنه الرسول بلفظه، و" المنزل على محمد " خرج بهذا ما نزل على الأنبياء السابقين،

و"المتعبد بتلاوته" خرجت الأحاديث القدسية و الأحاديث النبوية و الآيات التي نسخت تلاوتها فلم تعد مكتوبة في المصحف.

وأما تعريف منهج القرآن باعتباره طريقة معينة، فالمراد به: تلك الطرق والوسائل والأساليب التي سلكها القرآن لتحقيق أهداف معينة، وأعني بها هنا خاصة: في التعامل مع الأمم السابقة، كالحوار والدعوة والتخاطب[1].

(١) لم أقف على تعريف لمنهج القرآن باعتباره طريقة معينة فلذلك اجتهدت بهذا التعريف.

الباب الأول: الدعوة وما يتعلق بها: وفيه فصلان:

الفصل الأول: الدعوة: وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الدعوة لغة واصطلاحا:

تعريف الدعوة لغة:

الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك[1]، والدعوة قد تكون مصدرا ل: دعا فلان إلى كذا دعوة، وقد تكون الدعوة: المرة الواحدة من الدعاء، وتكون أيضا: الاسم من قولهم: دعا الرجل دعوا ودعاء، والاسم: الدعوة، وهي مأخوذة من مادة (د ع و) التي تدل على النداء، وفي الصحاح يقال: دعوت فلانا، أي صحت به واستدعيته، ودعوت الله له وعليه دعاء، وتداعى القوم: دعا بعضهم بعضا حتى يجتمعوا، ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين، أدخلت الهاء فيه للمبالغة، والنبي صلى الله عليه وسلم داعي الله تعالى، قال عز وجل مخبرا عن الجن الذين استمعوا القرآن وولوا إلى قومهم منذرين، ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾[2][3].

ويتلخص أن للدعوة في اللغة معاني عديدة، أهمها: الدعاء، والنداء، والصياح، والإمالة، والاستمالة، والترغيب، والحض، والحث على قصد الشيء، وثم معان أخرى للدعوة في اللغة، غير أنها ترجع كلها إلى معنى واحد، كالتمني، والطلب، والزعم، وغير ذلك، والمقصود من هذه المعاني اللغوية في هذا السياق هو الحث؛ لأن الداعية يحث المدعوين على الفكرة التي يريدها، وإلى الدين الذي يدعو إليه.

---

(1) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ط١، مادة دعو ٢/ ٢٧٩، والرازي، **مختار الصحاح**، ط٥، مادة: دعا، ٢٣٣٦/٦.

(٢) سورة الأحقاف، الآية: ٣١.

(٣) ابن منظور، **لسان العرب**، ط٣، ١٣/ ٢٥٨. ٢٥٩، مادة "دعا"، والجوهري، **الصحاح**، ط٤، ١٨٧/٧، مادة "دعا ".

تعريف الدعوة اصطلاحا:

لقد اختلف معرفو الدعوة في الاصطلاح إلى قسمين، قسم جعل كلمة الدعوة مرادفة لكلمة الإسلام، فيتحدث عن الدعوة كما يتحدث عن الإسلام سواء بسواء، وقسم جعلها فنا آخر يتعلق بنشر هذا الإسلام، كما اختلف المؤلفون في علم الدعوة فيها بناء على نظرتهم إلى الدعوة، هل هي قاصرة على الفكرة التي يدعو الداعي الناس إليها، والأساليب والوسائل المستخدمة فقط، أو يدخل فيها سلوك والتزام الداعي بما يدعو إليه، أو يدخل فيها ما وراءه من تربية وتزكية، ثم ما يعقب ذلك من عمل بما يدعو إليه[1]؟

فعلى القول بأنها مرادفة للإسلام جاء تعريف بعضهم لها بقوله: "الإسلام الحنيف هو الدعوة العالمية الكبرى الذي بعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لتكون نظام الإنسانية الكامل في حياتها الروحية والمادية في كل زمان ومكان"[2].

وعلى القول بأنها متعلقة بنشر الإسلام، جاء تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- بقوله: "الدعوة إلى الله هي: الدعوة إلى الإيمان به وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه"[3].

وهذا التعريف يمكن تلخيصه في كونها: الدعوة إلى أركان الإسلام، وأركان الإيمان، وركن الإحسان، ولذا اكتفى بعضهم بقوله: "الدعوة الإسلامية: تبليغ رسالة النبي"[4].

---

(١) الظاهر -والله أعلم- أن الدعوة من حيث هي دعوة لا تشمل إلا دعوة الناس إلى الإسلام بالأساليب والوسائل المأذون بها شرعا فقط، مع الأخذ في عين الاعتبار أن سلوك الداعية والتزامه الشرع، وتربية المدعوين على ذلك، وتزكية نفوسهم، وعمله بما يدعو إليه، كل ذلك من مستلزمات ومقتضيات الدعوة.

(٢) العيد، **دعوة الأقربين في القرآن الكريم**، ط ١، ١/٤.

(٣) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ط٣، ١٥/١٥٧-١٥٨.

(٤) العيد، **دعوة الأقربين في القرآن الكريم**، ط ١، ١/٤.

وعرفها بعض العلماء بقوله: "حث الناس على الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل[1]".

وأما على القول بأن الدعوة قاصرة على إيصال الفكرة، فمنه التعريفات السابقة، وأما باعتبار دخول سلوك الداعية فيها، جاء تعريف بعضهم بقوله: "تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة"[2].

والخلاصة: أن الدعوة في الاصطلاح من حيث كونها دعوة: تبليغ الإسلام، والحث على الدخول فيه، أو التزامه؛ من خلال الأساليب والوسائل المأذون بها شرعا، قال الله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾[3]. فالدعوة حينئذ تطلق على كل عمل يدعى فيه إلى الله: كالتدريس، والخطابة، والوعظ، والمحاضرات، والندوات، والمؤتمرات، والمناظرات، والدفاع عن الإسلام، والرد على خصومه، والجهاد، وكل ما من شأنه إعلاء كلمة الإسلام، وإذا انضم إلى الدعوة سلوك والتزام الداعية، يكون التعريف للدعوة: تبليغ الإسلام، والحث على الدخول فيه، أو التزامه، وتعليمه، والتربية على معانيه، من خلال الأساليب والوسائل المأذون بها شرعا، والتزام ذلك في حياة الداعي، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٢﴾[4].

([1]) العيد، **دعوة الأقربين في القرآن الكريم**، ط ١، ١/٤.

([2]) البيانوني، **المدخل إلى علم الدعوة**، ط ١، ١٧.

([3]) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

([4]) سورة الجمعة، الآية: ٢.

المبحث الثاني: محور الدعوة:

لقد تركزت دعوات الرسل والأنبياء قاطبة على شيء واحد، يبدؤون دعواتهم بها وينتهون بها، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[2]، إنه الركيزة القوية والأساس المتين، رسالة الله عز وجل إلى البشرية جمعاء، وهي إفراد الله بالعبادة، ونبذ الشرك والخرافة، والنبي عليه الصلاة والسلام بدأ بما بدأ به كل الأنبياء، وانطلق من حيت انطلقوا بدعواتهم من عقيدة التوحيد والدعوة إلى إخلاص العبادة لله وحده، من لا إله إلا الله، هذا الأصل العظيم، أصل أصول الرسالات كلها، لقد بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الأصل، فأول شيء طرق مسامع قومه: قولوا لا إله إلا الله، فقال المستكبرون منهم: ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾﴾[3]، واستمر داعيا إلى هذا المبدأ الأسمى والمطلب الأعلى طيلة العهد المكي، من رسالته ثلاثة عشر عاما، لا يكل ولا يمل، صابرا على كل ألوان الأذى في سبيل نشر هذا المبدأ، فلم يفرض عليه من التشريعات وأركان الإسلام إلا الصلاة في السنة العاشرة من البعثة، اللهم إلا ما كان يأمر به قومه من معالي الأخلاق، كصلة الرحم، والصدق، والعفاف، ولكن محور الدعوة وموضوع الصراع والخصومة، إنما هو ذلك الأصل العظيم[4].

لقد كلف الله هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم تكليفا خاصا أن يقوم بهذا الأصل العظيم، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ﴿١٤﴾﴾[5]، كما أمره أن يقوم بدعوة الناس جميعا إلى تحقيق هذا المبدأ والنهوض به، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

---

(1) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(2) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

(3) سورة ص، الآيتان: ٥- ٦.

(4) الجامعة الإسلامية، **مجلة الجامعة الإسلامية**، بالمدينة المنورة، ع ٦٣.٦٤، ٣/ ١٥٦.

(5) سورة الزمر، الآيات: ١١-١٤.

﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾[1]، والآيات في هذا كثيرة.

أما السنة، ففيها الشيء الكثير الدال على افتتاح رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوته بالتوحيد، واختتامها بذلك، واستمراره فيما بين ذلك طوال حياته صلى الله عليه وسلم، فعن عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه[2]، قال: "كنت وأنا في الجاهلية، أظن أن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء، وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجل بمكة يخبر أخبارا، فقعدت على راحلتي، فقدمت عليه، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفيا جرءاء[3] عليه قومه فتلطفت، حتى دخلت عليه، بمكة، فقلت له: ما أنت؟ فقال: "أنا نبي"، فقلت: وما نبي؟ قال: "أرسلني الله"، فقلت: وبأي شيء أرسلك؟ قال: "أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء"، فقلت: ومن معك على هذا؟ قال: "حر وعبد"، قال: ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به ..." الحديث[4] [5].

([1]) سورة البقرة، الآيتان: ٢١-٢٢.

([2]) هو عمرو بن عبسة السلمي، أحد السابقين، ومن كان يقال: هو ربع الإسلام، وكان من أمراء الجيش يوم وقعة اليرموك، كان أبو ذر الغفاري، وعمرو بن عبسة، كلاهما يقول: لقد رأيتني ربع الإسلام مع رسول الله، لم يسلم قبلي إلا النبي -صلى الله عليه وسلم- وأبو بكر، وبلال، كلاهما، حتى لا يدرى متى أسلم الآخر، نزل عمرو حمص باتفاق، ويقال: شهد بدرا، لعله مات بعد سنة ستين. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ط٢، ٤٠٢/٣.

([3]) جرءاء، كذا في جميع الأصول، بجيم مضمومة جمع جريء بالهمز، من الجراءة، وهي الإقدام والتسلط، السيوطي، **الديباج على مسلم**، ط ١، ٤٢٢/٢.

([4]) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب إسلام عمرو بن عنبسة، حديث رقم: ٢٩٤، ١/ ٥٦٩.

([5]) الجامعة الإسلامية، **مجلة الجامعة الإسلامية**، بالمدينة المنورة، ع، ٦٤.٦٣، ١/ ١٥٧. ١٥٨.

المبحث الثالث: عناصر الدعوة:

عناصر الدعوة الإسلامية:

أ) الداعي، ب) المدعو، ج) المدعو إليه (الموضوع)، د) الأسلوب أو المنهج أو الطريقة أو الوسيلة، هـ) الهدف، وسيأتي الكلام على العنصرين الأخيرين في مبحثين مستقلين إن شاء الله تعالى.

أولا: الخطيب أو الداعية:

هذا هو الركن الأول، والهام في هذا البناء، وبدونه لا يرتفع للخطاب بناء، ولا ترسخ له أسس، ومن هنا وجب العمل الدؤوب لإعداد العلماء والدعاة الربانيين، الذين يجمعون بين المعرفة الإسلامية، والرؤية العصرية، مع الغيرة الإيمانية والأخلاق الربانية؛ لأن المسلمين أحوج ما يكونون اليوم إلى الداعية البصير، والعالم المتمكن، الذي إذا استقضي قضى بحق، وإذا استفتي أفتى على بينة، وإذا دعا إلى الله دعا على بصيرة[1].

الشروط الواجب توافرها في الخطيب الداعية:

١. أن يكون حكيما عليما حليما، فلابد أن يجمع مع العلم ثقافة واسعة في جميع المجالات، وهي: الثقافة الدينية، واللغوية، والتاريخية، والإنسانية، والعلمية، وأن يكون كذلك على دراية بما يدور من حوله من الأحداث التي يطلق عليها البعض فقه الواقع، أو (الثقافة الواقعية)، بشرط ألا يطغى هذا الجانب على غيره من الجوانب، ولا يكون عاجزا في المسائل الشرعية أو الدينية.

٢. أن يكون عاملا بعلمه (أي قدوة حسنة): فالقدوة من أهم الأسس التي تؤدي إلى حسن التربية للمدعو، ولسان الحال أبلغ من لسان المقال، نداؤه كما قال شعيب عليه السلام لقومه: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨﴾[2]،

([1]) الشحود، **موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة**، ط ١، ٣٩١/٣٦.

([2]) سورة هود، الآية: ٨٨.

وقال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾[1]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾[2].

وعن أسامة بن زيد –رضي الله عنه– قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: [يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه[3] في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه[4] فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: أي فلان ما شأنك أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه][5].

٣. الصبر وتحمل المشاق في سبيل الدعوة:

الصبر هو مكابدة النفس على الطاعات وكفها عن السيئات والاحتساب على البلاء، ولا يخفى ما للصبر من أهمية بالغة في حياة المسلم عامة، وفي مسيرة الدعوة والدعاة خاصة، قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[6]، وقال: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[7].

ومن أهم لوازم الصبر: ترك العجلة في الوصول إلى ثمار الدعوة، وترك استعجال الاستجابة، والاستمرار في الدعوة والمداومة عليها دون كلل ولا ملل.

٤. الحرص على هداية من يدعوه:

أن يكون حريصا على هداية من يدعوه، فإذا كان من يدعوه كافرا كان حريصا على إيمانه ساعيا في ذلك بكل سبيل، وقد كان سيد الدعاة والمهتدين وهو نبينا صلى الله عليه وسلم ليحزن أشد الحزن

---

(1) سورة البقرة، الآية:٤٤.

(2) سورة الصف، الآيتان: ٢-٣.

(3) فتندلق أقتاب بطنه، أي تخرج أمعاؤه. ابن قرقول، **مشكل الصحيحين**، ط ١، ١ / ١٦٦.

(4) برحاه أي كدورانه حول رحاه، أو في رحاه. القاري، **مرقاة المفاتيح**، ط ١، ١٥ / ١٠.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة، ١٢١/٤، حديث رقم ٣٢٦٧.

(6) سورة العصر، الآية: ٣.

(7) سورة طه، الآية: ١٣٢.

حتى يكاد يقتله الغم أسفا على نفور الناس من دعوته، يقول فيه تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ٦﴾[1]، كما وصفه تعالى بالحرص على هداية الناس، قال تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾[2][3].

٥. الإخلاص: فيجب على الداعية أن يكون مخلصا لله عز وجل، لا يريد رياء ولا سمعة، ولا ثناء الناس ولا حمدهم، إنما يدعو إلى الله يريد وجهه عز وجل، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾[4].

وإخلاص الداعية لله في دعوته، هو من سر النجاح فيها، ووضع القبول له في الأرض[5].

٦. اختيار الزمن المناسب للدعوة:

فالزمن عنصر فعال من عناصر الدعوة، وإن اختيار زمن الدعوة أمر في غاية الأهمية، وهناك أوقات يخلو المرء فيها مع نفسه، ولا يكون مستعدا فيها لتقبل الأفكار، والدعوة تتأثر بالجو العام والظرف الذي يمر فيه الداعية والمدعو، ولهذا فإن على الداعية أن يختار أنسب الأوقات التي لا إحراج فيها ولا مشقة[6].

ب). المدعو:

([1]) سورة الكهف، الآية: ٦.

([2]) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

([3]) الشحود، **موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة**، ط ١، ٣٦/ ٣٩٩. ٤٠٠.

([4]) سورة يوسف، الآية: ١٠٨ .

([5]) القاري، **موسوعة الرد على الصوفية**، ط١، ١٥٤ /٣٦٠.

([6]) الشحود، **الخلاصة في فقه الدعوة**، ط١، ١٩٥/١.

و هو من يراد دعوته، و هم الناس جميعا بوجه عام، و أهل الإسلام بوجه خاص،فرسالة الإسلام رسالة للعالمين، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾[3].

ومن أجل ذلك فالبشر جميعا مدعوون إلى هذا الدين، والناس جميعا هم أمة الدعوة الذين أرسل إليهم رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم.

والمدعوون هم العنصر الأساس من عناصر الدعوة إلى الله عز وجل، إذ ما شرعت الدعوة إلا لأجلهم، وما أرسلت الرسل إلا لدعوتهم، لذا يجب الاهتمام بهم، ودراسة حالاتهم، والتصرف تجاهها بما يناسبها، مما يقرره الشرع الحنيف[4].

ج. المدعو إليه (الموضوع):

دين الإسلام هو الذي يراد دعوة الناس إليه، وحملهم عليه، و دين الإسلام هو سبيل الله، وصراطه المستقيم، قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾[5]،

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[7].

---

(1) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

(2) سورة سبأ، الآية: ٢٨.

(3) سورة الفرقان، الآية: ١.

(4) آل عرعور، **منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر**، ط١، ٧٩/١.

(5) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(6) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

(7) سورة القصص، الآية: ٨٧ .

فالدعوة إلى الله هي: الدعوة إلى توحيده، و الإيمان به، و الدخول في دينه، و صراطه المستقيم، وشرعه القويم، وهو دين الإسلام الذي بعث به خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم بخصائصه العظيمة المميزة له عن سائر الأديان، من شموله وعمومه، ووسطيته، وجلبه للمصالح، ودفعه للمضار[1].

(1) المنتدى الإسلامي، **مجلة البيان**، ع ٩٤/١٩٦.

المبحث الرابع: أساليب الدعوة:

أساليب الدعوة أو الطرق الصحيحة لممارسة الدعوة، هي تعتبر عناصر مهمة لإيصال الإسلام إلى الناس ودعوتهم إليه، ولا شك في أن القرآن الكريم ما كان له أن يهمل تلك المسألة، لذلك بين القرآن الأساليب الأساسية والهامة للدعوة الإسلامية بآيات جلية المعنى صريحة العبارة، قال تبارك وتعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ ﴾[2]، فأساليب الدعوة كما وردت في الآيتين الشريفتين أربعة، وهي: ١- الحكمة ٢- الموعظة الحسنة ٣- الجدال الحسن ٤- البصيرة[3].

أولا: الحكمة:

وهي القول المحكم المتقن الذي لا يتسرب إليه خلل من كذب أو خطأ أو إبهام أو غموض أو غير ذلك، واتسع مفهوم الحكمة حتى صار مفهوما كليا يندرج تحته مفاهيم متعددة، فكل عمل أو قول يتطابق مع الواقع وامتنع عليه النقد أو الرد والمعارضة كان عملا أو قولا حكيما، فنقول: قول حكيم، وسلوك حكيم، ورأي حكيم، وهكذا... لذلك كان الحكم أعم من الحكمة، لأن الحكم يتصف بالظلم والعدل، والحكمة لا تستعمل إلا عند العدل فقط، فنقول حكم بالحكمة، أي فصل بين الناس بما يمنع الخلل، والنقص، والنقد، والمعارضة... وهذا معنى قوله تعالى عن داوود عليه السلام: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ﴾[4]، أي ألهمناه الحقيقة، والقدرة على بيانها وإظهارها بالألفاظ والجمل الفاصلة التي لا إبهام فيها وغموض[5].

([1]) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

([2]) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

([3]) الشحود، **موسوعة الدين النصيحة**، ط ١، ٢/٩٠.

([4]) سورة ص، الآية: ٢٠.

([5]) الشحود، **موسوعة الدين النصيحة**، ط ١، ٢ / ٩١.

وتعريف الحكمة المطلوبة في الدعوة الإسلامية، أن الحكمة هي: "إصابة الحق بالعلم والعقل"[1]، أو أن الحكمة هي: "وضع الشيء في موضعه اللائق به"[2]، لكن هذين التعريفين لجانب من جوانب الحكمة، وليسا تعريفين لمفهومها الكلي، فإن مراعاة أحوال المدعو إلى الإسلام من الحكمة، أحواله المادية، والنفسية، والفكرية، والاجتماعية، حتى أحواله العارضة، وعدم مراعاتها ليس من الحكمة، بل من الحماقة التي لا ينتج عنها سوى تنفير المدعو، والقدرة على استعمال الحجة والبرهان من الحكمة، فإن استعمال الدليل في غير موضعه، أو الحجة حتى لو كانت صحيحة في غير مناسبتها ليس من الحكمة، واختيار أولويات المواضيع من الحكمة، واختيار الموضوع غير المناسب للمقام كذلك ليس من الحكمة، كما أن دراسة علم الدعوة ومتطلباته من الحكمة في الدعوة، والارتجالية فيها خلاف الحكمة[3].

ثانيا: الموعظة الحسنة:

الموعظة الحسنة أسلوب هام من أساليب الدعوة الإسلامية، وهي العلامة على مصداقية الداعية أو عدم مصداقيته، وبعبارة أخرى: هي العلامة الفاصلة بين الداعية إلى الله الذي لا غاية له سوى الله، وبين الداعية إلى نفسه أو إلى شيء آخر غير الله تبارك وتعالى، لذلك وصفها الله سبحانه وتعالى بالموعظة الحسنة، لأن الداعية الإسلامي لا يريد من الناس جزاءا ولا شكورا، بل كل ما يريده منهم هو عودتهم إلى الله، وعبادتهم إياه.

والموعظة هي: "زجر مقترن بتخويف"[4]، أو هي "التذكير بالخير فيما يرق له القلب"[5]، وكل من المعنيين صحيح في الموعظة، فالزجر المقترن بتخويف يسمى موعظة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾[6]،

([1]) الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، ط ١، مادة: حكم، ٢٥٢/١.

([2]) الندوي، **التفسير القيم**، ط١، ٣٥٨/١.

([3]) الشحود، **موسوعة الدين النصيحة**، ط ١، ٩١/٢.

([4]) الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، ط ١، مادة: وعظ، ٥٢٣/٢.

([5]) الفراهيدي، **كتاب العين**، ط ١، مادة: اتعظ، ٢ /٢٨٨.

([6]) سورة هود، الآية: ٤٦.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ﴾[1]، فمعنى الوعظ في الآيتين هو الزجر المقترن بتخويف، وكذلك التذكير بالخير بما يرق له القلب ورد في قوله تعالى: ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[2]، أي يذكركم لعلكم تتذكرون، ولكن المعنى الأول هو الأشهر في استعمال لفظ الموعظة.

ويمكن تعريف الموعظة الحسنة بأنها هي النصيحة الهادفة إلى الخير، والدالة عليه؛ وهذا هو المعنى العام لكلمة موعظة، فالزجر موعظة، ولكن الموعظة ليست في كل معانيها زجرا، فقد تستعمل كلمة موعظة بقدر الأمر المستتبع للخير كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾[3]، بمعنى قل إنما آمركم بأن تفعلوا واحدة من اثنتين أن تقوموا لله مثنى أو أفرادا، والزجر أو الأمر أو التذكير أو غير ذلك مما يستتبع شيئا ما يسمى نصيحة، فإن كان المستتبع خيرا كانت موعظة حسنة، وإن كان المستتبع شرا كانت الموعظة سيئة، وقد وردت كلمة موعظة في القرآن بمعاني متعددة، منها على سبيل المثال، قوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ﴾[4]، أي وحذرهم وخوفهم، وقوله تعالى: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾[5]، أي ينهاكم ويحذركم.

ويمكن بعد ما تقدم وضع تعريف للموعظة الحسنة المقصودة في قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾[6]، بأنها هي القول البليغ اللين الهادئ المتضمن لتخويف وزجر، بقصد الحث على فعل الخير وترك الشر[7].

([1]) سورة النساء، الآية: ٣٤.

([2]) سورة النحل، الآية: ٩٠.

([3]) سورة سبأ، الآية: ٤٦.

([4]) سورة النساء، الآية: ٦٣.

([5]) سورة النور، الآية: ١٧.

([6]) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

([7]) الشحود، **موسوعة الدين النصيحة**، ط ١، ٢/ ٩١.٩٢.

ثالثا: الجدال بالتي هي أحسن (الجدال الحسن):

والجدال كالموعظة، دليل وعلامة على حسن النية أو سوء النية عند الداعية، ولكنها في الجدال أوضح وأكثر دلالة على النية، وذلك لأن الجدال مباراة مع الخصم وتبادل حجج لإثبات كل واحد صحة ما هو عليه، وهنا مكمن الخطورة، أو الشعرة الفاصلة بين النية الحسنة في الجدال والنية السيئة فيه، لأن المجادل يبحث عن النصر والتفوق في الجدال، فإن كان الجدال انتصارا للذات كانت النية سيئة، وإن كان الانتصار لله وإحقاق الحق كانت النية صالحة، فقد يجادل الداعية بقصد الدعوة إلى الإسلام، وفي خضم الجدال والخصام الحواري يتحول القصد إلى سعي لإثبات التفوق الشخصي والمصداقية الأنانية، وبعبارة أخرى يتحول الجدال من السعي لإثبات صحة الإسلام وأحقيته في الاتباع إلى السعي لإثبات أن المجادل على حق وخصمه على باطل، وهنا يكون الجدال حول أمر شخصي، وليس جدالا موضوعيا هادفا، وهذا النوع من الجدال لا يصل بالمتجادلين إلا إلى العداء والتخاصم والتنازع، لأنه ليس لله ولا لإحقاق حق، وإبطال باطل، وهو النوع الذي نهى الله تبارك وتعالى عنه في قوله تعالى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾[1]، وللوصول إلى مثالية في الجدال وتحقيق معنى الجدال الحسن الذي أمر الله تبارك وتعالى بإتباعه كأسلوب في الدعوة إلى الإسلام، يجدر تعريف معنى الجدال ومقوماته[2].

معنى الجدال:

"الجدال هو المفاوضة على سبيل المنازعة من جدلت الحبل أي أحكمت فتله"[3]، وهذا التعريف لا يبعد كثيرا عن معنى الجدال، إلا أنه يمكن أن يقال: هو تبادل الحجج على سبيل تفنيد أحد المحتجين حجج الآخر وتثبيت قوله، ويتنوع الجدال إلى حسن وسيء باعتبار هدفه وغايته، وباعتبار أسلوبه وطريقته، فالجدال الهادف إلى إحياء عصبيات عرقية أو عنصرية أو طائفية، أو غرضه التعالي، والتفاضل الشخصي والأناني، أو بقصد الشهرة والتظاهر، جدال سيء، حتى لو كانت الوسيلة جيدة

---

(1) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

(٢) الشحود، **موسوعة الدين النصيحة**، ط ١، ٢/٩٢.

(3) الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، ط ١، مادة: جدل، ١/١٧٥.

وعلمية، وكذلك إذا كان أسلوبه الطعن والمغالطة والتجريح وكشف العورات والكذب جدال سيء، حتى لو كانت الغاية سامية ونبيلة، فلا الوسيلة تبرر الغاية، ولا الغاية تبرر الوسيلة في الجدال السيئ، وأما الجدال الحسن فهو الذي يكون هدفه الأول والأخير هو الحق والوصول إلى الحقيقة، وليس إلى غيرها مع مراعاة الوسيلة العلمية الصالحة الشريفة[1].

٤. البصيرة في الدعوة إلى الله:

عرف العلماء البصيرة بعدة تعاريف، منها قول بعضهم" والبصيرة: هي المعرفة التي تميز بها بين الحق والباطل"[2]، والبصيرة هي: "قوة الإدراك والفطنة والعلم والخبرة"[3]، فمن استقام على دين الله رزق البصيرة في الدين والدعوة، فصار يدعو إلى الله على بصيرة ويقين وبرهان وعلم[4].

إن البصيرة من الفرائض في الداعي الذي يدعو إلى الله، وإذا ترك الفريضة فهو آثم، وسبيل البصيرة في الدعوة العلم بها، وسبيل البصيرة في أسلوب الدعوة الرفق والاتزان وأخذ الأمور مأخذ الروية والتعقل[5]، فهي ليست دعوة عامية، ولا نعرة جاهلية، ولا تقليدا لفلان وفلان، بل هي دعوة مستبصرة؛ شعارها قوله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[6]،

وفيصلها: الحجة القاطعة اليقينية البينة، وهي بصيرة في كل شيء؛ بصيرة في حقيقة الدعوة، فيعلم الإنسان إلى ماذا يدعو، وماذا يريد من الناس، وبصيرة بطريقة الدعوة ومعرفة ما يحل وما لا يحل، وسلوك السبيل الأقوم لتحصيل المراد، وإدراك العوائق والعقبات التي تعترض سبيل الداعية؛ ليتسلح لها ويستعد ولا يفاجأ بها، وبصيرة بحال المدعوين، تعين على تلمس أسباب هدايتهم، وبصيرة بأعداء الدعوة؛ ليكون الداعي منهم على حذر، وبصيرة بالنفس؛ ليعرف الداعي مقصده ونيته

---

(1) الشحود، **موسوعة الدين النصيحة**، ط١، ٢/٩٢.٩٣.

(2) البغوي، **معالم التنزيل**، ط١، ٢/٥١٨.

(3) إبراهيم، والنجار، وعبد القادر، والزيات، **المعجم الوسيط**، ط ١، باب الباء، ١/٥٩.

(4) عويضة، **فصل الخطاب**، ط ١، ١/١٥٩.

(5) محمود، **فتاوى عبد الحليم محمود**، ط ١، ١/٢٧٧.

(6) سورة البقرة، الآية: ١١١.

ودافعه؛ فلا يلتبس عليه الأمر، ولا تتداخل عنده المقاصد ولا يغالطه الشيطان فيزين له القبيح، أو يقبح له الحسن، ويغريه بالتعصب والغضب والحمية للنفس أو للمذهب أو للطائفة أو للجماعة أو للإقليم أو للشيخ أو لغير ذلك[1].

فالبصيرة تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١ – البصيرة بما يدعو إليه (أي البصيرة بالدعوة).

٢ – البصيرة بحال المدعو.

٣ – البصيرة بكيفية الدعوة.

فهذه ثلاثة أقسام للبصيرة، علم بالدعوة وعلم بحال المدعو وعلم بكيفية الدعوة وطريقتها.

أولا: البصيرة بالدعوة: أن يكون الداعية عالما بالحكم الشرعي الذي يدعو إليه، فربما دعا إلى شيء ظن أنه واجب وهو ليس بواجب، فيلزم الناس ما لم يلزمه الله عز وجل، وربما دعا إلى ترك شيء ظنه أنه حرام وهو ليس بحرام، فيحرم على الناس أمرا أباحه الله عز وجل لهم، والعكس بالعكس.

ثانيا: البصيرة بحال المدعو: أن يعرف الداعية حال المخاطبين، والدليل على أهمية معرفة الداعية بحال المدعوين حديث معاذ في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أرسله إلى اليمن، قال له عليه الصلاة والسلام: «إنك تأتي قوما أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله...» الحديث[2]، قال له ذلك ليعرف معاذا حال المدعوين، فالبصيرة بحال المدعو من أهم المهمات حتى يستطيع الإنسان أن يصل إلى الخير في دعوته.

ثالثا: البصيرة بكيفية الدعوة وطريقتها، لقد دلنا الله تبارك وتعالى إلى الطريقة المثلى في الدعوة إليه وترتيب الأولويات، والدليل من القرآن على كيفية الدعوة قوله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ

([1]) العودة، **دروس للشيخ سلمان العودة**، ط ١، ٦/٨٣.

([2]) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب الطيب للجمعة، ٤٩٨/٣، حديث رقم ١٤٥٨، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين، ٣٨/١، حديث رقم ١٣٢.

بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[1]، فالمدعوون إلى طريق الله منهم من هو خالي الذهن، طيب في حقيقته، إذا عرف الحق تمسك به، فهذا يدعى بالحكمة، ومن الناس من هو مشتغل بالباطل، عالم بأنه مبعد عن الحق، فهذا يحتاج إلى موعظة حسنة في ألفاظها ومعانيها حتى يقبل إلى الله، ومن الناس من لا ينفع معه إلا الجدال بالتي هي أحسن، وإلا انتقل معه بعد ذلك إلى الجلاد[2]، كما قال العلماء في قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ...﴾، أن الله ذكر سبحانه وتعالى مراتب الدعوة، وجعلها ثلاثة أقسام بحسب حال المدعو، فإنه إما أن يكون طالبا للحق محبا له مؤثرا له إذا عرفه، فهذا يدعى بالحكمة، ولا يحتاج إلى موعظة وجدال، وإما أن يكون مشتغلا بضد الحق، ولكنه إذا عرفه اتبعه، فهذا يحتاج إلى موعظة بالترغيب والترهيب، وإما أن يكون هذا المدعو معاندا معارضا، فهذا يجادل بالتي هي أحسن، فإن رجع وإلا انتقل معه إلى الجلاد إن أمكن[3].

وتظهر أهمية البصيرة في الدعوة في كونها صفة من صفات الأنبياء والعلماء الراسخين، وكونها ركنا من أركان الدعوة، وكونها تجنب الداعية الضعف في الرأي، والانحراف في المنهج، كما أن بها تستثمر الأوقات، وتعرف الأولويات، ويعطى كل ذي حق حقه[4].

([1]) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

([2]) عبد الكريم، **العلم والدعوة**، ط ١، ١٣٨١/١.

([3]) ابن الجوزية، **مفتاح دار السعادة**، ط ١، ١٥٣/١.

([4]) العنزي، **البصيرة في الدعوة إلى الله**، ط١، ١/ ٣.

المبحث الخامس: أهداف الدعوة:

أهداف الدعوة إلى الله:

يقصد من وراء الدعوة إلى الله تعالى مقاصد سامية وأهداف نبيلة، هي الغاية التي من أجلها أرسل الله الأنبياء والرسل، قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ ﴾[1]، فتحقيق الدين لله ونبذ الشرك، هو الهدف الأساسي للدعوة، لكنه ينبثق عنه أهداف فرعية، كلها تصب فيما من أجله بعثت الرسل، ودعت الدعاة، وقتل من قتل، وعذب من عذب، وأخرج من داره من أخرج، إن للدعوة أهدافا سامية، تتجلى من خلال دراسة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، لا يجوز الحيدة والانصراف عنها، كما يجب على المسلم الواعي أن يتصورها ويعيها، ويجددها بين الحين والآخر حتى لا تزل به قدم، ولا ينجرف مع هوى، أو يطغى عليه مصلحة دنيوية، أو ينحرف قصده[2]، تجتمع هذه الأهداف في نقل العباد من عبودية العباد إلى عبودية رب العباد، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾[3]، ودعوة كل نبي كانت تؤكد على هذا المبدأ، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾[5]، والرسول صلى الله عليه وسلم جاء لتحقيق «لا إله إلا الله»، ولذا كان يدعو إلى هذه الكلمة كل من يلقاه، في المجالس والأسواق ومجامع الناس، فعن ربيعة بن

([1]) سورة الأنفال، الآية: ٣٩.

([2]) الصغير، **مثل ما بعثني الله**، ط ١، ١/٣٥.

([3]) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

([4]) سورة النحل، الآية: ٣٦.

([5]) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

عباد الديلي[1] وكان جاهليا أسلم، فقال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ بصر عيني بسوق ذي المجاز[2] يقول: «يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»[3][4].

الأهداف الدعوية:

١ – **إرشاد البشرية إلى أعلى حق في هذا الوجود**، إذ بدون الدعوة لا يتمكن البشر من معرفة ربهم، ويبقون في تخبط من أمر أصل الخلق والغرض منه، ومآله، ووضع الإنسان في هذا الكون، فتغلب عليهم الضلالات والأوهام، كما قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾[5]، قال القرطبي: ﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ﴾: أي بالكتاب وهو القرآن، أي بدعائك إليه من ظلمات الكفر والضلالة إلى نور الإيمان والعلم بتوفيقه إياهم ولطفه بهم، وأضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم لأنه الداعي، والمنذر الهادي إلى صراط العزيز الحميد[6].

٢ – **إنقاذ البشرية من أسباب الدمار والهلاك**، فإن البشر إذا ساروا في حياتهم بمجرد عقولهم وأهوائهم وغرائزهم، لا يستطيعون توقي ما يضرهم، ويؤدي بهم إلى الفساد في الغالب،

---

(1) هو ربيعة بن عباد الديلي الحجازي، رأى النبي–صلى الله عليه وسلم – بسوق ذي المجاز قبل أن يسلم، ثم أسلم، وشهد اليرموك، وقال البخاري، وغيره: له صحبة، وتوفي في خلافة الوليد بن عبد الملك. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ط٢، ٦ / ١٨.

(2) سوق ذي المجاز: سميت بذلك لأن إجازة الحجيج تكون منها إلى عرفات، وهي على مسافة ثلاثة أميال من عرفات بناحية جبل كبكب، وقيل هي بمنى بين مكة وعرفات وهو غير بعيد، وقد ورد في الخبر أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يؤمها في المواسم داعيا إلى دين الحق وإن لم يجد آذانا صاغية أول العهد، فالناس مشغولون بماعهدوا. مجموعة، **الموسوعة العربية العالمية**، ط ١، ٤.

(3) أخرجه أحمد في مسنده، حديث ربيعة بن عباد الديلي، ٤٠٤/٢٥، حديث رقم ١٦٠٢٣، قال أحمد شاكر: والحديث صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن من أجل عبد الرحمن بن أبي الزناد، وقد سلف برقم (١٦٠٢٣) و (١٦٠٢٦) ،وذكرنا هناك شواهده. شاكر، **مسند أحمد**، ط١، ٣١/ ٣٤٢.

(4) الصغير، **مثل ما بعثني الله**، ط ١، ١/ ٤٣١.

(5) سورة إبراهيم، الآية: ١.

(6) القرطبي، **الجامع**، ط ١، ٩/ ٣٣٨.

والشرائع الإلهية جاءت بالتحليل والتحريم والقواعد التي تكفل لمتبعيها السعادة والصلاح واستقامة الأمور، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾[1]، أي يحيي دينكم ويعلمكم، أو إلى ما يحيي به قلوبكم فتوحدوه، وهذا إحياء مستعار، لأنه من موت الكفر والجهل.

٣ – **تحقيق الغاية من الخلق**، فإن الله تعالى خلق الكون ومهده للناس ليعبد فيه، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾[2].

ولا يتحقق ذلك إلا بالدعوة، ليتمكن الخلق من معرفة الوجوه التي يريد الله تبارك وتعالى أن يعبد بها، فإن العقل لا يهتدي لذلك من دون أن يبلغ به ممن يعلمه.

٤ – **إقامة حجة الله على العباد**، بأن دينه وشرائعه قد بلغتهم، حتى إن عذبهم لم يكن عذابه ظلما، كما قال تعالى: ﴿ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ ﴾[3][4].

وأتباع الرسل يخلفونهم في هذه المهمة، لقوله تعالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾[5]، وقال صلى الله عليه وسلم: «لا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أنزل الكتب وأرسل الرسل»[6]، ﴿ وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ مِّن قَبۡلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ ﴾[7]، والذين يرفضون دعوة الرسل، لا يملكون إلا الاعتراف بظلمهم إذا وقع بهم العذاب في الدنيا، قال تعالى: ﴿وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ كَانَتۡ ظَالِمَةٗ وَأَنشَأۡنَا بَعۡدَهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾

([1]) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

([2]) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

([3]) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

([4]) الكويت، **الموسوعة الفقهية الكويتية**، ط٢، ٢٠/ ٣٢٤. ٣٢٥.

([5]) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

([6]) أخرجه الترمذي في **نوادر الأصول قي أحاديث الرسول**، ٤١٧/١، وانظر: **ترتيب أحاديث الجامع الصغير على الأبواب الفقهية**، ط ١، ١١٥/٢، (حم ق ت) عن ابن مسعود، ٧١٩٧ (حسن)، قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم : ٧١٦٥ في صحيح الجامع، الجامع الصغير وزيادته، ١٣١٣.

([7]) سورة طه، الآية: ١٣٤.

فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَرۡكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرۡكُضُواْ وَٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلۡكَ دَعۡوَىٰهُمۡ حَتَّىٰ جَعَلۡنَٰهُمۡ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾﴾[1]، وفي يوم القيامة أيضا يسألون عن ذنبهم فيعترفون، قال تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ﴿٨﴾ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ﴿٩﴾ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾[2]، وحين يدخلون جهنم: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾﴾[3]، وإذا أحاط بهم العذاب من كل جانب وطلبوا التخفيف من الملائكة: ﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿٥٠﴾﴾[4].

والمدعو: إما أن يستجيب ويهتدي فيتحقق هدف هداية الناس إلى الحق، وإما أن يعاند ويكفر فيتحقق هدف إقامة الحجة لله تبارك وتعالى، وينقطع عذر المعاند أمام ربه يوم القيامة، قال تعالى: ﴿إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ﴾[5]، ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ﴿٢١﴾﴾[6][7].

٥ – **تحقيق الهداية والرحمة المقصودة بإرسال الرسل وإنزال الكتب**، كما قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[8]، فالدعوة هي الوسيلة إلى إطلاع من لم يعلم بالرسول والكتاب على حقيقتهما وحقيقة ما جاءا به، فتعم الرحمة والهداية إلى من يشاء الله هدايته.

([1]) سورة الأنبياء، الآيات: ١١-١٥.

([2]) سورة الملك، الآيات: ٨-١١.

([3]) سورة الزمر، الآية: ٧١.

([4]) سورة غافر، الآية: ٥٠.

([5]) سورة الشورى، الآية: ٤٨.

([6]) سورة الغاشية، الآية: ٢١.

([7]) المقدم، **أهداف الدعوة ومنطلقاتها**، ط ١، ١ /٦.٧.

([8]) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

٦ – **تكثير عدد الأقوام المؤمنين بالله، وتحقيق عزة شأن الإسلام والمسلمين**[١].

٧ – **التبشير والإنذار**: هو مفتاح النفس الإنسانية، فهي مجبولة على طلب الخير لذاتها، ودفع الشر عنها، ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[٢].

البشارة في الدنيا: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾[٣]، ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾[٤]، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾[٥].

في الآخرة: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾[٦].

النذارة: في الدنيا: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[٧].

في الآخرة: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾[٨].

٨. **إصلاح النفوس وتزكيتها**: تزكية النفوس: تطهيرها وتطييبها وتنقيتها من قبائحها، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾[٩] بعد أحد عشر قسما، فلا يستحق الجنة إلا من

---

(١) الكويت، **الموسوعة الفقهية الكويتية**، ط ١، ٢٠ / ٣٢٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٤٨، وسورة الكهف، الآية: ٥٦.

(٣) سورة النحل، الآية: ٩٧.

(٤) سورة طه، الآية: ١٢٣.

(٥) سورة النور، الآية: ٥٥.

(٦) سورة النساء، الآية: ١٣.

(٧) سورة طه، الآية: ١٢٤.

(٨) سورة النساء، الآية: ١٤.

(٩) سورة الشمس، الآيتان: ٩–١٠.

زكى نفسه، والتزكية: مهمة من مهمات النبي وغاية أساسية من رسالته، وهي سبب وجدان طعم الإيمان، وأعلى التزكية: تطهير القلب من نجس الشرك وتزكيته بالتوحيد، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾[4].

٩. تقويم الفكر المنحرف ودحض العقائد الزائفة: التوحيد هو الأصل، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً (على الإيمان والتوحيد –أي فاختلفوا–) فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾[6]،

ومن صور محاربة الانحراف عن الصراط المستقيم التصدي للغزو الفكري والمذاهب الباطلة والفرق الضالة، كالشيعة[7] والصوفية[8]

---

(1) سورة التوبة، الآية: ٢٨.

(2) سورة فصلت، الآية: ٦.

(3) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.

(4) سورة الجمعة، الآية: ٢.

(5) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(6) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.

(7) تعريف الشيعة مرتبط أساسا بأطوار نشأتهم ومراحل التطور العقدي لهم، فالتشيع كان في الصدر الأول لا يسمى شيعيا إلا من قدم عليا على عثمان، ثم أصبحت الشيعة شيعا، وأصبحت الشيعة هي القسيم لأهل السنة حين انفردت بعقائدها وآرائها المخالفة للحق، وأخيرا استوعبت الشيعة الإمامية الاثنا عشرية معظم آراء الشيعة واعتقاداتها وصار التشيع علما عليها. القفاري، **أصول مذهب الشيعة**، ط١، ١/٣١_٥٣ و٥٥، و القفاري، **مسألة التقريب**، ط٣، ١/١٢٠.

(8) الصوفية: من حيث أصل النسبة مختلف فيها على أقوال؛ فقيل: نسبة إلى الصفاء، أو إلى الصفة، وقيل: من سوفيا، وهي الحكمة بلغة اليونان، ورجح شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره أنها نسبة إلى الصوف؛ لزهدهم ولبسهم الصوف. الجرجاني، **التعريفات**، ط١، ١٤٠٥ط١، ٥٩_٦٠، و الحراني، ،**مجموع الفتاوى**، ط٣، ٦/١١.

والقاديانية[1] والبهائية[2] والعلمانية[3] والليبرالية[4]والوجودية[5] والماركسية[6] والديمقراطية[7].

([1]) القاديانية: نسبة إلى غلام أحمد القادياني، الذي اشتهر عنه أنه ادعى النبوة، ودعا الغوغاء في الهند وما حولها إلى الإيمان به، وحرف نصوص الإسلام، وقد مات هذا الكذاب بعد ما أضل كثيرا من الناس سنة ١٩٠٨ م ، وخلفه في دعوته ورئاسة طائفته الضالة رجل ضال يسمى الحكيم نور الدين. آل عمر، **دين الحق**، ط٦، ١ / ١٤٦.

([2]) البهائية: نسبة إلى بهاء الدين، الذي ظهر في بداية القرن التاسع عشر الميلادي في إيران، واسمه علي محمد رضا الشيرازي (ولد سنة ١٨١٩م) ولقب بالباب، وأتباعه يدعون البابية، وادعى النبوة حينا والألوهية حينا، وسار على نهجه تلميذه الذي لقب (ببهاء الدين) وأتباعه يدعون البهائية، وأضل أمما من الخلق، وقتل إعداما سنة ١٢٦٥هـ. العتيبي، **الرسل والرسالات**، ط٤، ١ / ١٧٨، و السيوطي، **العرف الوردي في أخبار المهدي**، .ط١، ١ / ٤١، وآل عمر، **دين الحق**، ط٦، ١ / ١٤٧.

([3]) لفظ العلمانية: ترجمة خاطئة لكلمة Secularism في الإنجليزية، وهي كلمة لا صلة لها بلفظ العلم ومشتقاته على الإطلاق، والترجمة الصحيحة للكلمة هي اللادينية، أو الدنيوية، وهو ما لا صلة له بالدين، وهي باختصار: فصل الدين عن الحياة، أو فصل الدين عن الدولة، قامت العلمانية في أوروبا لظروف وأسباب معينة. العمرو، **الألفاظ و المصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية**، ط ١، و الحوالي، **العبودية الصحيحة**، ط ١، ١ / ١٦.

([4]) من الصعوبة بمكان تحديد تعريف دقيق لليبرالية، وذلك بسبب تعدد جوانبها، وتطورها من جيل إلى جيل، لكن الليبرالية تقوم على الديمقراطية الدستورية، والحرية السياسية والاقتصادية، والمساواة بين الجنسين في الحقوق والواجبات، وحرية الفكر، والعقيدة الدينية، واعتبار الشعب مصدر التشريع. **الليبرالية نشأتها ومجالاتها**، ط١، ١ / ٣-٤، والدويهيس، **العلمانية في ميزان العقل**، ط ١، ١ / ٦٢- ٥٦.

([5]) الوجودية: مذهب فلسفي يقوم على دعوة خادعة، وهي أن يجد الإنسان نفسه، ومعنى ذلك أن يتحلل من القيم، وينطلق لتحقيق رغباته بدون شرط ولا قيد، وأن للإنسان مطلق الحرية في الاختيار، يصنع نفسه بنفسه، ويملأ الوجود على النحو الذي يلائمه. العمرو، **الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية**، ط ١، و صليبا، **المعجم الفلسفي**، ط ١، ٥٦٥/٢، **المعجم الفلسفي لمجمع اللغة**، ط ١، ٢١١، كواشف زيوف، ٣٦١ – ٣٦٤، **الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة**، ط ١، ص١١٦.

([6]) الشيوعية في الاصطلاح العام: نظام يقوم على إلغاء الملكية الفردية وعلى حق الناس في الاشتراك وعلى حق الناس في الاشتراك في المال والنساء، وسائر الثروات والمكتسبات، أما الشيوعية الماركسية: فهي حركة يهودية أسسها كارل ماركس وطبقها من جاء بعده، تقوم على الإلحاد، وتنظر إلى الكون والحياة من منظور مادي، وتسعى لتحقيق أهدافها بالحرب والنار، وبكل ما تملك من وسائل. الحمد، **الشيوعية**، ط ١، ص١١_١٢.

([7]) الديمقراطية: هي كلمة يونانية الأصل، وهي مكونة من كلمتين، أضيفت إحداهما إلى الأخرى، أولاهما: ديموس، وهي تعني الشعب، وثانيهما: كراتوس، وهي تعني الحكم، أو السلطة، فصارت الكلمة المركبة من هاتين الكلمتين تعني: حكم الشعب أو سلطة الشعب، وعلى ذلك: فـ "الديمقراطية" هي ذلك النظام من أنظمة الحكم الذي يكون الحكم فيه أو السلطة أو سلطة إصدار القوانين والتشريعات من حق الشعب أو الأمة أو جمهور الناس. العراقي، **الديمقراطية، آثار وثمرات**، ط ١، ١ / ٤٧- ٤٨.

١٠. سياسة الأمة وإقامة المجتمع الإسلامي وإقامة شرع الله في الأرض:قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾[١]، وقال تعالى: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾[٣].

ولله تعالى أحكام في المعاملات والحدود والسياسات العامة، والحكم لا يمكن تطبيقها إلا بأن يدين المجتمع بدين الله، ويذعن لشريعته، ومنهج أهل السنة والجماعة: لا يضع أمامه هدفا محدودا يحصر طاقته فيه، فإذا لم يقدر يبقى عطلا من وظيفة وهدف، منهج لا يعرف اليأس، لأن عمله لن يذهب سدى، ولا يجزئ قضايا الإسلام، والمنهج السلفي يعي العقبات التي تقف في سبيل تحقيق ذلك، ويبني طريقه على أساس الجهاد والصبر الطويل، الأمة التي بلغت من القوة والمجد ذروتها، فهل لأبنائها العودة إلى كتاب ربها وسنة نبيها صلى اله عليه وسلم من جديد لاستعادة قوتها ونفوذها؟ وما ذلك على الله بعزيز، ولكن الله ينصر من نصره، فهلم إلى نصرة الله وإعلاء كلمته[٤].

أما الدعوة بين المسلمين فالهدف منها تذكير الغافلين والعصاة، والعودة بالمنحرفين إلى الصراط المستقيم، وتقليل المفاسد في المجتمع الإسلامي، وإزالة الشبه التي ينشرها أعداء الدين، وتكثير الملتزمين المتمسكين بتعاليم الدين ليعيش المؤمنون –ومنهم الدعاة أنفسهم– في عزة وقوة، وفي أمن ورخاء[٥].

---

(١) سورة النور، الآية: ٥٥.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

(٣) سورة ص، الآية: ٢٦.

(٤) المقدم، **أهداف الدعوة ومنطلقاتها**، ط ١، ١/ ٦٠٤.

(٥) وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، **الموسوعة الفقهية الكويتية**، ط١، ٢٠/ ٣٢٥.

الفصل الثاني: الخطاب الإعلامي: وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الخطاب الإعلامي: وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الخطاب لغة واصطلاحا:

تعريف الخطاب لغة:

الخاء والطاء والباء أصلان: أحدهما الكلام بين اثنين، يقال: خاطبه يخاطبه خطابا، والخطبة من ذلك، وفي النكاح الطلب أن يزوج، قال الله تعالى:﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾[1]، والخطبة: الكلام المخطوب به، ويقال اختطب القوم فلانا، إذا دعوه إلى تزوج صاحبتهم، والخطب: الأمر يقع؛ وإنما سمي بذلك لما يقع فيه من التخاطب والمراجعة[2].

وخطب الخاطب على المنبر خطابة بالفتح وخطبة بالضم، وذلك الكلام: خطبة أيضا، أو هي الكلام المنثور المسجع ونحوه، ورجل خطيب: حسن الخطبة بالضم[3]، و(الخطاب): الكلام والرسالة، وفي التنزيل العزيز: ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ﴾[4]، وفصل الخطاب ما ينفصل به الأمر من الخطاب، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾[5][6].

والخطاب: مراجعة الكلام،[7]، وهو المواجهة بالكلام، أو ما يخاطب به الرجل صاحبه، ونقيضه الجواب[8].

([1]) سورة البقرة، الآية: ٢٣٥.

([2]) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ط ١، مادة خطب، ٢/ ١٩٨.

([3]) الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، ط٨، مادة خطب، ١/ ١٠٣.

([4]) سورة ص، الآية: ٢٣.

([5]) السورة السابقة، الآية: ٢٠.

([6]) إبراهيم، والنجار، وعبد القادر، والزيات، **المعجم الوسيط**، ط ١، مادة خطب، ١/ ٢٤٣.

([7]) ابن منظور، **لسان العرب**، ط٣، مادة خطب، ١/٣٦٠.

([8]) العدناني، **معجم الأخطاء الشائعة**، ط٢، مادة خطب.

تعريف الخطاب اصطلاحا:

الخطاب اصطلاحا: هو مقطع كلامي يحمل معلومات يريد المرسل (المتكلم أو الكاتب) أن ينقلها إلى المرسل إليه (السامع أو القارئ)، ويكتب الأول رسالة ويفهمها الآخر بناء على نظام لغوي مشترك بينهما[1].

وهو الكلام الذي يقصد به إفهام من هو أهل للفهم[2].

وعرفه آخر بقوله: هو مادة الكلام المقول أو المكتوب بين المتكلم أو السامع، وبين الخطيب والمخاطب، وبين الكاتب والقارئ[3].

المطلب الثاني: تعريف الإعلام لغة واصطلاحا:

تعريف الإعلام لغة:

الإعلام لغة: مصدر أعلم يعلم، بمعنى الإنباء والإخبار والإيذان والإشعار، واسم الفاعل منه: معلم، و(أعلم) نفسه وفرسه: جعل له أو لها علامة في الحرب، والثوب: جعل له علما من طراز وغيره، وفلانا الخبر، وبه أخبره به، وعلى كذا من كتاب وغيره: جعل عليه علامة، وفلانا الأمر حاصلا: جعله يعلمه[4]، وعلمه العلم وأعلمه إياه فتعلمه، وفرق سيبويه بينهما، فقال: علمت كأذنت، وأعلمت كآذنت"، وعلمته الشيء فتعلم وعلمه يعلمه ويعلمه علما: وسمه، وعلم نفسه وأعلمها: وسمها بسيما الحرب، ورجل معلم إذا علم مكانه في الحرب بعلامة أعلمها، وقد أعلمه: جعل فيه علامة وجعل له علما، وأعلم القصار الثوب فهو معلم والثوب معلم[5].

([1]) إميل، **قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية**، ط١، مادة خطب.

([2]) الكفومي، **الكليات**، ط ١، ٤١٩.

([3]) الجابري، **التعبير عن الرأي بعد التعديل**، ط ١، ١/ ٢٦.

([4]) إبراهيم، والنجار، وعبد القادر، والزيات، **المعجم الوسيط**، ط ١، مادة: أعلم، ٢/ ٦٢٤.

([5]) ابن منظور، **لسان العرب**، ط٣، مادة: أعلم،١٢ / ٤١٦.

تعريف الإعلام اصطلاحا:

يمكن تعريفه بأنه: "تبليغ ما يراد تبليغه بوسيلة الكلام أو ما يقوم مقامه من رموز وإشارات"[1]، وهذا التعريف عام في كل إعلام، سواء كان مهنيا أو لم يكن، فنيا أو غير فني، عاما أو خاصا.

وعرف بأنه:" نقل الأخبار والمعلومات بصورة موضوعية"، لأن الإعلام من حيث اللغة يعني إخبار أو إطلاع الآخرين،وهو يعني بالإنجليزية: (Information)[2]، وهذا التعريف يشترط الموضوعية، وهي مهمة في الإعلام المتخصص كحرفة أو صنعة متخصصة.

والتعريف المختصر والراجح هو: نقل الأخبار والوقائع بصورة صحيحة، فالصحة هي المهم وهي الهدف المنشود من الأخبار، فمتى وجدت كان الإعلام بناء وواقعيا، ومتى انعدمت الصحة كان الإعلام متأثرا بعوامل خارجية، كالميل إلى العاطفة
أو المذهب أو التوجه، أو لظروف قاهرة، والموضوعية لازمة للصحة، فلا صحة للأخبار يدون موضوعية وإنصاف.

أما مفهوم الإعلام الإسلامي فهو إعلام عام في محتواه ووسائله يلتزم في كل ما ينشره أو يذيعه أو يعرضه على الناس بالتصور الإسلامي للإنسان والكون والحياة المستمدة أساسا من القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية وما ارتضته الأمة من مصادر التشريع في إطارها[3].

كما يعرف الإعلام الإسلامي بأنه: "استخدام منهج إسلامي بأسلوب فني إعلامي، لنشر الأفكار المتحضرة والأخبار الحديثة والقيم والمبادئ والمثل، في إطار الموضوعية التامة بهدف التوجيه والتوعية والإرشاد لإحداث التأثير المطلوب"[4].

والدين الإسلامي دين إعلامي بطبيعته، لأنه يقوم على الإفصاح والبيان.

([1]) المبارك، **أجهزة الإعلام ودروها في توجيه المجتمع**، ط ١، ٦٧.

([2]) عبد اللطيف، **تنمية المجتمع وقضايا العالم التربوية**، ط ١، ١٣٥.

([3]) يونس، **وظائف الإعلام الإسلامي**، ط ١، ٢٨-٢٩.

([4]) كحيل، **الأسس العلمية والتطبيقية للإعلام الإسلامي**، ط ١، ٢٩.

المطلب الثالث: تعريف الخطاب الإعلامي باعتباره علما:

الإعلام قديم النشأة، صاحب الجماعة البشرية منذ تكوينها، وتطور بتطور الفكر البشري، إلى أن وصل إلينا في عصرنا الحاضر بسبب التقدم العلمي والصناعي، ولكن جوهره الذي يقوم عليه والدعامة التي يرتكز عليها هي "الكلمة" منطوقة أو مكتوبة أو ما ينوب عنها من أصوات ورموز، فالإعلام إذا قديم قدم الإنسان وقدم المجتمع البشري، فمنذ أن وجد الإنسان على هذا الكوكب استخدم بعض الحركات، الشكل البدائي للإعلام قبل أن يهتدي الإنسان إلى اللغة ثم وجد الإعلام بشكله البسيط[1].

ولم يحظ الخطاب الإعلامي باهتمام الباحثين اللغويين العرب إلا في الآونة الأخيرة؛ فقد بدأت الدراسات العربية في تحليل الخطاب خلال الثمانينات، على الرغم من تطوره في أوربا والولايات المتحدة الأمريكية[2]، فظهرت في مطلع الثمانينات مدارس تحليل الخطاب التي انتشرت وأصبح لها وجود وتأثير ملحوظ في الدراسات الأجنبية والعربية، ومع ذلك فإن هناك غموضا وعدم اتفاق بين هذه المدارس حول مفهوم الخطاب الإعلامي ومكوناته، وبغض النظر عن هذه الاختلافات فإنه يجب التسليم بأن الخطاب الإعلامي ممارسة اجتماعية متغيرة، ويتعرض دائما للتغير والتطور، لكن الأمر الأكثر أهمية هو أن يفهم أن الخطاب الإعلامي ليس شيئا واحدا بل هناك عدد من الخطابات الإعلامية المتصارعة أو المتعاونة، كما أن هناك تداخلا أو تعايشا بين أكثر من خطاب، وتعكس هذه الخطابات المتداخلة حقائق اجتماعية متباينة ومصالح متعارضة، ومع ذلك فقد تحدث استعارات في المفاهيم والأطروحات في إطار محاولة كل خطاب أن يواكب الواقع ويحظى بقدر أكبر من التأثير الاجتماعي[3].

وبعد التعرض لتعريف لفظتي كل من الخطاب والإعلام في اللغة والاصطلاح، وفهم أن مفردة أعلم في اللغة العربية تعني: نقل علما أو أحاط آخرين علما بخبر أو معلومة، ومع إرادة معنى الاستمرارية يكون تعليما، فكلمة إعلام تشمل نقل المعلومات والإفادات بالخبرات والتجارب كما

([1]) البر، **الإعلام الإسلامي**، ط ١، ١ / ١.

([2]) أحمد، **مدارس تحليل الخطاب الإعلامي**، http://www.alnoor.se.

([3]) شومان، **الخطاب الإعلامي**: www.al-hodaonline.com..

تعنى: نقل الأخبار، وأن كلمة خطاب تعني توجيه الكلام لشخص أو أشخاص أو جهة ما، لقصد إفادة علم معين أو خبر محدد، أو إيصال معنى مراد إلى نفس المخاطب أو المخاطبين، لإحداث التأثير المطلوب في نفوس المخاطبين، فيكون الخطاب الإعلامي إذا: توصيل معلومة أو خبر إلى شخص أو أشخاص أو جهة ما، لإحداث أثر نفسي في المستهدف، بحيث يولد طاقة حركية لمساندة ومناصرة عملية للاتجاه المطلوب[1].

وقد عرف الخطاب الإعلامي أيضا بأنه: "منظومة الرموز التي تعبر عن موقف طرف معين، والتي يراد لها أن تكون لغة التعامل مع الآخر، عبر وسائل الاتصال المختلفة"[2].

وكل خطاب إعلامي مراده الأول طلب قناعة ومسايرة المخاطبين لمرسل الرسالة، ولكن لا يوجد خطاب إعلامي البتة يحقق المطابقة الكاملة بين رؤية المخاطب والمخاطب، ولا يؤدي إلى استثارة ذات الطاقات المؤيدة المساندة المرجوة تماما عند مرسل الرسالة، بل إن الأمر يتفاوت بتفاوت الأشخاص المقصودين بالرسالة، ويتعلق بمدى إحاطة المخاطب "صاحب الرسالة" بأحوال المخاطبين وأوضاعهم النفسية والمزاجية ومستوياتهم الإدراكية والفكرية[3].

([1]) حراس البوابة والخطاب الإعلامي، **المدونة السياسية**، http://aminhassanomer.blogspot.com .

([2]) الكركوشي، **الخطاب الإعلامي في المرحلة القادمة**،http://www.siironline.org .

([3]) حراس البوابة والخطاب الإعلامي، **المدونة السياسية**،http://aminhassanomer.blogspot.com .

المبحث الثاني: محور الخطاب الإعلامي:

يراد بمحور الخطاب الإعلامي: ما يقوم عليه وما يرتكز عليه من أسس وقواعد وضوابط، والتي من خلالها يمكن أن يؤدي الخطاب واجبه ويلعب دوره، ويؤثر تأثيرا بالغا وحقيقيا في المستهدفين، وحتى يكون الإعلام في موضعه الصحيح في شبكة النهضة والإصلاح فإنه مطلوب منه:

١- الشمول:

شمول في الرسائل والوسائل، وشمول في المستقبلين، فالعمل الإعلامي منظومة متكاملة تستوفي صيغا وشرائح ووسائل كثيرة...

وشمول في المعالجة والاهتمام والتغطية، اقتصاد، سياسة، ثقافة، تنمية، سكان..

٢- النسبية:

أ- نسبية الخطأ والصواب، وذلك يعني أن ثمة ما هو أكثر صوابا وخطأ وكمالا، وجواز تعدد الصواب، واختلاف مراتب الخطأ، ويقتضي ذلك بالضرورة إفساح المجال للآراء ووجهات النظر المخلفة مهما تباينت.

ب- نسبية الأداء والإنجاز والكمال، ويقتضي ذلك بالضرورة البحث المستمر عن الأكثر صوابا وكمالا، والسعي الدائم للاقتراب من الصواب والأفضل، باعتباره هدفا مثاليا يصعب؛ بل يستحيل الوصول إليه، لكنه يظل هاجسا يدفع إلى التطوير والحوار والمراجعة.

٣- التراكم والاستيعاب والإبداع:

الإحاطة ببرامج وأعمال إعلامية أخرى وسابقة، ورصدها ومتابعتها، وإخراج عملنا الإعلامي وفق ما يطور المشروع الإعلامي كله، ويسد النقص، ويحقق الاحتياجات، ويميزه عن غيره.

٤- التكامل والتنسيق:

تحديد إنجازات المؤسسات الأخرى ودورها ومهماتها، ووضع العمل الإعلامي في سياق العمل وفي مواقع تمنع التكرار والازدواجية، أو حدوث فراغ وتقصير.

٥- التخصص:

أ - السعي في استيفاء التخصصات والاحتياجات.

ب- توزيع الأدوار والأعباء وفق الاستعدادات والتخصصات.

٦- **اعتبار التغير المستمر في المعلومات والأحداث والتقنيات،** ويقتضي ذلك بالضرورة الإحاطة الدقيقة والشاملة بمجالاته ومهنه، والتعليم المستمر وإعادة التأهيل وفق المتغيرات المستمرة.

٧- **التفكير المستقبلي الدائم في الأحداث والتغيرات والاحتياجات،** لاستيعاب التغيرات والتكيف معها، ومواجهة حالة الرمال المتحركة التي تشمل السياسة والتقنية والحضارة والمجتمعات، وحالة التطور المستمر المذهل في مدخلات حياة الناس واقتصادهم وتعليمهم، أو ما يطلق عليه عصر المعلومات أو حضارة المعلومات.

٨- **الاهتمام بالآخر**: فكرا، ومؤسسات، وبرامج ومواقف، واستحداث التعامل المستمر معه ترجمة أو تنسيقا أو استيعابا أو مواجهة..

٩- المرحلية:

أ- تحديد المراحل وفهمها واستيعاب علاقاتها المتدرجة والمتداخلة.

ب- التعامل مع المرحلة بما يلائمها، وتحديد أولوياتها واحتياجاتها.

١٠- الموازنة:

أ- بين الطموح والممكن.

ب- ما يجب تغييره أو تحقيقه، وما يمكن تغييره أو تحقيقه.

١١- **السعي في اكتساب أصدقاء ومؤيدين،** أو تحييد الناس وتجنب استعدائهم على أقل تقدير، رسميا وشعبيا.

١٢- **المعالجة التفصيلية للقضايا والموضوعات والابتعاد عن التعميم،** أو التأييد أو المعارضة المطلقة.

١٣- **تجنب الاتهام والشتم والتعرض بالتجريح للحكومات أو المؤسسات أو الأشخاص،** لا يمنع ذلك من الانتقاد والمعارضة في إطار التحليل والدراسة.

١٤- الاعتماد قدر الإمكان على حشد الأدلة والمعلومات والبيانات من جميع المصادر، المحايدة منها خاصة[١].

المبحث الثالث: أنواع الخطاب الإعلامي:

ينهج العلماء في تحديد أنواع الخطاب الإعلامي منهجين اثنين، فهناك من ينظر إلى الخطاب من حيث الباعث والدافع منه، وهناك من ينظر إليه من حيث واقعه وحقيقته، فيكون للخطاب أنواع مختلفة تتعدد بحسب الغاية منه والمجال الموجه إليه، فمن اعتبر الخطاب من حيث الباعث قسم الخطاب الإعلامي إلى الخطاب العاطفي والخطاب الاجتماعي والفكري والثقافي والسياسي، **فالخطاب العاطفي**: هو الذي يبنى على استثارة المشاعر، وعلى الحماس لطرف أو جهة ما، فامتلاك العاطفة ضرورة نسبية في مجموع حواراتنا وخطاباتنا، تؤدي إلى خلق روح إنسانية نوعية تؤسس لتطور علم الجمال، تحدث نقاط التقاء مهمة.

والخطاب الاجتماعي: هو الذي يركز على الأمور الاجتماعية،كالزواج والولادة والعادات والأعراف والقيم.

والخطاب الفكري: هو ما ينصب على الأمور الفكرية والذهنية من الأفكار.

والخطاب الثقافي: هو الخطاب الذي يقصد به تثقيف المخاطبين وتوسيع مداركهم واطلاعاتهم.
والخطاب السياسي: هو الخطاب الذي يتعلق بأمور السياسة،من ولاية أو إمارة أو حكومة أو رئاسة أو إدارة ونحوها مما يتعلق بسياسة البلاد والعباد.

ومن اعتبر الخطاب من حيث عرضه وواقعه فإنه ينقسم الخطاب الإعلامي إلى إيجابي وسلبي، وقد ينقسم بعضهم الإيجابي إلى قسمين على التفصيل الآتي:

---

(١) غراية، **موسوعة البحوث والمقالات العلمية في الخطاب الإعلامي للعمل الإسلامي**، **www.islamport.com**.

الأول: الإيجابي: وهو الإعلام الذي يرصد الحقيقة وينقلها كما هي، للبناء والإعمار وخدمة المجتمع.

الثاني: وهو الذي ينقل المعلومة بأمانة وصدق، لكنه يوظفها لخدمة خارجية، غالبا بالضد من مصلحة الوطن والمواطن.

الثالث: السلبي: وهو الذي يعتم على الحقيقة، ويرصد السلبيات من الأمور بشكل خاص.

وقد يقسمه بعض هؤلاء إلى حيادي وانحيازي، **فالخطاب الحيادي:** هو الذي يلتزم بالإنصاف في نقل المعلومات، دون الميل إلى أي طرف من الأطراف أو جهة من الجهات.

والخطاب الانحيازي: هو ما ينحاز ويميل إلى أحد الأطراف، أو إحدى الجهات، لسبب ما من الأسباب[1].

([1]) الحربي، **الأسلوبية في النقد العربي الحديث**، ط١، ٣٨. ٣٩.

المبحث الرابع: أهداف الخطاب الإعلامي:

بما أن الخطاب الإعلامي هو كلام يرمي به إلى تحقيق غاية ما، فلابد أن المحرك الرئيس لهذه الرسائل الإعلامية يتحرك من تلقاء دوافع وأفكار ومقاصد، وبالتالي فلابد من التوقف عند هذه الدوافع والأفكار والمقاصد، والدوافع ربما تكون فكرية "أيدولوحية"، أو سياسية، لتحقيق التمكن من السلطان أو النفوذ، أو اقتصادية لتحقيق النفع أو الربح، أو قد تكون حزمة من كل هذه الدوافع، ولا شك أن طبيعة وسائط الاتصال تعطي السلطة الأكبر في تحديد مقاصد المؤسسة الإعلامية[1].

وبالتالي يمكن القول بأن تحديد نوع الخطاب هو الذي يحدد بالتالي الهدف منه، فإن كان الخطاب فكريا كان هدفه فكريا، وإن كان سياسيا كان سياسيا، وهكذا الأمر إن كان اقتصاديا أو اجتماعيا أو غيرها.

([1]) حراس البوابة والخطاب الإعلامي، **المدونة السياسية**، http://aminhassanomer.blogspot.com.

المبحث الخامس: علاقة تلك القضايا بالواقع المعاصر:

يقول الله تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[1]، وهذه الآية تتضمن توجيها من الله سبحانه لعباده ودعاته أن يتحروا الأحسن في لغة خطابهم ودعوتهم للآخرين، ليستطيعوا من خلالها كسب القبول والتأييد لمواقفهم وقضاياهم، ويقول تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾[2]، وهذه الآية تبين المنهجية الصحيحة في نقل الأخبار والمعلومات، وهي أن يسند الأمر إلى أهله، فيتولى ذلك من هو أحق الناس به من حيث العدالة والضبط والحكمة في طريقة النقل، وأن ذلك هو السب الذي يحفظ سلامة المجتمع من الزلق والردى، وأما إذا أسند الأمر إلى عامة الناس وغبر المؤهلين، فإنهم ينشرونها بطرق غير ملائمة، تؤدي إلى خلل كبير في المجتمع، وربما أدى ذلك إلى الفوضى والبلوى، وتعتبر العلاقة بين المنظومة الإعلامية ومنظومة القيم الاجتماعية والأخلاقية علاقة فاعلة ومتداخلة على اعتبار أن وسائل الإعلام في أي مجتمع هي الوسائل الناقلة لأنماط التفكير والمعرفة والقيم والإفهام، وبالتالي فهي تساهم في خلق جانب كبير من الثقافة الاجتماعية وطريقة حياة أي شعب أو مجموعة سكانية معينة، وقد اهتم معظم فقهاء الاتصال بالوظائف الاجتماعية لوسائل الإعلام، وحاولوا تحديد أدوار تلك الوسائل إزاء المجتمع ورصد نتائج وتأثيرات هذه الأدوار، ويرون أن من بين وظائف وسائل الإعلام مراقبة البيئة الاجتماعية من خلال تجميع المعلومات وتوزيعها، حتى يتمكن المجتمع من التكيف مع الظروف المتغيرة، كما يرون أن لوسائل الإعلام مهمة أخرى هي زيادة ترابط أجزاء المجتمع في الاستجابة لتحديات البيئة المحيطة بهم، أي خلق رأي عام وطني موحد يساعد الجميع للتغلب عليها، مثلما تتولى وسائل الإعلام عملية نقل التراث الاجتماعي من جيل إلى آخر، عبر الوظائف الآتية:

١. مراقبة البيئة الاجتماعية وتزويدها بالمعلومات والتنبيه بالمخاطر.

٢. خلق المثل الاجتماعي، وذلك بتقديم النماذج الايجابية في الأمور العامة والثقافة والفنون.

٣. التنشئة الاجتماعية، وهدفها المساعدة في توحيد المجتمع من خلال توفير قاعدة مشتركة للقيم والخبرات الجماعية.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٥٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٣

٤ . تحقيق التواصل الاجتماعي من خلال التعبير عن الثقافة السائدة والكشف عن الثقافات الفرعية ودعم القيم الشائعة.

٥ . التعبئة وتتمثل في الإسهام في الحملات الاجتماعية، وبصفة خاصة في الأزمات السياسية والاقتصادية والحروب.

بوجه عام، يمكن القول إن وسائل الإعلام تؤثر في مجرى تطور البشر، فهناك علاقة سببية بين التعرض لوسائل الإعلام والسلوك البشري، لكن آثار هذه الوسائل عديدة ومختلفة الشدة، قد تكون قصيرة الأمد أو طويلة الأمد، ظاهرة أو مستترة، قوية أو ضعيفة، ويمكن أن تؤثر في الآراء أو القيم ومستوى المعلومات والمهارات والذوق والسلوك[1].

(1) الهنداوي، **أثر الخطاب الإعلامي في القيم الاجتماعية**، جريدة الصباح-٢٠-٦-٢٠٠٦.

الباب الثاني: الأمم وما يتعلق بها: وفيه فصلان:

الفصل الأول: تعريف الأمم:وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف الأمم لغة:

الأمم لغة: جمع الأمة، بضم الهمزة وفتح الميم المشددة، وتأتي بكسر الهمزة في لغة، وهي مأخوذة من أمم إليه بمعنى قصد، وهي: تطلق على الرجل الجامع للخير، والإمام، والجيل من كل حي، والجنس، فكل جنس من الحيوان أمة، والأمة: الجماعة، وكل قوم نسبوا إلى شيء وأضيفوا إليه فهم أمة، وهي الطريقة والدين، ومنه قول الله تعالى:﴿ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾[1]، يقال: فلان لا أمة له، أي لا دين له ولا نحلة له، والوجه، يقال: لا أمة لبني فلان، أي: ليس لهم وجه يقصدون إليه، وأمة الله تعالى: خلقه يقال: ما رأيت من أمة الله أحسن منه، والأمة: الحين، قال تعالى:﴿وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾[2]، والأمة: القرن من الناس؛ يقال: قد مضت أمم أي قرون، والإمة بالكسر: النعمة، والإمة أيضا: لغة في الأمة، وهي في اللفظ واحدة وفي المعنى جمع[3].

ومما سبق يتبين أن اللفظ يطلق على معاني كثيرة جدا، والسياقات والقرائن هي التي تحدد المعنى المراد منه.

([1]) سورة الزخرف، الآية: ٢٢.

([2]) سورة يوسف، الآية: ٤٥.

([3]) ابن منظور، **لسان العرب**، ط٣، ١٢ /٢٣. ٢٨، مادة ''أم''، و الهروي، **تهذيب اللغة**، ط١، ١٥ /٤٥٤. ٤٥٦، مادة ''أم''.

والخلاصة: أن أصل هذا الباب كله من (القصد)، يقال: **أممت** إليه، إذا قصدته، فليس يخرج شيء من هذا الباب عن معنى (أممت)، أي: قصدت، كما يتلخص في تعريف الأمة لغة: أنها تطلق على أشياء كثيرة، أهمها: القوم المجتمعون على أمر، ثم شاع استعمالها في الدين أو الملة[1].

(1) الزحيلي، **التفسير المنير**، ط٢، ١٧ /١٢٧.

المبحث الثاني: تعريف الأمم اصطلاحا:

الأمم اصطلاحا: هم الجماعة المرسل إليهم رسول من الله، لهدايتهم إلى صراطه المستقيم[1].

وأمة كل نبي: من أرسل إليهم من كافر ومؤمن، وكل قوم نسبوا إلى نبي فأضيفوا إليه فهم أمته، ومن معانيها: جماعة من الناس يجمعهم أمر ما، إما دين واحد، أو زمان واحد، أو مكان واحد، سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخيرا أو اختيارا[2]، وفي التنزيل:﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا** ﴾[3].

([1]) الكويت، **الموسوعة الفقهية الكويتية**، ط٢، ٣٢ / ١٠٥.

([2]) الأصفهانى، **المفردات**، ط ١، ٨٦/١، والكفوري، **الكليات**، ط ١، ١٧٦/١.

([3]) سورة النحل، الآية: ٣٦.

الفصل الثاني: التمييز القرآني للأمم: وفيه خمسة مباحث:

لقد تحدث القرآن الكريم عن الأمم السالفة بأساليب متعددة وطرق متنوعة، فأحيانا يتناول الأمم بشكل عام، فيتحدث عنها في الجملة، ويشركهم في القضايا العامة التي تعم جميعهم، وتارة يأتي على أمم خاصة، فيخصصهم بالذكر، وذلك لما اختصوا به دون سائر الأمم، وطورا يركز على أفراد بأعيانها، إما لكونهم رؤساء الأقوام، وإما لأنهم كانت لهم مواقف بارزة في تلك الأمم، أو يخصص جنسا معينا، وكل ذلك لأخذ العبرة والعظة والاستفادة من دروس الآخرين، لأن الإنسان مهما كان لا يخلو من أن يكون واحدا من تلك الأنواع السالفة الذكر، فيأخذ دروسا من تلك القصص التي هو من نوعها.

وسوف أتناول الحديث عن الأمم حسب المبحث أو المطلب الخاص بها، بناء على الترتيب الزمني لها، وربما أراعي ترتيب القرآن الكريم فيما لم يتضح لي تاريخها.

وهذا التمييز القرآني يتضمن خمسة مباحث:

المبحث الأول: ذكر القرآن للأمم في الجملة

وفيه مطلبان:

إن مما عنى الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز، تناول الحديث عن الأمم السابقة بوجه عام، وذلك في موضوعات مختلفة وبأنماط متعددة، من خلال الأمور التي اتفقت عليها الأمم، أو من خلال القضايا التي تتعلق بجميعهم، أو جميع الأمة المحمدية، فيما يمتاز به عن الأمم الأخرى، وفيما يلي ذكرها:

المطلب الأول: ما يشترك فيه جميع الأمم، وهو أحد عشر أمرا:

أولا: كون جميع الناس أمة واحدة على التوحيد:

قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾[1].

ذكر الإمام ابن جرير الطبري بسنده، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: "كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين"، وكذلك هي في قراءة ابن مسعود رضي الله عنه: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ﴾[2]، ورواه الحاكم في مستدركه، ثم قال: صحيح ولم يخرجاه[3].

وعن أبي بن كعب: أنه كان يقرؤها: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾، وعن قتادة في قوله: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ قال: كانوا على الهدى جميعا، "فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين منذرين" فكان أول نبي بعث نوحا، وهكذا قال مجاهد، كما قال ابن عباس أولا،

([1]) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.

([2]) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ٤/٢٧٥.

([3]) أخرجه الحاكم، في المستدرك على الصحيحين، ٢/٥٤٦. ٥٤٧، وقال الحاكم: "صحيح على شرط البخاري ". ووافقه الدهبي، **الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة**، ط١، ٧/ ٨٥٤. وأخرجه الطبري في "تفسيره " ط١، ٢/ ١٩٤،

وعن ابن عباس أيضا: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ يقول: كانوا كفارا، ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [1].

قال ابن كثير: "والقول الأول عن ابن عباس أصح سندا ومعنى؛ لأن الناس كانوا على ملة آدم، عليه السلام، حتى عبدوا الأصنام، فبعث الله إليهم نوحا، عليه السلام، فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، ولهذا قال: ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ أي: من بعد ما قامت عليهم الحجج، وما حملهم على ذلك إلا البغي من بعضهم على بعض، ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾"، وعن أبي هريرة في قوله: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾ قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، نحن أول الناس دخولا الجنة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم، فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق، فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه، فهدانا له فالناس لنا فيه تبع، فغدا لليهود، وبعد غد للنصارى"[2].

وعن عبد الرحمن[3] بن زيد بن أسلم[4]، عن أبي بن كعب في قوله: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾ فاختلفوا في يوم الجمعة، فاتخذ اليهود يوم السبت، والنصارى يوم الأحد، فهدى الله أمة محمد ليوم الجمعة، واختلفوا في القبلة؛ فاستقبلت النصارى المشرق، واليهود بيت المقدس، فهدى الله أمة محمد للقبلة، واختلفوا في الصلاة؛ فمنهم من يركع ولا يسجد، ومنهم من

---

(1) ابن كثير، **إتفسير القرآن العظيم**، ط١، ١/ ٥٦٩.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، ٢/ ٥٨٦ حديث رقم: ٨٥٥.

(3) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، روى حديثه عبد الله بن وهب، أسلم هذا هو خادم النبي {صلى الله عليه وسلم} ذكر في هذا الحديث، وأسلم مولى عمر بن الخطاب، يقال: أدرك النبي {صلى الله عليه وسلم} ولم يره، ابتاعه عمر في حجنه التي أمره عليها أبو بكر، وله ولد يسمى زيد بن أسلم. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ط٢، ٣٦٢/١٥.

(4) هو زيد بن أسلم العدوي العمري مولاهم، أبو أسامة أو أبو عبد الله: فقيه مفسر، من أهل المدينة، كان مع عمر بن عبد العزيز أيام خلافته، واستقدمه الوليد ابن يزيد، في جماعة من فقهاء المدينة، إلى دمشق، مستفتيا في أمر، وكان ثقة، كثير الحديث، له حلقة في المسجد النبوي، وله كتاب في (التفسير) رواه عنه ولده عبد الرحمن، توفي سنة: ١٣٦هـ. الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، ط ١، ١/ ١٣٢ - ١٣٣.

يسجد ولا يركع، ومنهم من يصلي وهو يتكلم، ومنهم من يصلي وهو يمشي، فهدى الله أمة محمد للحق من ذلك، واختلفوا في الصيام، فمنهم من يصوم بعض النهار، ومنهم من يصوم عن بعض الطعام، فهدى الله أمة محمد للحق من ذلك، واختلفوا في إبراهيم، عليه السلام، فقالت اليهود: كان يهوديا، وقالت النصارى: كان نصرانيا، وجعله الله حنيفا مسلما، فهدى الله أمة محمد للحق من ذلك، واختلفوا في عيسى، عليه السلام، فكذبت به اليهود، وقالوا لأمه بهتانا عظيما، وجعلته النصارى إلها وولدا، وجعله الله روحه، وكلمته، فهدى الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم للحق من ذلك، وقال الربيع بن أنس[1] في قوله: ﴿ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ﴾ أي: عند الاختلاف أنهم كانوا على ما جاءت به الرسل قبل الاختلاف، أقاموا على الإخلاص لله عز وجل وحده، وعبادته لا شريك له، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فأقاموا على الأمر الأول الذي كان قبل الاختلاف، واعتزلوا الاختلاف، وقوله: ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ أي: بعلمه، بما هداهم له، ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ أي: من خلقه ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: وله الحكم والحجة البالغة[2].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُواْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾﴾[3].

أخبر تعالى أن الشرك حادث في الناس، كائن بعد أن لم يكن، وأن الناس كلهم كانوا على دين واحد، وهو الإسلام؛ قال ابن عباس: كان بين آدم ونوح عشرة قرون، كلهم على الإسلام، ثم وقع الاختلاف بين الناس، وعبدت الأصنام والأنداد والأوثان، فبعث الله الرسل بآياته وبيناته وحججه البالغة وبراهينه الدامغة، ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾[4]، وقوله: ﴿وَلَوْلَا

([1]) هو الربيع بن أنس البكري ويقال الحنفي، البصري الخراساني، سكن مرو، برز في التفسير والحديث، وهو في الحديث صدوق له أوهام، ورواية أبي جعفر عنه فيها اضطراب، روى له الأربعة، وتوفي في سنة سبع وثلاثين ومائة. ابن حبان، **الثقات**، ط١، ٤/ ٢٢٨، ابن حجر، **تقريب التهذيب**، ط١، ١/ ٢٤٠.

([2]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ١/ ٥٧٠. ٥٧١.

([3]) سورة يونس، الآية: ١٩.

([4]) سورة الأنفال، الآية: ٤٢.

كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[1]. أي: لولا ما تقدم من الله تعالى أنه لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه؛ وأنه قد أجل الخلق إلى أجل معدود لقضى بينهم فيما فيه اختلفوا، فأسعد المؤمنين، وأعنت الكافرين[2].

ثانيا: حكمة الله في اختلاف شرائع الأمم:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[3].

قوله:(وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً)، أي: لجعل شريعتكم واحدة فكنتم على الحق، فبين أنه أراد بالاختلاف إيمان قوم وكفر قوم، (وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ) في الكلام حذف تتعلق به لام كي، أي ولكن جعل شرائعكم مختلفة ليختبركم، والابتلاء الاختبار، ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ أي سارعوا إلى الطاعات، وهذا يدل على أن تقديم الواجبات أفضل من تأخيرها[4]، ولتضمين فعل استبقوا بمعنى خذوا، أو ابتدروا، عدي الفعل إلى الخيرات بنفسه، وحقه أن يعدى بإلى، كقوله: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[5]، ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[6]. أي فيخبركم بما كنتم في الدنيا من الاختلاف في قبول الدين[7].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾[8].

---

(1) سورة يونس، الآية: ١٩.

(2) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٤/ ٢٥٧.

(3) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

(4) القرطبي، **الجامع**، ط ١، ٦/ ٢١١.

(5) سورة الحديد، الآية: ٢١.

(6) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

(7) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ط١، ٦/٢٢٥.

(8) سورة النحل، الآية: ٩٣.

قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ أي على ملة واحدة،﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ بخذلانه إياهم، عدلا منه فيهم، ﴿وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ بتوفيقه إياهم، فضلا منه عليهم، ولا يسأل عما يفعل، بل تسألون أنتم، والآية ترد على أهل القدر الذين ينكرون دور القدر في الأمور، واللام في"وليبينن ولتسئلن"مع النون المشددة يدلان على قسم مضمر، أي والله ليبينن لكم ولتسئلن[1]،﴿وَلَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ من خير وشر فيجازيكم عليها أتم الجزاء وأعدله[2].

وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ٨﴾[3].

يقول تعالى ذكره: ولو أراد الله أن يجمع خلقه على هدى، ويجعلهم على ملة واحدة لفعل، و﴿لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ يقول: أهل ملة واحدة، وجماعة مجتمعة على دين واحد، ولم يفعل ذلك، ﴿وَلَٰكِن يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾، يعني أنه يدخل من يشاء من عباده في رحمته بتوفيقه إياه للدخول في دينه، الذي ابتعث به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم، ﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ﴾، أي والكافرون بالله ما لهم من ولي يتولاهم يوم القيامة، ولا نصير ينصرهم من عقاب الله حين يعاقبهم، فينقذهم من عذابه، ويقتص لهم ممن عاقبهم، وإنما قيل هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسلية له عما كان يناله من الهم بتولية قومه عنه، وأمرا له بترك إدخال المكروه على نفسه من أجل إدبار من أدبر عنه منهم، فلم يستجب لما دعاه إليه من الحق، وإعلاما له أن أمور عباده بيده، وأنه الهادي إلى الحق من شاء، والمضل من أراد دونه، ودون كل أحد سواه[4].

وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١١٩﴾[5].

([1]) القرطبي، **الجامع**، ط ١، /١٧٢.

([2]) السعدي، **تيسير الكريم**، ط١، ١/ ٤٤٨.

([3]) سورة الشورى، الآية: ٨.

([4]) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ٢١ / ٥٠٥.

([5]) سورة هود، الآيتان: ١١٨ – ١١٩.

يقول تعالى ذكره: ولو شاء ربك يا محمد لجعل الناس كلها جماعة واحدة على ملة واحدة، ودين واحد، ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾: ولا يزال الناس مختلفين، ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾،

اختلف أهل التأويل في "الاختلاف" الذي وصف الله الناس أنهم لا يزالون به على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنه الاختلاف في الأديان، فيكون المعنى: ولا يزال الناس مختلفين على أديان شتى، من بين يهودي ونصراني، ومجوسي، ونحو ذلك، واستثنى الله من ذلك من رحمهم، وهم أهل الإيمان.

القول الثاني: أن المعنى: ولا يزالون مختلفين في الرزق، فهذا فقير وهذا غني، سخر بعضهم لبعض.

القول الثالث: أن المراد: مختلفين في المغفرة والرحمة[1].

قال أبو جعفر الطبري: "وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: "ولا يزال الناس مختلفين في أديانهم وأهوائهم على أديان وملل وأهواء شتى، إلا من رحم ربك، فآمن بالله وصدق رسله، فإنهم لا يختلفون في توحيد الله، وتصديق رسله، وما جاءهم من عند الله"، وإنما كان ذلك أولى بالصواب، لأن الله جل ثناؤه أتبع ذلك بقوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[2]، ففي ذلك دليل واضح أن الذي قبله من ذكر خبره عن اختلاف الناس، إنما هو خبر عن اختلاف مذموم يوجب لهم النار، ولو كان خبرا عن اختلافهم في الرزق، أو المغفرة والرحمة، لم يعقب ذلك بالخبر عن عقابهم وعذابهم"[3].

وأما قوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾، فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله: فقال بعضهم: معناه: وللاختلاف خلقهم، وقال آخرون: بل معنى ذلك: وللرحمة خلقهم، وأولى القولين في ذلك بالصواب، قول من قال: وللاختلاف بالشقاء والسعادة خلقهم، لأن الله جل ذكره ذكر صنفين من خلقه:

([1]) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ١٥ /٥٣٥- ٥٣٦.

([2]) سورة هود، الآيتان: ١١٨ – ١١٩.

([3]) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ١٥/٥٣٧- ٥٣٨.

أحدهما أهل اختلاف وباطل، والآخر أهل حق، ثم عقب ذلك بقوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ﴾، فعم بقوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ﴾، صفة الصنفين، فأخبر عن كل فريق منهما أنه ميسر لما خلق له[1]، فإن قال قائل: فإن كان تأويل ذلك كما ذكرت، فقد ينبغي أن يكون المختلفون غير ملومين على اختلافهم، إذ كان لذلك خلقهم ربهم، وأن يكون المتمتعون هم الملومين؟ قيل: إن معنى الكلام: ولا يزال الناس مختلفين بالباطل من أديانهم ومللهم، ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾، فهداه للحق ولعلمه، وعلى علمه النافذ فيهم قبل أن يخلقهم أنه يكون فيهم المؤمن والكافر، والشقي والسعيد خلقهم، فمعنى اللام في قوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ﴾ بمعنى "على" كقولك للرجل: أكرمتك على برك بي، وأكرمتك لبرك بي، وأما قوله: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾[2]، فلعلمه السابق فيهم أنهم يستوجبون صليها بكفرهم بالله، وخلافهم أمره، وقوله: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ قسم كقول القائل: حلفي لأزورنك، وبدا لي لآتينك ، ولذلك تلقيت بلام اليمين، وقوله: ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ﴾ ، وهي ما اجتن (استتر) عن أبصار بني آدم، وهم الجن، سموا بذلك لاستتارهم عن أعين الناس، (والناس)، يعني: وبني آدم[3].

ثالثا: حكمة الله في منع اقتداء الأمم بالكفار:

قال تعالى: ﴿وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ﴿٣٣﴾﴾[4].

معنى الآية: لولا أن يكفر الناس جميعا بسبب ميلهم إلى الدنيا وتركهم الآخرة لأعطيناهم في الدنيا ما وصفناه، لهوان الدنيا عند الله عز وجل، وعلى هذا أكثر المفسرين، وقال بعضهم: ﴿وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ في طلب الدنيا واختيارها على الآخرة، وهذا دليل على حقارة الدنيا وقلة خطرها،

([1]) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ١٥/ ٥٣٨

([2]) سورة هود، الآيتان: ١١٨ – ١١٩.

([3]) الطبري، **جامع البيان** ط١، ١٥/ ٥٣٨

([4]) سورة الزخرف، الآية: ٣٣.

وأنها عند الله من الهوان بحيث كان يجعل بيوت الكفرة ودرجها ذهبا وفضة لولا غلبة حب الدنيا على القلوب، فيحمل ذلك على الكفر[1].

وقوله: ﴿لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا﴾ أي لولا أن يصيروا كلهم كفارا فيجتمعون على الكفر، لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة، سقفا: بضم السين والقاف، جمع سقف، {ومعارج} مصاعد ودرجا من فضة، {عليها يظهرون}، يعلون ويرتقون، يقال: ظهرت على السطح إذا علوته[2].

رابعا: كون كل أمة لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت:

قال تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾[3].

وقال تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾﴾[4].

يعني تعالى ذكره بقوله: "تلك أمة قد خلت" إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وأولادهم، يقول لليهود والنصارى: يا معشر اليهود والنصارى، دعوا ذكر إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والمسلمين من أولادهم بغير ما هم أهله، ولا تنحلوهم كفر اليهودية والنصرانية، فتضيفونها إليهم، فإنهم أمة – ويعني: ب"الأمة" في هذا الموضع: الجماعة والقرن من الناس، قد خلت: مضت لسبيلها، وإنما قيل للذي قد مات فذهب: "قد خلا"، لتخليه من الدنيا وانفراده، عما كان من الأنس بأهله وقرنائه في دنياه، وأصله من قولهم: "خلا الرجل"، إذا صار بالمكان الذي لا أنيس له فيه، وانفرد من الناس، فاستعمل ذلك في الذي يموت، على ذلك الوجه[5].

---

(1) القرطبي، **الجامع**، ط ١، ١٦ / ٨٤.

(2) البغوي، **معالم التنزيل**، ط١، ٤ / ١٥٩.

(3) سورة البقرة، الآية: ١٣٤.

(4) السورة السابقة، الآية: ١٤١.

(5) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ٣ / ١٠٠.

ثم قال تعالى ذكره لليهود والنصارى: إن لمن نحلتموه – ضلالكم وكفركم الذي أنتم عليه– من أنبيائي ورسلي، ما كسب، "والهاء والألف" في قوله:"لها"، عائدة إن شئت على"تلك"، وإن شئت على"الأمة"، ويعني بقوله: "لها ما كسبت"، أي ما عملت من خير، ولكم يا معشر اليهود والنصارى مثل ذلك ما عملتم، ولا تؤاخذون أنتم – أيها الناحلون ما نحلتموهم من الملل – فتسألوا عما كان إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وأولادهم يعملون، فيكسبون من خير وشر، لأن لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت، فدعوا انتحالهم وانتحال مللهم، فإن الدعاوى غير مغنيتكم عند الله، وإنما يغني عنكم عنده ما سلف لكم من صالح أعمالكم، إن كنتم عملتموها وقدمتموها[1].

خامسا: اتفاق الأمم على تكذيب الرسل:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾[2].

يقول تعالى ذكره: متوعدا لهؤلاء العادلين به الأصنام ومحذرهم أن يسلك بهم إن هم تمادوا في ضلالهم سبيل من سلك سبيلهم من الأمم قبلهم، في تعجيل الله عقوبته لهم في الدنيا ومخبرا نبيه عن سنته في الذين خلوا قبلهم من الأمم على منهاجهم في تكذيب الرسل: "لقد أرسلنا"، يا محمد،"إلى أمم"، يعني: إلى جماعات وقرون "من قبلك فأخذناهم بالبأساء"، يقول: فأمرناهم ونهيناهم، فكذبوا رسلنا، وخالفوا أمرنا ونهينا، فامتحناهم بالابتلاء "بالبأساء"، وهي شدة الفقر والضيق في المعيشة "والضراء"، وهي الأسقام والعلل العارضة في الأجسام[3].

وقوله:"لعلهم يتضرعون" يقول: فعلنا ذلك بهم ليتضرعوا إلي، ويخلصوا لي العبادة، ويفردوا رغبتهم إلي دون غيري، بالتذلل منهم لي بالطاعة، والاستكانة منهم إلي بالإنابة، وفي الكلام محذوف قد استغني بما دل عليه الظاهر من إظهاره دون قوله: "ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم"، وإنما كان سبب أخذه إياهم، تكذيبهم الرسل وخلافهم أمره، لا إرسال الرسل إليهم، وإذ كان ذلك

([1]) المصدر السابق، ٣ / ١٠١.

([2]) سورة الأنعام، الآية: ٤٢ – ٤٣.

([3]) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ١١ /٣٥٥.

كذلك، فمعلوم أن معنى الكلام: "ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك" رسلا فكذبوهم، "فأخذناهم بالبأساء"، و"التضرع": هو "التفعل" من "الضراعة"، وهي الذلة والاستكانة[1].

قوله: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[2].

هذا أيضا من الكلام الذي فيه متروك استغني بدلالة الظاهر عن ذكر ما ترك، وذلك أن معنى الكلام: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾[3]، فلم يتضرعوا، "فلولا إذا جاءهم بأسنا تضرعوا"، ومعنى: "فلولا"، في هذا الموضع، فهلا، والعرب إذ أولت"لولا" اسما مرفوعا، جعلت ما بعدها خبرا، وتلقتها بالأمر، كقولك: "فلولا أخوك لزرتك" و"لولا أبوك لضربتك"، وإذا أولتها فعلا أو لم تولها اسما، جعلوها استفهاما فقالوا: "لولا جئتنا فنكرمك"، و"لولا زرت أخاك فنزورك"، بمعنى:"هلا"، وكذلك تفعل ب"لوما" مثل فعلها ب"لولا"[4].

وقال تعالى: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾[5].

يذكر تعالى أنه أرسل إلى الأمم الخالية رسلا فكذبت الرسل، فلك يا محمد في إخوانك من المرسلين أسوة، فلا يهيدنك تكذيب قومك لك، وأما المشركون الذين كذبوا الرسل، فإنما حملهم على ذلك تزيين الشيطان لهم ما فعلوه، {فهو وليهم اليوم} أي: هم تحت العقوبة والنكال، والشيطان وليهم، ولا يملك لهم خلاصا؛ ولا صريخ لهم ولهم عذاب أليم[6].

([1]) المصدر السابق، ط١، ١٥/ ٥٣٨.

([2]) سورة الأنعام، الآية: ٤٢ – ٤٣.

([3]) السورة السابقة، الآية: ٤٢ – ٤٣.

([4]) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ٣٥٧.

([5]) سورة النحل، الآية: ٦٣.

([6]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٤/٥٨٠.

والسياق قصد منه تنظير حال المشركين المتحدث عنهم وكفرهم في سوء أعمالهم وأحكامهم بحال الأمم الضالة من قبلهم الذين استهواهم الشيطان من الأمم البائدة مثل عاد وثمود، والحاضرة كاليهود والنصارى[1].

وجملة: {فهو وليهم اليوم} معناها: فالشيطان ولي المشركين اليوم، أي متولي أمرهم، كما كان ولي الأمم من قبلهم، إذ زين لهم أعمالهم، أي لا ولي لهم اليوم غيره ردا على زعمهم أن لهم الحسنى، والتقدير: لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم، فكان وليهم حينئذ، وهو ولي المشركين اليوم يزين لهم أعمالهم كما كان ولي من قبلهم، وقوله: اليوم مستعمل في زمان معهود بعهد الحضور، أي فهو وليهم الآن، وهو كناية عن استمرار ولايته لهم إلى زمن المتكلم، وأصله: اليوم الحاضر، وهو اليوم الذي أنت فيه، ولا يستعمل في يوم مضى معرفا باللام إلا بعد اسم الإشارة، نحو: ذلك اليوم، أو مثل: يومئذ[2].

وقال تعالى: ﴿وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾﴾[3].

يقول تعالى ذكره: وإن تكذبوا أيها الناس رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم فيما دعاكم إليه من عبادة ربكم الذي خلقكم ورزقكم، والبراءة من الأوثان، فقد كذبت جماعات من قبلكم رسلها فيما دعتهم إليه الرسل من الحق، فحل بها من الله سخطه، ونزل بها من عاجل عقوبته، فسبيلكم سبيلها فيما هو نازل بكم بتكذيبكم إياه، (وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ) يقول: وما على محمد إلا أن يبلغكم عن الله رسالته، ويؤدي إليكم ما أمره بأدائه إليكم ربه، ويعني بالبلاغ المبين: الذي يبين لمن سمعه ما يراد به، ويفهم به ما يعني به[4].

([1]) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ط١، ١٤/١٩٣. ١٩٤.

([2]) المصدر السابق، ١٤/ ١٩٥.

([3]) سورة العنكبوت، الآية: ١٨.

([4]) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ٢٠/ ٢٠.

وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ٣٠﴾[1].

يقول تعالى ذكره: هكذا أرسلناك يا محمد في جماعة من الناس، يعني إلى جماعة قد خلت من قبلها جماعات على مثل الذي هم عليه، فمضت ﴿لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾، يقول: لتبلغهم ما أرسلتك به إليهم من وحيي الذي أوحيته إليك، ﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِ﴾، يقول: وهم يجحدون وحدانية الله، ويكذبون بها، ﴿قُلۡ هُوَ رَبِّي﴾، يقول: إن كفر هؤلاء الذين أرسلتك إليهم، يا محمد بالرحمن، فقل أنت: الله ربي، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ﴾، يقول: وإليه مرجعي وأوبتي، وهو مصدر من قول القائل:"تبت متابا وتوبة"[2].

ومعنى ﴿كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾: كما أرسلناك يا محمد في هذه الأمة: ﴿لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ أي: تبلغهم رسالة الله إليهم، كذلك أرسلنا في الأمم الماضية الكافرة بالله، وقد كذب الرسل من قبلك، فلك بهم أسوة، وكما أوقعنا بأسنا ونقمتنا بأولئك، فليحذر هؤلاء من حلول النقم بهم، فإن تكذيبهم لك أشد من تكذيب غيرك من المرسلين، وقوله: ﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ أي: هذه الأمة التي بعثناك فيهم يكفرون بالرحمن، لا يقرون به؛ لأنهم كانوا يأنفون من وصف الله بالرحمن الرحيم؛ ولهذا أنفوا يوم الحديبية أن يكتبوا "بسم الله الرحمن الرحيم" وقالوا: ما ندري ما الرحمن الرحيم، ﴿قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: هذا الذي تكفرون به أنا مؤمن به، معترف مقر له بالربوبية والإلهية، هو ربي لا إله إلا هو، ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ أي: في جميع أموري، ﴿وَإِلَيۡهِ مَتَابِ﴾ أي: إليه أرجع وأنيب، فإنه لا يستحق ذلك أحد سواه[3].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَاۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةٗ رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُۚ فَأَتۡبَعۡنَا بَعۡضَهُم بَعۡضٗا وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَۚ فَبُعۡدٗا لِّقَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ٤٤﴾[4].

([1]) سورة الرعد، الآية: ٣٠.

([2]) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ١٦/ ٤٤٥.

([3]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٤/ ٤٥٩- ٤٦٠.

([4]) سورة المؤمنون، الآية: ٤٤.

يقول تعالى ذكره: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا﴾ إلى الأمم التي أنشأنا بعد ثمود ﴿رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ يعني: يتبع بعضها بعضا، وبعضها في أثر بعض، وهي من المواترة، وهي تنون ولا تنون، وفيها الياء، فمن لم ينونها جعلها على وزن: (فعلى) من وترت، ومن قرأ: "تترا" يوهم أن الياء أصلية، وهما قراءتان مشهورتان، ولغتان معروفتان في كلام العرب، بمعنى واحد، وقوله: ﴿تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾ يقول: كلما جاء أمة من تلك الأمم، التي أنشأناها بعد ثمود، رسولها الذي نرسله إليهم، كذبوه فيما جاءهم به من الحق من عندنا، وقوله: ﴿فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾ يقول: فأتبعنا بعض تلك الأمم بعضا بالهلاك، فأهلكنا بعضهم في إثر بعض، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ للناس، ومثلا يتحدث بهم في الناس، والأحاديث في هذا الموضع جمع أحدوثة، لأن المعنى ما وصفت من أنهم جعلوا للناس مثلا يتحدث بهم، وقد يجوز أن يكون جمع حديث، وإنما قيل: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ لأنهم جعلوا حديثا، ومثلا يتمثل بهم في الشر، ولا يقال في الخير: جعلته حديثا، ولا أحدوثة، وقوله: ﴿فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ يقول: فأبعد الله قوما لا يؤمنون بالله، ولا يصدقون برسوله[1].

ويبين الله بأنه كذبت قبل هؤلاء المشركين قوم نوح والمجتمعون على معاداة الرسل من بعد قومه، وحرصت على إيقاع الشر برسولهم ليأخذوه بالبطش، وتماروا في الباطل الذي لا حقيقة له، ليزيلوا بجدلهم الحق الثابت، فأخذهم بالعذاب المستأصل[2]، فقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥﴾[3].

كذبت قبل هؤلاء الكفار قوم نوح ومن تلاهم من الأمم التي أعلنت حربها على الرسل كعاد وثمود، حيث عزموا على إيذائهم وتجمعوا عليهم بالتعذيب أو القتل، وهمت كل أمة من هذه الأمم

([1]) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ١٩ / ٣٤ – ٣٥.

([2]) لجنة من علماء الأزهر، **المنتخب**، ط ١، ٢ / ٣١٨.

([3]) سورة غافر، الآية: ٥.

المكذبة برسولهم ليقتلوه، وخاصموا بالباطل؛ ليبطلوا بجدالهم الحق فعاقبتهم، فكيف كان عقابي إياهم عبرة للخلق، وعظة لمن يأتي بعدهم؟[1]

سادسا: تزيين عمل كل أمة لها، قدرا من الله تعالى:

قال تعالى:﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾[2].

والسب: كلام يدل على تحقير أحد أو نسبته إلى نقيصة أو معرة، بالباطل أو بالحق، وهو مرادف الشتم، والمخاطب بهذا النهي المسلمون، لا الرسول صلى الله عليه وسلم، لأن الرسول لم يكن فحاشا ولا سبابا، وإنما كان المسلمون لغيرتهم على الإسلام ربما تجاوزوا الحد ففرطت منهم فرطات سبوا فيها أصنام المشركين[3].

سبب نزول هذه الآية: روى الطبري عن قتادة قال: «كان المسلمون يسبون أوثان الكفار فيردون ذلك عليهم فنهاهم الله أن يستسبوا لربهم[4]، فإنهم قوم جهلة لا علم لهم بالله»[5].

قال ابن عاشور[6]: "وهذا أصح ما روي في سبب نزول هذه الآية وأوفقه بنظم الآية،

([1]) مجموعة من العلماء، **التفسير الميسر**، ط٢، ٨ / ٢٩٨.

([2]) سورة الأنعام، الآية: ١٠٨.

([3]) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ط١، ٧/ ٤٢٧ – ٤٢٨.

([4]) استسب له، عرضه للسب وجره إليه، وفي حديث أبي هريرة: (لا تمشين أمام أبيك، ولا تجلس قبله، ولا تدعه باسمه، ولا تستسب له)، أي: لا تعرضه للسب وتجره إليه، بأن تسب أبا غيرك، فيسب أباك مجازاة لك. تعليق أحمد شاكر على تفسير الطبري، ٢٤/١٢.

([5]) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ١٢/ ٣٤.

(٦) هو محمد الطاهر بن محمد الشاذلي، ابن عاشور: نقيب أشراف تونس وكبير علمائها، في عهد الباي محمد الصادق (باشا)، ولي قضاءها سنة ١٢٦٧ هـ ثم الفتيا سنة ١٢٧٧ فنقابة الإشراف، وتوفي بتونس، سنة ١٢٨٤ هـ، له كتب، منها (شفاء القلب الجريح – ط) فيشرح البردة، و (هديةالأريب – ط) حاشية على القطر لابن هشام، وأورد لها لنيفر (في عنوان الأريب) نظم احسنا. ملتقى أهل الحديث، **المعجم الجامع في تراجم العلماء و طلبة العلم المعاصرين**، ط ١، ١٣٢/١

وأما ما روى الطبري عن علي بن أبي طلحة[1] عن ابن عباس أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾[2] قال المشركون: لئن لم تنته عن سب آلهتنا وشتمها لنهجون إلهك، فنزلت هذه الآية في ذلك، فهو ضعيف، لأن علي بن أبي طلحة ضعيف، وله منكرات، ولم يلق ابن عباس، ومن البعيد أن يكون ذلك المراد من النهي في هذه الآية، لأن ذلك واقع في القرآن، فلا يناسب أن ينهى عنه بلفظ: "ولا تسبوا"، وكان أن يقال: ولا تجهروا بسب الذين يدعون من دون الله مثلا، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾"[3] [4].

وأورد الفخر الرازي هاهنا إشكالين هما: أن الناس اتفقوا على أن سورة الأنعام نزلت دفعة واحدة، فكيف يصح أن يقال: إن سبب نزول هذه الآية كذا، وأن الكفار كانوا مقرين بالله تعالى، وكانوا يقولون: عبدنا الأصنام لتكون شفعاء لنا عند الله فكيف يعقل إقدام الكفار على شتم الله تعالى؟ [5].

وقد أجاب ابن عاشور عن هذين الإشكالين بإجابة شافية كافية، بقوله: "يدفع الإشكال الأول أن سبب النزول ليس يلزم أن يكون مقارنا للنزول، فإن السبب قد يتقدم زمانه، ثم يشار إليه في الآية النازلة، فتكون الآية جوابا عن أقوالهم، ويدفع الإشكال الثاني أن المشركين قالوا لئن لم تنته عن سب آلهتنا لنهجون إلهك، ومعناه أنهم ينكرون أن الله هو إلهه، ولذلك أنكروا الرحمان، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾[6]، فهم ينكرون أن الله أمره بذم آلهتهم، لأنهم يزعمون أن آلهتهم مقربون عند الله، وإنما يزعمون أن شيطانا يأمر النبيء صلى الله عليه وسلم بسب

([1]) هو علي بن أبي طلحة الهاشمي، كان من كبار التابعين عالما بالقرآن ومعانيه وأحكامه، قال أحمد بن حنبل: كان في مصر صحيفة واحدة من التفسير قد رواها علي بن أبي طلحة من رحل من طالبي التفسير لتحصيلها لايعد كثيرا، وقد اعتمد البخاري مانقله عن ابن عباس على هذه النسخة الشريفة، وأخذ التفسير عن مجاهد وعن سعيد بن جبير. الأدنروي، **طبقات المفسرين**، ط١، ١/ ٢٤.

([2]) سورة الأنبياء، الآية: ٩٨

([3]) سورة الإسراء، الآية: ١١٠.

([4]) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ط١، ٧/ ٤٢٩.

([5]) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ط١، ١٣/ ١١٥.

([6]) سورة الفرقان، الآية: ٦٠.

الأصنام، ألا ترى إلى قول امرأة[1] منهم لما فتر الوحي في ابتداء البعثة: ما أرى شيطانه إلا ودعه، وكان ذلك سبب نزول سورة الضحى"[2].

والوجه في تفسير الآية: أنه ليس المراد بالسب المنهي عنه فيها ما جاء في القرآن من إثبات نقائص آلهتهم مما يدل على انتفاء إلهيتها، كقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾[3]، فالمراد في الآية ما يصدر من بعض المسلمين من كلمات الذم والتعيير لآلهة المشركين، ووجه النهي عن سب أصنامهم هو أن السب لا تترتب عليه مصلحة دينية، لأن المقصود من الدعوة هو الاستدلال على إبطال الشرك وإظهار استحالة أن تكون الأصنام شركاء لله تعالى، فذلك هو الذي يتميز به الحق عن الباطل، وينهض به المحق ولا يستطيعه المبطل[4].

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ معناه كتزييننا لهؤلاء سوء عملهم زينا لكل أمةعملهم، فالمشار إليه هو ما حكاه الله عنهم بقوله: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ -إلى قوله- فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوَۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[5]، فإن اجتراءهم على هذه الجرائم وعماهم عن النظر في سوء عواقبها نشأ عن تزيينها في نفوسهم وحسبانهم أنها طرائق نفع لهم ونجاة وفوز في الدنيا بعناية أصنامهم، فعلى هذه السنة وبمماثل هذا التزيين زين الله أعمال الأمم الخالية مع الرسل الذين بعثوا فيهم، وفي هذا الكلام تعريض بالتوعد بأن سيحل بمشركي العرب من العذاب مثل ما حل بأولئك في الدنيا، وحقيقة تزيين الله لهم ذلك أنه خلقهم بعقول يحسن لديها مثل ذلك الفعل، والتزيين تفعيل من الزين، وهو الحسن أو من الزينة، وهي ما يتحسن به الشيء، فالتزيين جعل الشيء ذا زينة أو إظهاره زينا أو نسبته إلى الزين، وهو هنا بمعنى إظهاره في صورة الزين وإن لم يكن كذلك، فالتفعيل فيه للنسبة مثل التفسيق، وفي قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ

([1]) هي العوراء بنت حرب أخت أبي سفيان، وهي حمالة الحطب، زوج أبي لهب. القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ط ١، ٢٠ / ٩٢.

([2]) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ط١، ٧/ ٤٢٩.

([3]) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

(٥) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ط١، ٧ / ٤٣٠ – ٤٣٢.

([5]) سورة الأنعام، الآية: ١٠٠– ١٠٨.

ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾[1]، بمعنى جعله زينا، فالتفعيل للجعل لأنه حسن في ذاته، ولما في قوله: كذلك زينا لكل أمة عملهم من التعريض بالوعيد بعذاب الأمم عقب الكلام ب ثم المفيدة الترتيب الرتبي في قوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[2]، لأن ما تضمنته الجملة المعطوفة ب ثم أعظم مما تضمنته المعطوف عليها، لأن الوعيد الذي عطفت جملته ب ثم أشد وأنكى، فإن عذاب الدنيا زائل غير مؤبد، والمعنى أعظم من ذلك أنهم إلى الله مرجعهم فيحاسبهم، والعدول عن اسم الجلالة إلى لفظ {رَبِّهِم} لقصد تهويل الوعيد وتعليل استحقاقه بأنهم يرجعون إلى مالكهم الذي خلقهم فكفروا نعمه وأشركوا به، فكانوا كالعبيد الآبقين يطوفون ما يطوفون ثم يقعون في يد مالكهم،والإنباء: الإعلام، وهو توقيفهم على سوء أعمالهم، وقد استعمل هنا في لازم معناه، وهو التوبيخ والعقاب، لأن العقاب هو العاقبة المقصودة من إعلام المجرم بجرمه، والفاء للتفريع عن المرجع مؤذنة بسرعة العقاب إثر الرجوع إليه[3].

سابعا: قيام حجة الله على جميع الأمم بإرسال الرسل إليهم جميعا:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٣٦﴾[4].

جملة: "**وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا**" عطف على جملة "كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ"[5]، وهو تكملة لإبطال شبهة المشركين إبطالا بطريقة التفصيل بعد الإجمال لزيادة تقرير الحجة، فقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ﴾ بيان لمضمون جملة: ﴿فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾[6].

([1]) سورة الحجرات، الآية: ٧.

([2]) سورة الأنعام، الآية: ١٠٨.

([3]) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ط١، ٧ / ٤٣٣ -٤٣٤.

([4]) سورة النحل، الآية: ٣٦.

([5]) سورة النحل، الآية:٣٥.

([6]) السورة السابقة، الآية:٣٥.

وجملة: "فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ" إلى آخرها بيان لمضمون جملة" كذلك فعل الذين من قبلهم"، والمعنى: أن الله بين للأمم على ألسنة الرسل-عليهم السلام- أنه يأمرهم بعبادته واجتناب عبادة الأصنام، فمن كل أمة أقوام هداهم الله فصدقوا وآمنوا، ومنهم أقوام تمكنت منهم الضلالة فهلكوا، ومن سار في الأرض رأى دلائل استئصالهم، و"أن" تفسيرية لجملة "بعثنا" لأن البعث يتضمن معنى القول، إذ هو بعث للتبليغ، والطاغوت: جنس ما يعبد من دون الله من الأصنام، وقد يذكرونه بصيغة الجمع، فيقال: الطواغيت، وهي الأصنام، وأسندت هداية بعضهم إلى الله مع أنه أمر جميعهم بالهدى تنبيها للمشركين على إزالة شبهتهم في قولهم: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾[1] بأن الله بين لهم الهدى، فاهتداء المهتدين بسبب بيانه، فهو الهادي لهم، والتعبير في جانب الضلالة بلفظ «حقت عليهم» دون إسناد الإضلال إلى الله إشارة إلى أن الله لما نهاهم عن الضلالة فقد كان تصميمهم عليها إبقاء لضلالتهم السابقة، فحقت عليهم الضلالة، أي ثبتت ولم ترتفع، وفي ذلك إيماء إلى أن بقاء الضلالة من كسب أنفسهم، ولكن ورد في آيات أخرى أن الله يضل الضالين، كما في قوله: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾[2]، وقوله عقب هذا: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾، ليحصل من مجموع ذلك علم بأن الله كون أسبابا عديدة بعضها جاء من توالد العقول والأمزجة واقتباس بعضها من بعض، وبعضها تابع للدعوات الضالة بحيث تهيأت من اجتماع أمور شتى لا يحصيها إلا الله، أسباب تامة تحول بين الضال وبين الهدى، فلا جرم كانت تلك الأسباب هي سبب حق الضلالة عليهم، فباعتبار الأسباب المباشرة كان ضلالهم من حالات أنفسهم، وباعتبار الأسباب العالية المتوالدة كان ضلالهم من لدن خالق تلك الأسباب في متقادم العصور[3].

ومعنى الآية في الجملة: ولقد بعثنا أيها الناس في كل أمة سلفت قبلكم رسولا، كما بعثنا فيكم بأن اعبدوا الله وحده لا شريك له، وأفردوا له الطاعة، وأخلصوا له العبادة، (وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ) يقول: وابعدوا من الشيطان، واحذروا أن يغويكم، ويصدكم عن سبيل الله، فتضلوا، (فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ) يقول: فممن بعثنا فيهم رسلنا من هدى الله، فوفقه لتصديق رسله، والقبول منها، والإيمان بالله،

([1]) سورة النحل، الآية: ٣٥.

([2]) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.

([3]) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ط١، ١٤/ ١٤٩ – ١٥٠.

والعمل بطاعته، ففاز وأفلح، ونجا من عذاب الله، (وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ) يقول: وممن بعثنا رسلنا إليه من الأمم آخرون حقت عليهم الضلالة، فجاروا عن قصد السبيل، فكفروا بالله وكذبوا رسله، واتبعوا الطاغوت، فأهلكهم الله بعقابه، وأنزل عليهم بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين، (فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ) يقول تعالى ذكره لمشركي قريش: إن كنتم أيها الناس غير مصدقي رسولنا فيما يخبركم به عن هؤلاء الأمم الذين حل بهم ما حل من بأسنا بكفرهم بالله، وتكذيبهم رسوله، فسيروا في الأرض التي كانوا يسكنونها، والبلاد التي كانوا يعمرونها، فانظروا إلى آثار الله فيهم، وآثار سخطه النازل بهم، كيف أعقبهم تكذيبهم رسل الله ما أعقبهم، فإنكم ترون حقيقة ذلك، وتعلمون به صحة الخبر الذي يخبركم به محمد صلى الله عليه وسلم[1].

ثم إن الله قد بين أنه لقد جاء رسول لكل أمة فبلغها دعوة الله، فآمن من آمن، وكذب من كذب، فإذا كان يوم الحشر، وجاء رسولهم وشهد على مكذبيه بالكفر، وللمؤمنين بالإيمان، فيحكم الله بينهم بالعدل التام، فلا يظلم أحدا فيما يستحقه من جزاء[2].

فقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾[3].

يقول تعالى ذكره: ولكل أمة خلت قبلكم من الأمم الماضية، أيها الناس، رسول أرسلته إليهم، كما أرسلت محمدا إليكم، يدعون من أرسلتهم إليهم إلى دين الله وطاعته، {فَإِذَا جَاءَ} هم {رَسُولُهُمْ} بالآيات، صدقه بعضهم، وكذبه آخرون، فيقضي الله بينهم بالقسط بنجاة المؤمنين، وإهلاك المكذبين {وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} بأن يعذبوا قبل إرسال الرسول وبيان الحجة، أو يعذبوا بغير جرمهم، فليحذر المكذبون لك من مشابهة الأمم المهلكين، فيحل بهم ما حل بأولئك[4]، وقيل: (فإذا جاء رسولهم)، يعني: في الآخرة، وقوله: (قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ)، يقول قضي حينئذ بينهم بالعدل، (وهم لا يظلمون)، من جزاء أعمالهم شيئا، ولكن يجازي المحسن بإحسانه، والمسيء من أهل الإيمان،

([1]) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ١٧/ ٢٠١.

([2]) لجنة من علماء الأزهر، **المنتخب**، ط ١، ١/ ٣٤٠.

([3]) سورة يونس، الآية: ٤٧.

([4]) السعدي، **تيسير الكريم، ط١**، ١/٣٦٥.

إما أن يعاقبه الله، وإما أن يعفو عنه، والكافر يخلد في النار، فذلك قضاء الله بينهم بالعدل، وذلك لا شك عدل لا ظلم[1].

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾[2].

يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾يا محمد للناس جميعا، (بِٱلۡحَقِّ) وهو الإيمان بالله وشرائع الدين التي افترضها على عباده، (بَشِيرًا): مبشرا بالجنة من صدقك وقبل منك ما جئت به من عند الله من النصيحة بالجنة، (وَنَذِيرًا): تنذر الناس من كذبك ورد عليك ما جئت به من عند الله من النصيحة بعذاب النار، ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾: وما من أمة من الأمم الدائنة بملة إلا جاءها من قبل الله من يحذرها بأسنا على كفرهم بالله[3].

ثامنا: اختصاص كل أمة من الأمم بمناسك:

قال تعالى:﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ٣٤﴾[4].

أي: ولكل أمة من الأمم السالفة جعلنا منسكا، أي: فاستبقوا إلى الخيرات وتسارعوا إليها، ولننظر أيكم أحسن عملا، فيخبر تعالى أنه لم يزل ذبح المناسك وإراقة الدماء على اسم الله مشروعا في جميع الملل، والحكمة في جعل الله لكل أمة منسكا، هي إقامة ذكره، والالتفات لشكره، ولهذا قال: {لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ} وإن اختلفت أجناس الشرائع، فكلها متفقة على هذا الأصل، وهو ألوهية الله، وإفراده بالعبودية، وترك الشرك به ولهذا قال: {فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْ} أي: انقادوا واستسلموا له لا لغيره، فإن الإسلام له طريق إلى الوصول إلى دار السلام، قال علي بن أبي طلحة[5]، عن ابن عباس: { وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا } قال: عيدا، وقال عكرمة: ذبحا،

([1]) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ١٥/ ٩٩.

([2]) سورة فاطر، الآية: ٢٤.

([3]) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ٢٠ / ٤٥٩- ٤٦٠.

([4]) سورة الحج، الآية: ٣٤.

([5]) سبقت ترجمته ص٧٠.

وقال زيد بن أسلم[1] في قوله: { وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا }، إنها مكة، لم يجعل الله لأمة قط منسكا غيرها، وهو قول شاذ مخالف لصريح النص وقوله: {فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا} أي: معبودكم واحد، وإن تنوعت شرائع الأنبياء ونسخ بعضها بعضا، فالجميع يدعون إلى عبادة الله وحده، لا شريك له، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[2]، ولهذا قال: {فَلَهُ أَسْلِمُوا} أي: أخلصوا واستسلموا لحكمه وطاعته،{وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ} بخير الدنيا والآخرة، والمخبت: الخاضع لربه، المستسلم لأمره، المتواضع لعباده، قال مجاهد: المطمئنين، وقال الضحاك[3] وقتادة: المتواضعين، وقال السدي[4]: الوجلين، وقال الثوري: المطمئنين الراضين بقضاء الله، المستسلمين له، وقيل: المخبتون: الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لم ينتصروا، [5].

وقال تعالى:﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾[6].

وقوله: (لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا) يقول: لكل جماعة قوم هي خلت من قبلك، جعلنا مألفا يألفونه ومكانا يعتادونه لعبادتي فيه، وقضاء فرائضي، وعملا يلزمونه، وأصل المنسك في كلام العرب: الموضع المعتاد الذي يعتاده الرجل ويألفه لخير أو شر؛ وإنما سميت مناسك الحج بذلك، لتردد الناس إلى الأماكن التي تعمل فيها أعمال الحج والعمرة، وفيه لغتان: "منسك" بكسر السين وفتح الميم، وذلك من لغة أهل الحجاز، و "منسك" بفتح الميم والسين جميعا، وذلك من لغة بني أسد، والمراد بالمنسك هنا: إراقة الدم أيام النحر بمنى، لأن المناسك التي كان المشركون جادلوا فيها رسول الله صلى

---

(1) سبقت ترجمته ص٥٧.

(2) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

(3) هو الضحاك بن مزاحم البلخي الخراساني، أبو القاسم: مفسر،كان يؤدب الأطفال، ويقال: كان في مدرسته ثلاثة آلاف صبي، قال الذهبي: كان يطوف عليهم، على حمار! وذكرها بن حبيب تحت عنوان (أشراف المعلمين وفقهاؤهم) له كتاب في (التفسير) توفي بخراسان سنة: ١٠٥هـ. السمعاني، **الأنساب**، ط ١، ٥ / ٦٥٧.

(4) هو إسماعيل بن عبد الرحمن السدي: تابعي، حجازي الأصل، سكن الكوفة، قال فيه ابن تغريب ردي: (صاحب التفسير والمغازي والسير، وكان إماما عارفا بالوقائع وأيام الناس، توفي سنة: ١٢٨هـ . الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ط٢، ٩ / ٣١٤.

(5) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٥/ ٤٢٤، و السعدي، **تيسير الكريم**، ط١، ١/ ٥٣٨.

(6) سورة الحج، الآية: ٦٧.

الله عليه وسلم كانت إراقة الدم في هذه الأيام، على أنهم قد كانوا جادلوه في إراقة الدماء التي هي دماء ذبائح الأنعام بما قد أخبر الله عنهم في سورة الأنعام، غير أن تلك لم تكن مناسك، فأما التي هي مناسك فإنما هي هدايا أو ضحايا، ولذلك قال بعده: ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلۡأَمۡرِۚ﴾ أي: فلا ينازعنك هؤلاء المشركون بالله يا محمد في ذبحك ومنسكك بقولهم: أتأكلون ما قتلتم، ولا تأكلون الميتة التي قتلها الله؟ فإنك أولى بالحق منهم، لأنك محق وهم مبطلون، وقوله: ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: وادع يا محمد منازعيك من المشركين بالله في نسكك وذبحك إلى اتباع أمر ربك في ذلك، وتجنب الذبح للآلهة والأوثان والتبرئ منها، إنك لعلى طريق مستقيم، غير زائل عن محجة الحق والصواب في نسكك الذي جعله ربك لك ولأمتك[1].

وقد يكون المراد: "لكل أمة جعلنا منسكا جعلا قدريا، ولهذا قال هاهنا: {هُمۡ نَاسِكُوهُ} أي: فاعلوه، فالضمير عائد على هؤلاء الذين لهم مناسك وطرائق، أي: هؤلاء إنما يفعلون هذا عن قدر الله وإرادته، فلا تتأثر بمنازعتهم لك، ولا يصرفك ذلك عما أنت عليه من الحق؛ ولهذا قال: {وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسۡتَقِيمٖ} أي: طريق واضح مستقيم موصل إلى المقصود[2].

تاسعا: بعث الله شهيدا من كل أمة يوم القيامة:

قال تعالى:﴿ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا ثُمَّ لَا يُؤۡذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ٨٤﴾[3].

واذكر لهم –أيها الرسول– ما يكون يوم القيامة، وحذر – أيها النبي – كل كافر بربه مما سيحصل، حين نبعث من كل أمة رسولها شاهدا على إيمان من آمن منها، وكفر من كفر، فيشهد لها أو عليها بما قابلت به رسول ربها ، وإذا أراد الكافر منهم أن يعتذر لا يؤذن له في الاعتذار عما وقع منه، ولا يطلب منهم إرضاء ربهم بالتوبة والعمل الصالح، ولا يوجد لهم شفيع يمهد لشفاعته، بأن

([1]) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ١٨/ ٦٧٩- ٦٨٠.

([2]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٥/ ٤٥١.

([3]) سورة النحل، الآية: ٨٤.

يطلب منهم الرجوع عن سبب غضب الله عليهم ، فقد مضى أوان ذلك، لأن الآخرة ليست دار توبة[1].

وقال تعالى:﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾[2].

واذكر –أيها الرسول– حين نبعث يوم القيامة في كل أمة من الأمم شهيدا عليهم، وحذر –أيها النبي –كفار قومك مما سيحصل يوم نحضر من كل أمة شهيدا عليها، هو نبيها الذي يكون بين أبنائها، هو الرسول الذي بعثه الله إليهم من أنفسهم وبلسانهم، ليكون ذلك أقطع لعذرها ، ونجئ بك –أيها النبي– شهيدا على أمتك، على هؤلاء الذين كذبوك، وعليهم أن يعتبروا من الآن، قد نزلنا القرآن فيه بيان كل شيء من الحق، توضيحا لكل أمر يحتاج إلى بيان، كأحكام الحلال والحرام، والثواب والعقاب، وغير ذلك، وليكون هداية من الضلال، ورحمة لمن صدق وعمل به، وبشارة طيبة بالنعيم المقيم للمؤمنين الذين يذعنون له ويؤمنون به بحسن مصيرهم[3].

وقال تعالى:﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾[4].

الفاء يجوز أن تكون فاء فصيحة تدل على شرط مقدر نشأ عما سبق من الجمل، والتقدير: إذا أيقنت بذلك فكيف حال كل أولئك إذا جاء الشهداء وظهر موجب الشهادة على العمل الصالح وعلى العمل السيئ، ويجوز أن تكون الفاء للتفريع على قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾[5]، أي يتفرع عن ذلك سؤال عن حال الناس إذا جئنا من كل أمة بشهيد، فالناس بين مستبشر ومتحسر، ومقتضى هذا أن يكون الكلام مسوقا لجميع الأمة، فيقتضي أن يقال: وجئنا بالرسول عليهم شهيدا، فعدل إلى الخطاب تشريفا للرسول صلى الله عليه وسلم بعز الحضور والإقبال

([1]) لجنة من علماء الأزهر، **المنتخب**، ط ١، ٤٥٦/١، و مجموعة من العلماء،، **التفسير الميسر**، ط٢، ٤٥٤/٤.

([2]) سورة النحل، الآية: ٨٩ .

([3]) لجنة من علماء الأزهر، **المنتخب**، ط ٤٥٧/١,١، و مجموعة من العلماء،، **التفسير الميسر**، ط٢، ٤٥٩/٤.

([4]) سورة النساء، الآية: ٤١.

([5]) سورة النساء، الآية: ٤٠.

عليه، وحذف المبتدأ المستفهم عنه، ويقدر بنحو: كيف أولئك، أو كيف المشهد، ولا يقدر بكيف حالهم خاصة، إذ هي أحوال كثيرة ما منها إلا يزيده حال ضده وضوحا، ولما ذكر الشهيد لم يذكر معه متعلقه بعلى أو اللام: ليعم الأمرين[1].

و(إذا) ظرف للمستقبل مضاف إلى جملة "جئنا" أي زمان إتياننا بشهيد، ومضمون الجملة معلوم من آيات أخرى تقدم نزولها مثل آية سورة النحل [٨٩] ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ﴾[2]، فلذلك صلحت لأن يتعرف اسم الزمان بإضافته إلى تلك الجملة، والظرف معمول ل (كيف) لما فيها من معنى الفعل، وهو معنى التعجيب، وشهيد كل أمة هو رسولها، بقرينة قوله: { وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا }، و"هؤلاء" إشارة إلى الذين دعاهم النبيء صلى الله عليه وسلم لحضورهم في ذهن السامع عند سماعه اسم الإشارة، وأصل الإشارة يكون إلى مشاهد في الوجود أو منزل منزلته، وقد اصطلح القرآن على إطلاق إشارة (هؤلاء) مرادا بها المشركون، وذكر متعلق (شهيدا) الثاني مجرورا بعلى لتهديد الكافرين بأن الشهادة تكون عليهم، لأنهم المقصود من اسم الإشارة[3].

وفي «صحيح البخاري»: أن عبد الله بن مسعود قال: قال لي النبيء صلى الله عليه وسلم: اقرأ علي القرآن، قلت: أقرأه عليك وعليك أنزل؟ قال: إني أحب أن أسمعه من غيري، فقرأت عليه سورة النساء، حتى إذا بلغت: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾[4] قال: أمسك، فإذا عيناه تذرفان[5].

وقوله: "يومئذ يود الذين كفروا" الآية استئناف بياني، لأن السامع يتساءل عن الحالة المبهمة المدلولة لقوله: { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ }، ويتطلب بيانها، فجاءت هذه الجملة مبينة

---

(1) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ط١، ٥/ ٥٦.

(2) سورة النحل، الآية: ٨٩ .

(3) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ط١، ٥/ ٥٦- ٥٧.

(4) سورة النساء، الآية: ٤١.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد، حديث رقم: ٤٥٨٢.

لبعض تلك الحالة العجيبة، وهي حال الذين كفروا حين يرون بوارق الشر: من شهادة شهداء الأمم على مؤمنهم وكافرهم، ويوقنون بأن المشهود عليهم بالكفر مأخوذون إلى العذاب، فينالهم من الخوف ما يودون منه لو تسوى بهم الأرض وجملة "لو تسوى بهم الأرض" بيان لجملة "يود" أي يودون ودا يبينه قوله: "لو تسوى بهم الأرض"، ولكون مضمونها أفاد معنى الشيء المودود صارت الجملة الشرطية بمنزلة مفعول (يود)، وقوله: "تسوى" أي تماثل، والمماثلة المستفادة من التسوية تحتمل أن تكون مماثلة في الذات، فيكون المعنى أنهم يصيرون ترابا مثل الأرض، على معنى قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾[1]، وهذا تفسير الجمهور، ويحتمل أن تكون مماثلة في المقدار، فقيل: يودون أنهم لم يبعثوا وبقوا مستوين مع الأرض في بطنها، وقيل: يودون أن يدفنوا حينئذ كما كانوا قبل البعث، وجملة "ولا يكتمون الله حديثا" يجوز أن تكون مستأنفة، والواو عاطفة لها على جملة "يود" ويجوز أن تكون حالية، أي يودون لو تسوى بهم الأرض في حال عدم كتمانهم، فكأنهم لما رأوا استشهاد الرسل، ورأوا جزاء المشهود عليهم من الأمم السالفة، علموا أن النوبة مفضية إليهم، وخامرهم أن يكتموا الله أمرهم إذا سألهم الله، ولم تساعدهم نفوسهم على الاعتراف بالصدق، لما رأوا من عواقب ثبوت الكفر، من شدة هلعهم، فوقعوا بين المقتضي والمانع، فتمنوا أن يخفوا ولا يظهروا حتى لا يسألوا فلا يضطروا إلى الاعتراف الموبق ولا إلى الكتمان المهلك[2].

وقال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾[3].

النزع: جذب شيء من بين ما هو مختلط به، واستعير هنا لإخراج بعض من جماعة، وذلك أن الأمم تأتي إلى المحشر تتبع أنبياءها، وهذا المجيء الأول، ثم تأتي الأنبياء مع كل واحد منهم من آمنوا به، كما ورد في الحديث «يأتي النبيء معه الرهط والنبيء وحده ما معه أحد»[4]، والمخاطب ب هاتوا هم المشركون، أي هاتوا برهانكم على إلهية أصنامكم، ويقع نزع شهيد من كل أمة عليهم فهو شامل

([1]) سورة النبأ، الآية: ٤٠.

([2]) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ط١، ٥/٥٩- ٦٠.

([3]) سورة القصص، الآية: ٧٥.

([4]) أخرجه أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ٤/ ٢٦٢.

لمشركي العرب وغيرهم من الأمم، وجيء بفعل المضي في "نزعنا" إما للدلالة على تحقيق وقوعه حتى كأنه قد وقع، وإما لأن الواو للحال، وهي يعقبها الماضي ب (قد) وبدون (قد)، أي يوم يكون ذلك النداء، وقد أخرجنا من كل أمة شهيدا عليهم، وأخرجنا من هؤلاء شهيدا، وهو محمد صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ﴾[1]، وشهيد كل أمة رسولها، وهاتوا اسم فعل معناه ناولوا، واستعيرت المناولة للإظهار، والأمر مستعمل في التعجيز فهو يقتضي أنهم على الباطل فيما زعموه من الشركاء، ولما علموا عجزهم من إظهار برهان لهم في جعل الشركاء لله أيقنوا أن الحق مستحق لله تعالى، أي علموا علم اليقين أنهم لا حق لهم في إثبات الشركاء وأن الحق لله إذ كان ينهاهم عن الشرك على لسان الرسول في الدنيا، "ومَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ": يشمل ما كانوا يكذبونه من المزاعم في إلهية الأصنام، والضلال: أصله عدم الاهتداء إلى الطريق، واستعير هنا لعدم خطور الشيء في البال، والمراد: ضل عن عقولهم وعن مقامهم، وعلق بالضلال ضمير ذواتهم ليشمل ضلال الأمرين، فيفيد أنهم لم يجدوا حجة يروجون بها زعمهم إلهية الأصنام، ولم يجدوا الأصنام حاضرة للشفاعة فيهم فوجموا عن الجواب وأيقنوا بالمؤاخذة[2].

عاشرا: حشر فوج من كل أمة كافرة يوم القيامة للسؤال والتعذيب:

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[3].

يقول تعالى مخبرا عن يوم القيامة، وحشر الظالمين المكذبين بآيات الله ورسله إلى بين يدي الله، عز وجل، ليسألهم عما فعلوه في الدار الدنيا، تقريعا وتوبيخا، وتصغيرا وتحقيرا، فقال: { وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا } أي: من كل قوم وقرن فوجا، أي: جماعة، {مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا }، كما قال تعالى: ﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[4]، وقال تعالى ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ ﴾[5]، وقوله:{فَهُمْ

([1]) سورة النحل، الآية: ٨٩.

([2]) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ط١، ٢٠/ ١٧٢- ١٧٣.

([3]) سورة النمل، الآية: ٨٣.

([4]) سورة الصافات، الآية ٢٢.

([5]) سورة التكوير، الآية ٧.

يُوزَعُونَ } قال ابن عباس رضي الله عنهما: يدفعون، وقال قتادة: وزعة[1] ترد أولهم على آخرهم، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم[2]: يساقون، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو﴾أي: أوقفوا بين يدي الله عز وجل، في مقام المساءلة، ﴿قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾[3] أي: ويسألون عن اعتقادهم، وأعمالهم[4].

حادي عشر: كون كل أمة جاثية تدعى إلى كتابها يوم القيامة:

قال تعالى:﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾[5].

يقول تعالى ذكره: وترى يا محمد يوم تقوم الساعة أهل كل ملة ودين جاثية: يقول: مجتمعة مستوفزة على ركبها من هول ذلك اليوم، ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾: كل أهل ملة ودين تدعى إلى كتابها الذي أملت على حفظتها، ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يقال لها: اليوم تجزون: أي تثابون وتعطون أجور ما كنتم في الدنيا من جزاء الأعمال تعملون بالإحسان الإحسان، وبالإساءة جزاءها، فلا تجزعوا من ذلك، فإنه ينطق عليكم إن أنكرتموه بالحق فاقرءوه ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: إنا كنا نستكتب حفظتنا أعمالكم، فتثبتها في الكتب وتكتبها [6].

---

(1) الوزعة: هو جمع وازع، قال الحسن: "لابد للناس من وازع"، أيمن سلطان يكفهم، يقال: وزعت الجيش، إذا حبست أول هم على آخرهم، قال الله تعالى: { فَهُمْ يُوزَعُونَ }، الجوهري، **الصحاح**، ط٤، ٤ / ٤٣٢.

(2) سبقت ترجمته ص٥٧.

(3) سورة النمل، الآية: ٨٤.

(4) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٦/ ٢١٥.

(5) سورة الجاثية، الآيتان: ٢٨ – ٢٩.

(٦) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ٢٢ / ٨٢ . ٨٤.

المطلب الثاني: ما يختص به هذه الأمة، وهو ثلاثة أمور:

أولا: وجوب توفر دعاة في كل مجتمع:

قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾[1].

يعني بذلك جل ثناؤه أنه يتعين على المؤمنين أن يقوم منهم جماعة يدعون الناس إلى الخير، يعني إلى الإسلام وشرائعه التي شرعها الله لعباده، ويأمرون الناس باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ودينه الذي جاء به من عند الله، وينهون عن الكفر بالله والتكذيب بمحمد وبما جاء به من عند الله، بجهادهم بالأيدي والجوارح، حتى ينقادوا لهم بالطاعة، وأن أولئك القائمين بذلك هم المنجحون عند الله الباقون في جناته ونعيمه، ثم ينهاهم أن يكونوا كالذين تفرقوا من أهل الكتاب واختلفوا في دين الله وأمره ونهيه من بعد ما جاءهم البينات من حجج الله، فيما اختلفوا فيه، وعلموا الحق فيه فتعمدوا خلافه، وخالفوا أمر الله، ونقضوا عهده وميثاقه جراءة على الله، وأن لهؤلاء الذين تفرقوا، واختلفوا من أهل الكتاب من بعد ما جاءهم عذاب من عند الله عظيم، يقول: فلا تتفرقوا، يا معشر المؤمنين، في دينكم تفرق هؤلاء في دينهم، ولا تفعلوا فعلهم، وتستنوا في دينكم بسنتهم، فيكون لكم من عذاب الله العظيم مثل الذي لهم[2].

أي: وليكن منكم أيها المؤمنون الذين من الله عليهم بالإيمان والاعتصام بحبله {أُمَّةٌ } أي: جماعة {يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ } وهو اسم جامع لكل ما يقرب إلى الله ويبعد من سخطه {وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ} وهو ما عرف بالعقل والشرع حسنه {وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ } وهو ما عرف بالشرع والعقل قبحه، وهذا إرشاد من الله للمؤمنين أن يكون منهم جماعة متصدية للدعوة إلى سبيله وإرشاد الخلق إلى دينه، ويدخل في ذلك العلماء المعلمون للدين، والوعاظ الذين يدعون أهل الأديان إلى الدخول في دين الإسلام، ويدعون المنحرفين إلى الاستقامة، والمجاهدون في سبيل الله، والمتصدون لتفقد أحوال الناس

([1]) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤ ، ١٠٥.

([2]) السعدي، **تيسير الكريم**، ط١، ٩١/٧ – ٩٢.

وإلزامهم بالشرع كالصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج وغير ذلك من شرائع الإسلام، وكتفقد المكاييل والموازين وتفقد أهل الأسواق ومنعهم من الغش والمعاملات الباطلة، وكل هذه الأمور من فروض الكفايات كما تدل عليه الآية الكريمة في قوله ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾ إلخ أي: لتكن منكم جماعة يحصل المقصود بهم في هذه الأشياء المذكورة، ومن المعلوم المتقرر أن الأمر بالشيء أمر به وبما لا يتم إلا به، فكل ما تتوقف هذه الأشياء عليه فهو مأمور به، كالاستعداد للجهاد بأنواع العدد التي يحصل بها نكاية الأعداء وعز الإسلام، وتعلم العلم الذي يحصل به الدعوة إلى الخير وسائلها ومقاصدها، وبناء المدارس للإرشاد والعلم، ومساعدة النواب ومعاونتهم على تنفيذ الشرع في الناس بالقول والفعل والمال، وغير ذلك مما تتوقف هذه الأمور عليه، وهذه الطائفة المستعدة للدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هم المؤمنون، ولهذا قال تعالى عنهم: {وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ} الفائزون بالمطلوب، الناجون من المرهوب، ثم نهاهم عن التشبه بأهل الكتاب في تفرقهم واختلافهم، فقال: {وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ} ومن العجائب أن اختلافهم {مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ} الموجبة لعدم التفرق والاختلاف، فهم أولى من غيرهم بالاعتصام بالدين، فعكسوا القضية مع علمهم بمخالفتهم أمر الله، فاستحقوا العقاب البليغ، ولهذا قال تعالى: {وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}[1].

والمقصود من هذه الآية: أن تكون فرقة من الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجبا على كل فرد من الأمة بحسبه، كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"، وفي رواية: "وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل"[2].

([1]) السعدي، **تيسير الكريم**، ط١، ١/ ١٤٢.

([2]) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، ٦٩/١، برقم (٤٩) من حديث أبي موسى الأشعري، قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله: "وهم الحافظ ابن كثير وهما شديدا، فحديث: "من رأى منكم منكرا" هو حديث أبي موسى".

وعن حذيفة بن اليمان، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده، ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم"[1].

ثم قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2]. ينهى هذه الأمة أن تكون كالأمم الماضية في تفرقهم واختلافهم، وتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع قيام الحجة عليهم[3].

عن أبي عامر عبد الله بن لحي[4]، قال: حججنا مع معاوية بن أبي سفيان، فلما قدمنا مكة قام حين صلى صلاة الظهر فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة – يعني الأهواء– كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة، وإنه سيخرج في أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء، كما يتجارى الكلب بصاحبه[5]، لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله، والله – يا معشر العرب– لئن لم تقوموا بما جاء به نبيكم صلى الله عليه وسلم لغيركم من الناس أحرى ألا يقوم به"[6].

---

(1) أخرجه الترمذي في **سننه، كتاب** أبواب الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ٤/٤٦٨. حديث رقم: ٢١٦٩، قال الألباني: **صحيح الجامع الصغير وزيادته**، ٢/ ١١٨٩. (حسن) [حم ت] عن حذيفة. القاري، **المشكاة**، ط ١، ٥١٤٠.

(2) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(3) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٢/ ٩١– ٩٢.

(4) هو أبو عامر الهوزني عبد الله بن لحي، والد أبي اليمان، من قدماء التابعين، توفي سنة إحدى وثمانين للهجرة، وروى له أبو والنسائي وابن ماجة. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ط ١، ٥ / ٤٥٥.

(٥) (تتجارى بهم الأهواء) أي: أن الأهواء توجد فيهم، وتتمكن من عقولهم، (كما يتجارى الكلب بصاحبه)، والكلب: هو الداء الذي يحصل من الكلب الذي أصيب بداء الكلب، فإذا عض أحدا فإنه يحصل لذلك المعضوض بسبب هذه العضة ضرر وألم يصل إلى جميع جسده، ولا يبقى منه مفصل أو عرق إلا دخله. العباد، **شرح سنن أبي داود**، ١ / ٢.

(6) أخرجه أحمد في **مسنده**، ٢٨/١٣٥، **مسند الصحابة في الكتب التسعة**، ٣٨/ ٣٧٩، حديث رقم: ١٦٩٣، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن، وحديث افتراق الأمة منه صحيح بشواهده.

ثانيا: وسطية هذه الأمة:

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[1].

يقول تعالى: إنما حولناكم إلى قبلة إبراهيم عليه السلام، واخترناها لكم لنجعلكم خيار الأمم، لتكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم؛ لأن الجميع معترفون لكم بالفضل، والوسط هاهنا: الخيار والأجود، كما يقال: قريش أوسط العرب نسبا ودارا، أي: خيرها، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وسطا في قومه، أي: أشرفهم نسبا، ومنه الصلاة الوسطى، التي هي أفضل الصلوات، وهي العصر، كما ثبت في الصحاح وغيرها، ولما جعل الله هذه الأمة وسطا خصها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج وأوضح المذاهب، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ﴾[2][3].

يعني جل ثناؤه بقوله:"وكذلك جعلناكم أمة وسطا"، كما هديناكم أيها المؤمنون بمحمد عليه والسلام وبما جاءكم به من عند الله، فخصصناكم بالتوفيق لقبلة إبراهيم وملته، وفضلناكم بذلك على من سواكم من أهل الملل، كذلك خصصناكم ففضلناكم على غيركم من أهل الأديان، بأن جعلناكم أمة وسطا[4].

قال أبو جعفر الطبري: "وأنا أرى أن"الوسط" في هذا الموضع، هو"الوسط" الذي بمعنى: الجزء الذي هو بين الطرفين، مثل "وسط الدار"، وأرى أن الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم"وسط"، لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه، غلو النصارى الذين غلوا بالترهب، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه – ولا هم أهل تقصير فيه، تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به؛ ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحب الأمور إلى الله

([1]) سورة البقرة، الآية : ١٤٣.

([2]) سورة الحج، الآية: ٧٨.

([3]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ١/٤٥٤.

([4]) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ٣/ ١٤١.

أوسطها، وأما التأويل، فإنه جاء بأن "الوسط" العدل، وذلك معنى الخيار، لأن الخيار من الناس عدولهم"[1].

وهذه الجملة معترضة بين جملة: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾[2] إلخ وجملة: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ﴾[3]إلخ، والواو اعتراضية، وهي من قبيل الواو الاستئنافية، فالآية السابقة لما أشارت إلى أن الذين هدوا إلى صراط مستقيم هم المسلمون، وأن ذلك فضل لهم ناسب أن يستطرد لذكر فضيلة أخرى لهم هي خير مما تقدم، وهي فضيلة كون المسلمين عدولا خيارا ليشهدوا على الأمم، لأن الآيات الواقعة بعدها هي في ذكر أمر القبلة، وهذه الآية لا تتعلق بأمر القبلة، وقوله: (وكذلك): مركب من كاف التشبيه واسم الإشارة، فيتعين تعرف المشار إليه وما هو المشبه به، قال الزمخشري: «أي مثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم أمة وسطا» فاختلف شارحوه في تقرير كلامه وتبين مراده، فقيل: «الإشارة إلى المفهوم، أي ما فهم من قوله: ﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[4] أي كما جعلناكم أمة وسطا، أو كما جعلنا قبلتكم أفضل قبلة، جعلناكم أمة وسطا»، أي أن قوله: (يَهْدِى مَن يَشَآءُ) يومئ إلى أن المهدي هم المسلمون، وإلى أن المهدي إليه هو استقبال الكعبة وقت قول السفهاء: ما ولاهم [البقرة: ١٤٢]، وهذا يجعل الكاف باقية على معنى التشبيه، وقد يكون مرادا منه التنويه بالخبر، فيجعل كأنه مما يروم المتكلم تشبيهه، ثم لا يجد إلا أن يشبهه بنفسه، وفي هذا قطع للنظر عن التشبيه في الواقع، وأوضح منه في هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾[5]، فإنه لم يسبق ذكر شيء غير الذي سماه الله تعالى فتنة أخذا من فعل فتنا، والوسط: اسم للمكان الواقع بين أمكنة تحيط به أو للشيء الواقع بين أشياء محيطة به ليس هو إلى بعضها أقرب منه إلى بعض، ولما كان معنى النفاسة والعزة والخيار من لوازم معنى الوسط عرفا، أطلقوه على الخيار النفيس كناية، قال زهير:

هم وسط يرضى الأنام بحكمهم ... إذا نزلت إحدى الليالي بمعضل

([1]) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ٣ /١٤١- ١٤٢.

([2]) سورة البقرة، الآية: ١٤٢.

([3]) السورة السابقة، الآية: ١٤٣.

([4]) سورة البقرة، الآية: ١٤٢.

([5]) سورة الأنعام، الآية: ٥٣.

وقال تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾[1].

وأما إطلاق الوسط على الصفة الواقعة عدلا بين خلقين ذميمين فيهما إفراط وتفريط كالشجاعة بين الجبن والتهور، والكرم بين الشح والسرف والعدالة بين الرحمة والقساوة، فذلك مجاز بتشبيه الشيء الموهوم بالشيء المحسوس، فلذلك روي حديث: «خير الأمور أوسطها»،[2]، وقد شاع هذان الإطلاقان حتى صارا حقيقتين عرفيتين، فالوسط في هذه الآية فسر بالخيار لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[3]، وفسر بالعدول، والتفسير الثاني رواه الترمذي في «سننه» من حديث أبي سعيد الخدري عن النبيء صلى الله عليه وسلم، وقال: حسن صحيح، والجمع في التفسيرين هو الوجه، ووصفت الأمة بوسط بصيغة المذكر، لأنه اسم جامد، فهو لجموده يستوي فيه التذكير والتأنيث، مثل الوصف بالمصدر في الجمود والإشعار بالوصفية، بخلاف نحو: رأيت الزيدين هذين، فإنه وصف باسم مطابق لعدم دلالته على صفة، بل هو إشارة محضة لا تشعر بصفة في الذات، وضمير المخاطبين هنا مراد به جميع المسلمين لترتبه على الاهتداء لاستقبال الكعبة فيعم كل من صلى لها، ولأن قوله: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ﴾ فسر في الحديث الصحيح بأنها شهادة الأمة كلها على الأمم، فلا يختص الضمير بالموجودين يوم نزول الآية، والآية ثناء على المسلمين بأن الله قد ادخر لهم الفضل، وجعلهم وسطا بما هيأ لهم من أسبابه في بيان الشريعة بيانا جعل أذهان أتباعها سالمة من أن تروج عليهم الضلالات التي راجت على الأمم، وقوله: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ﴾ علة لجعلهم وسطا، فإن أفعال الله تعالى كلها منوطة بحكم وغايات لعلمه تعالى وحكمته، و (الناس) عام، والمراد بهم الأمم الماضون والحاضرون، وهذه الشهادة دنيوية وأخروية، فأما الدنيوية فهي حكم هاته الأمة على الأمم الماضين والحاضرين بتبرير المؤمنين منهم بالرسل المبعوثين في كل زمان وبتضليل الكافرين منهم برسلهم والمكابرين في العكوف على مللهم بعد مجيء ناسخها وظهور الحق، والشهادة الأخروية هي ما رواه البخاري والترمذي عن أبي سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يجاء بنوح يوم القيامة،

([1]) سورة القلم، الآية: ٢٨.

([2]) وسنده ضعيف، قال السخاوي: "رواه ابن السمعاني في ذيل تاريخ بغداد بسند مجهول، السخاوي، **المقاصد الحسنة**، ط١، (رقم ٤٥٥)، أحاديث لا تصح، ١/ ٥.

([3]) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

فيقال له: هل بلغت؟ فيقول نعم يا رب، فتسأل أمته هل بلغكم؟ فيقولون: ما جاءنا من نذير، فيقول الله: من شهودك؟ فيقول محمد وأمته، فيجاء بكم، فتشهدون، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾، قال: عدلا، ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[1]، وهذا يدل على أن هذه الشهادة من جملة معنى الآية، لا أنها عين معنى الآية، والشهادة على الأمم تكون لهم وعليهم، ولكنه اكتفى في الآية بتعديتها بعلى إشارة إلى أن معظم شهادة هذه الأمة وأهمها شهادتهم على المعرضين، لأن المؤمنين قد شهد لهم إيمانهم، فالاكتفاء بعلى تحذير للأمم من أن يكونوا بحيث يشهد عليهم، وتنويه بالمسلمين بحالة سلامتهم من وصمة أن يكونوا ممن يشهد عليهم، وقوله: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ معطوف على العلة، وليس علة ثانية، لأنه ليس مقصودا بالذات، بل هو تكميل للشهادة الأولى، لأن جعلنا وسطا يناسبه عدم الاحتياج إلى الشهادة لنا وانتفاء الشهادة علينا، وتعدية شهادة الرسول على الأمة بحرف (على) مشاكلة لقوله قبله: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾، وإلا فإنها شهادة للأمة، وقيل: بل، لتضمين (شَهِيدًا) معنى رقيبا ومهيمنا في الموضعين، وتقديم الجار والمجرور على عامله للاهتمام بتشريف أمر هذه الأمة حتى أنها تشهد على الأمم والرسل، وهي لا يشهد عليها إلا رسولها [2].

ثالثا: فضل هذه الأمة على سائر الأمم:

قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾[3].

يخبر تعالى عن هذه الأمة المحمدية بأنهم خير الأمم، فقال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، واختلف أهل التأويل في تأويل قوله:﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، فقال بعضهم: هم الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة، وخاصة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال آخرون: معنى ذلك: كنتم خير أمة أخرجت للناس، إذا كنتم بهذه الشروط التي

([1]) ابن حجر، **فتح الباري**، ط ١، ١٣/ ٣١٦، كتاب الاعتصام (١٩) باب ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾.

([2]) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ط١، ٢/ ١٤- ٢٢.

([3]) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

وصفهم جل ثناؤه بها، فكان تأويل ذلك عندهم: كنتم خير أمة تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله، أخرجوا للناس في زمانكم، وقال آخرون: إنما قيل:﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، لأنهم أكثر الأمم استجابة للإسلام، وقال بعضهم: عنى بذلك أنهم كانوا خير أمة أخرجت للناس[1]، والمعنى: أنهم خير الأمم وأنفع الناس للناس، والصحيح أن هذه الآية عامة في جميع الأمة، كل قرن بحسبه، وخير قرونهم الذين بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، أي: خيارا ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[2].

عن أبي هريرة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، قال: خير الناس للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام، وفي رواية أخرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنتم توفون سبعين أمة، أنتم خيرها، وأنتم أكرم على الله عز وجل"[3].

وإنما حازت هذه الأمة قصب السبق إلى الخيرات بنبيها محمد صلى الله عليه وسلم، فإنه أشرف خلق الله أكرم الرسل على الله، وبعثه الله بشرع كامل عظيم لم يعطه نبيا قبله ولا رسولا من الرسل، فالعمل على منهاجه وسبيله، يقوم القليل منه ما لا يقوم العمل الكثير من أعمال غيرهم مقامه[4].

وأما قوله:" تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ"، فإنه يعني: تأمرون بالإيمان بالله ورسوله، والعمل بشرائعه "وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ"، يعني: وتنهون عن الشرك بالله، وتكذيب رسوله، وعن العمل بما نهى عنه، وأصل"المعروف" كل ما كان معروفا فعله، جميلا مستحسنا، غير مستقبح في أهل الإيمان بالله، وإنما سميت طاعة الله"معروفا"، لأنه مما يعرفه أهل الإيمان ولا يستنكرون فعله[5].

([1]) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ٧/١٠٠ – ١٠٤.

([2]) سورة البقرة، الآية : ١٤٣.

([3]) أخرجه أحمد في **مسنده**، ٣٢٨/٣٣، حديث رقم: ٢٠٠٢٥.

([4]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٢/ ٩٣ – ٩٤.

([5]) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ٧/ ١٠٤ – ١٠٦.

قال أبو جعفر الطبري: "فإن سأل سائل فقال: وكيف قيل:"كنتم خير أمة"، وقد زعمت أن تأويل الآية: أن هذه الأمة خير الأمم التي مضت، وإنما يقال:"كنتم خير أمة"، لقوم كانوا خيارا فتغيروا عما كانوا عليه؟ قيل: إن معنى ذلك بخلاف ما ذهبت إليه، وإنما معناه: أنتم خير أمة، كما قيل: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ﴾[1]، وقد قال في موضع آخر: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡ﴾[2]، فإدخال"كان" في مثل هذا وإسقاطها بمعنى واحد، لأن الكلام معروف معناه، ولو قال أيضا في ذلك قائل:"كنتم"، بمعنى التمام، كان تأويله: خلقتم خير أمة، أو: وجدتم خير أمة، كان معنى صحيحا، وقد زعم بعض أهل العربية أن معنى ذلك: كنتم خير أمة عند الله في اللوح المحفوظ، أخرجت للناس، وقال آخرون: معنى ذلك: كنتم خير أهل طريقة، وقالوا:"الأمة": الطريقة، والقولان الأولان اللذان قلنا، أشبه بمعنى الخبر الذي رويناه"[3].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾[4] يعني: ولو صدق أهل التوراة والإنجيل من اليهود والنصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاءهم به من عند الله؛ لكان خيرا لهم عند الله في عاجل دنياهم وآجل آخرتهم، "منهم المؤمنون"، يعني: من أهل الكتاب من اليهود والنصارى، المؤمنون المصدقون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاءهم به من عند الله، وهم: عبد الله بن سلام[5]

([1]) سورة الأنفال، الآية: ٢٦.

([2]) سورة الأعراف، الآية: ٨٦.

([3]) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ٧/ ١٠٦.

([4]) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

([5]) هو عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، صحابي، قيل إنه من نسل يوسف بن يعقوب، أسلم عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، وكان اسمه " الحصين " فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله، وفيه الآية: ﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ سورة الرعد، والآية ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ﴾ الآية: ١٠من سورة الأحقاف، وشهد مع عمر فتح بيت المقدس والجابية، ولما كانت الفتنة بين علي ومعاوية، اتخذ سيفا من خشب، واعتزلها، وأقام بالمدينة إلى أن مات ٤٣ هـ، له ٢٥ حديثا. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ط ١، ٥ / ٣٩٥.

وأخوه[1]، وثعلبة بن سعية[2] وأخوه[3]، وأشباههم ممن آمنوا بالله وصدقوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم، واتبعوا ما جاءهم به من عند الله "وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ"، يعني: الخارجون عن دينهم، وفي كلا الكتابين صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ومبعثه، وأنه نبي الله، وكلتا الفرقتين -أعني اليهود والنصارى- مكذبة له، فذلك فسقهم وخروجهم عن دينهم الذي يدعون أنهم يدينون به[4].

([1]) هو ثعلبة بن سلام – مخفف اللام – الصحابي، أخو عبد الله بن سلام، فيه وفي أخيه عبد الله وفي سعنة، بالنون، ومبشر وأسد بن يكع بن زلت: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾ سورة آل عمران. ذكرها ابن جريج. الوافي بالوفيات، ٣ / ٤٩٠، ولعبد الله بن سلام أخ آخر، وهو سلمة بن سلام أخو عبد الله بن سلام ذكرها ابن منده في الصحابة، وقال: قال ابن عباس فيه نزلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ﴾ الآية: ١٣٦، من سورة النساء. البغدادي، **تكملة الإكمال**، ط١، ٣ / ٢٥٨.

([2]) هو ثعلبة بن سعية – بالياء آخر الحروف – الصحابي، هو أحد الثلاثة الذين أسلموا يوم قريظة، فمنعوا دماءهم وأموالهم، لهم خبر في السير: يخرج في أعلام نبوة محمد ص٢، قال البخاري: توفي ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية في حياة النبي صلى الله عليه وسلم. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ط ١، ٣ / ٤٩٠.

([3]) هو أسيد بن سعية الصحابي، أخو ثعلبة بن سعية السابق ترجمته.

([4]) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ٧/ ١٠٧.

المبحث الثاني: التركيز على بعض الأمم، وفيه عشرة مطالب:

لقد خصص الله الكلام على أمم بأعيانها، وخصها بأشياء كثيرة من الحديث القرآني، بلغ عدد تلك الأمم إلى عشرة أمم، وذلك لما حظيت هذه الأمم بما لم تحظ به الأمم الأخرى من منازل عالية، ودرجات رفيعة، وإمكانات قوية، وكانت لها آيات عظيمة ودروس وعبر ومواعظ بليغة، جعلتها جديرة وحقيقة بالذكر والإفراد بقسط وافر من السور والآيات القرآنية، وهي كالتالي:

المطلب الأول: قوم نوح عليه السلام:

قوم نوح هم أول الأمم التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، وكانوا سكان الأرض في تلك الفترة الزمنية التي كانت بعد آدم عليه السلام، بعشرة قرون، وقد أرسل الله إليهم نبيه نوحا عليه السلام بعد انحرافهم عن التوحيد إلى الشرك، فدعاهم إلى عبادة الله وحده ونبذ عبادة الأصنام، لكن العناد كان قد تمكن من القوم، فلم يزدادوا إلا كفرا وتكذيبا، رغم طول الفترة الزمنية التي قضاها نوح عليه السلام بين ظهرانيهم، وهي ألف سنة إلا خمسين عاما، ورغم الأساليب والوسائل التي استخدمها نوح عليه السلام في دعوته، فقد سخر كافة السبل والوسائل في دعوته، إلا أن ذلك لم ينفع في تغيير اتجاههم، فقد عكفوا على عبادة الأصنام المعهودة لديهم: ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر، وقد تفنن الناس في عبادتهم للأصنام، فصنعوا على صورتها الأوثان العديدة، وانقسموا إلى طوائف، وجماعات، حيث عبدت كل طائفة صنما معينا، واتخذت صورا عديدة لعبادته[1].

ووجد في قوم نوح الأغنياء، وهم الملأ الذين تمتعوا بمستوى فكري متقدم، مكنهم من الجدل والحوار، وجعلهم يتيهون به؛ استعلاء وتكبرا، وتصوروا بسببه أنهم أعظم من الفقراء شأنا ومقاما، كما كان في قومه –عليه السلام– الفقراء، ويبدو أنهم كانوا يعملون في خدمة الأغنياء في ضعف وهوان، وكان للقوم حضارة؛ لأن الله جعل لهم الأرض بساطا، فسلكوا فيها طرقا، وعملوا بالزراعة وساروا بالتجارة، وصنعوا الأصنام، وأقاموا التماثيل واتخذوها آلهة، وعبدوها من دون الله تعالى[2].

([1]) ابن كثير، **قصص الأنبياء**، ط١، ١/ ٧٤-١١٩، وغلوش، **دعوة الرسل**، ط١، ٦٠.

([2]) غلوش، **دعوة الرسل**، ط١، ٦٠-٦١.

ولما يئس نوح عليه السلام من استجابة قومه، وجاءه الوحي الإلهي بأنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن، دعا عليهم بالهلاك، فاستجاب الله دعوته، وجاءه الأمر بهلاك قومه بالطوفان، فأغرقهم الله جميعا، وطهر الأرض من دنس شركهم، الذي نجس الأرض بعد طهارتها بعشرة قرون، قال تعالى: ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ ﴾[1].

وبعد هلاك القوم عاد كل شيء إلى طبيعته، كما كان بأمر الله تعالى، وهكذا طويت صفحة الظالمين، ليبدأ فصل جديد من فصول التاريخ بنوح ومن معه في السفينة، قال تعالى:﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ ﴾[2][3].

وقد ذكرهم الله في ثمانية عشر موضعا من القرآن الكريم.

([1]) سورة القمر، الآيتان: ١١-١٢.

([2]) سورة هود، الآية: ٤٨.

([3]) غلوش، **دعوة الرسل**، ط١، ٦٠-٦١.

المطلب الثاني: قوم هود عليه السلام:

قوم "هود" هم قبيلة "عاد"، و"عاد" قبيلة عربية، من العرب العاربة البائدة[1]، وهم بنو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، سكنت جنوب جزيرة العرب، في منطقة الأحقاف[2] الواقعة بين عمان وحضرموت، (جنوب منطقة الربع الخالي) حاليا.

وقد أشار الله إلى مواطنهم في القرآن في قوله تعالى:﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٢١﴾[3]، وكانوا خلفاء لقوم نوح عليه السلام، يدل على ذلك قوله تعالى على لسان نبيهم هود عليه السلام:﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ﴾[4].

وقد أنعم الله على هذه القبيلة بطيب العيش، ورغد الحياة، فتمكنوا من إقامة حضارة راقية، مزدهرة، شاملة لصور عديدة من الرقي، والمدنية، ففي المجال الزراعي أمدهم الله بالماء، فأسسوا البساتين، وحفروا الأنهار والعيون، وربوا الماشية والدواب، يذكرهم الله بذلك، وهو يدعوهم، يقول تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ ١٣٢ أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ ١٣٣ وَجَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ١٣٤﴾[5].

---

(1) قسم المؤرخون العرب إلى ثلاثة: عاربة ومتعربة ومستعربة، فالعاربة هم العرب الأول الذين ذهبت عنا أخبارهم؛ لتقادم عهدهم، وهم شعوب كثيرة، منهم عاد وثمود وجديس وجرهم، وقد يسمى هذا النوع بالبائدة، بمعنى الهالكة؛ لأنهم لم يبق على وجه الأرض أحد من نسلهم، وأما المتعربة فهم بنو قحطان بن عابر الذين نطقوا بلسان العرب العاربة، وسكنوا ديارهم، وأما المستعربة فهم بنو إسماعيل بن إبراهيم، وهم بنو عدنان بن أد. النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ط١، ٢٩٢/٢.

(2) الأحقاف: جمع حقف، وهو الرمل المعوج، ابن منظور، **لسان العرب**، ط١، مادة حقف، ١/ ٩٣٩، والحموي، **معجم البلدان**، ط٢، ١/ ١٤٢، وما ذكر في موضع الأحقاف هو القول المشهور فيه، وهناك قول ثان يؤيده بعض المعاصرين، وهو أنها تقع في شمال الجزيرة إلى ناحية الشام، **دراسات تاريخية**، ٢٤٩.٢٤٧، والحموي، **معجم البلدان**، ط٢، ١٤٢/١.

(3) سورة الأحقاف، الآية: ٢١.

(4) سورة الأعراف، الآية: ٦٩.

(5) سورة الشعراء، الآيات: ١٣٢-١٣٤.

وفي المجال الصناعي، شيدوا المصانع الضخمة، تمدهم بالقوة، وتسهل لهم الحياة، يوضح الله لهم هذه النعمة، فيقول سبحانه:﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾﴾[1].

وكان لهم في مجال العمران باع طويل، لدرجة أنهم تفردوا بحضارتهم المعمارية، يقول تعالى:﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿٨﴾﴾[2]، وتميزوا بضخامة البدن، وقوة الجسم، وطول القامة، كما يدل عليه قوله تعالى:﴿وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةًۖ﴾[3]، وبدل أن تستفيد القبيلة بما أفاء الله عليها من نعم في أبدانهم ومدنيتهم، انتكست في أخلاقها ودينها، واتصفت بالكبر، والغرور، والظلم، والعدوان، يقول الله تعالى عن أخلاقهم:﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةًۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾[4].

وقد ضلوا ضلالا كبيرا في دينهم، فهم أول من اتخذ الأصنام بعد قوم نوح، صنعوها، وعبدوها من دون الله تعالى، وضيعوا حق الله، وأنكروا القيامة والبعث، وقالوا:﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾﴾[5]، فنطقوا بمذهب الدهريين، الذين يقولون: ما هي إلا أرحام تدفع، وأرض تبلع، والأمر أنف، وليس في الأمر خالق قدير، ولكن التفوق المادي والحضاري الذي عاشته عاد، صاحبه سوء أخلاقهم وفساد دينهم، وتغلغلهم في الكفر والضلال، وتخيلت أن تفوقهم سبيلهم إلى التحكم في الآخرين، وتوجيه الناس كما يريدون، وظنوا أن من حقهم السيطرة على الأفكار والعقول، وعملوا على أن تسود آلهتهم كل من يخالطهم بما فيهم أخوهم هود، الذي بعثه الله إليهم لينذرهم، ولكنه عليه السلام تبرأ منهم ومن آلهتهم[6]، فلما أبوا إلا الكفر والعناد أهلكهم الله بالريح

([1]) سورة الشعراء، الآيات: ١٢٨، ١٢٩.

([2]) سورة الفجر، الآيات:٦-٨.

([3]) سورة الأعراف، الآية: ٦٩.

([4]) سورة فصلت، الآية: ١٥.

([5]) سورة المؤمنون، الآية: ٣٧.

([6]) ابن كثير، **قصص الأنبياء**، ط١، ١/ ١٢٠. ١٤٤، وغلوش، **دعوة الرسل**، ط١، ٨١.

وقطع دابرهم، وفيه يقول الله عز وجل:﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾[1].

وذكرهم الله في أربعة عشر موضعا، ذكروا باسم عاد أربع عشرة مرة فيها، وباسم قوم هود مرتين.

المطلب الثالث: قوم صالح عليه السلام:

قوم صالح –عليه السلام– هم قبيلة "ثمود"، وهي قبيلة عربية، تشبه قبيلة "عاد" في نواح عديدة، فهي من العرب العاربة البائدة [2].

وقد سكنت شمال جزيرة العرب في منطقة تعرف بـ "الحجر" الواقعة بين الحجاز والشام[3]، قال تعالى عنهم:﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾﴾[4]، واشتهرت القبيلة بحضارتها الزاهية، في جوانب الحياة المختلفة، فلهم حضارتهم الزراعية؛ حيث الجنات والعيون، والزروع المختلفة والنخيل بثمره الوافر، وفوائده الكثيرة، وكانت لهم حضارتهم العمرانية، فقد أسسوا الأبنية الفارهة، حيث كانوا يسكنون في الصيف بيوتا أقاموها في أعالي الجبال، وفي الشتاء يسكنون في بيوت نحتوها في باطن الجبال، وهذا يحتاج إلى رقي علمي، وتقدم صناعي تمكنت منه قبيلة ثمود، وكانوا يتمتعون بطاقة عقلية متقدمة، إلا أن الشيطان زين لهم أعمالهم وألهاهم بالشهوات، وصدهم عن الحق، فكفروا بأنعم الله، وعبدوا الأصنام من دون الله تعالى[5]، فأرسل الله إليهم أخاهم صالحا أن اعبدوا الله واتقوه، فإذا هم فريقان يختصمون، قال تعالى:﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن

([1]) سورة فصلت، الآية: ١٦.

([2]) الطبري، **تاريخ الطبري**، ط٢، ١/١٣٣، **وتاريخ ابن خلدون**، ط٢، ٢/٢٨.

([3]) الحجر بكسر الحاء وسكون الجيم، وتعرف المنطقة حاليا بمدائن صالح، وتقع شمال مدينة العلا، على بعد ٣٦٥ كيلا من المدينة، عن طريق خيبر. **الآثار في شمال الحجاز**، ط ١، ١٥٢.

([4]) سورة الحجر، الآية: ٨٠، و الحموي، **معجم البلدان**، ط٢، ٢/٢٥٥.

([5]) ابن كثير، **قصص الأنبياء**، ط١، ١/ ١٤٥. ١٦٦، وغلوش، **دعوة الرسل**، ط١، ٩٥.

سُهُولِهَا قُصُورًا وَنَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾﴾[1]،وقال أيضا:﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾﴾[2]، وكان الأولى بهم أن يستفيدوا بقدراتهم العقلية والبدنية، لكنهم وجهوها في الجدل العقيم، والرد على دعوة صالح – عليه السلام– بالمزاعم الباطلة، والشبهات الزائفة، ويبدو أن قبيلة ثمود تقدمت في مدنيتها عن عاد؛ لأنهم اتخذوا مجلسا مكونا من تسعة أشخاص، يقودهم سياسيا وينميهم، ويتقدم بهم للأمام، لكن هذا المجلس أفسد بدل أن يصلح، وأضل بدل أن يهدي، يقول الله تعالى عن ذلك: ﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾[3].

فلما لم يقابلوا نعم الله بالشكر والعرفان، وأبوا إلا الكفر والنكران، وعقروا الناقة التي طلبوها آية لهم، وأتبعوا بالتحدي لنبيهم صالح عليه السلام، انتقم الله له وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين، يقول تعالى في ذلك:﴿ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾[4]، وقال:﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾﴾[5].

وقد ذكر الله قوم صالح في خمسة عشر موضعا من الذكر الحكيم، وذكروا باسم ثمود في جل المواضع، كما ذكروا قليلا باسم قوم صالح، وبأصحاب الحجر في موضع واحد.

---

(1) سورة الأعراف، الآية: ٧٤.

(2) سورة الشعراء، الآيات: ١٤٦. ١٤٨.

(3) سورة النمل، الآيتان: ٤٨-٤٩.

(4) سورة الأعراف، الآيتان: ٧٧_٧٨.

(5) سورة فصلت، الآية: ١٧.

المطلب الرابع: قوم إبراهيم عليه السلام:

تنقل إبراهيم –عليه السلام– في أماكن عديدة، وعايش أقواما مختلفين، وشاهد مذاهب كثيرة، فلقد ولد ونشأ في بلدة "كوثى" أو "أور" من أرض بابل، من أعمال الكلدانيين، وقد عاش الكلدانيون في موطنهم بأرض بابل، وهي في مكان العراق الحالية، وكان لهم حضارة ومدنية، وعرفوا النظام الملكي، حيث ملكهم "النمرود بن كنعان"، وقد اتخذ الكلدانيون آلهة متعددة؛ فعبدوا الأصنام، والأوثان، والنجوم، والأشخاص، وادعى "النمرود" الألوهية، وقال للناس: أنا أحيي وأميت، فصدقوه، واتخذوه إلها لهم مع الآلهة الأخرى، وكثرة آلهة القوم، واشتغالهم بصناعتها، والمتاجرة فيها دليل على توغلهم في الفساد والضلال، ولقد دعا إبراهيم –عليه السلام– قومه إلى توحيد الله وعبادته، ونبذ الشرك والشركاء، لكنهم أبوا، وأصروا على ضلالهم، فتركهم إبراهيم وهاجر إلى مكان آخر، أمره الله به وعينه له، وهاجر معه الذين آمنوا بدعوته، وهم: زوجته سارة، وابن أخيه لوط، ونزل بأرض الكنعانيين، وأقام بـ "حران" قريبا من دمشق الحالية، وكان الكنعانيون يعبدون الكواكب، ويضعون على كل باب لبيوتهم هيكلا لكوكب يعبدونه، وكانوا يتوجهون ليلا إلى القطب الشمالي، وكان لآلهتهم أعياد، وطقوس، وقربات، يقومون بها لكسب نفع، أو دفع ضر، ولقد أقام إبراهيم ومن معه بأرض الشام مدة من الزمن، حتى نزل ببلاد الشام قحط شديد أدى إلى أن يرحل إبراهيم ومعه سارة إلى مصر، ودخلا قرية يحكمها جبار من الجبابرة، وكان المصريون يعبدون الأشخاص، والأصنام، والأنعام، إلا أن إبراهيم –عليه السلام– لم يمكث مع المصريين طويلا، فرحل منها بعد أن نجى الله سارة من طغيان الجبار، ومحاولة اعتدائه عليها، وأهداها هاجر حين أخافه الله منها، ورجع إبراهيم إلى بلاد الشام مرة ثانية قريبا من بيت المقدس، وتنقل بين قراها، فسكن بلدة السبع وحفر بها بئرا، وبنى مسجدا، وسكن ببلدة بين الرملة وإيليا هي مدينة الخليل الحالية، وكانت تسمى "حبرون"، وبينها وبين بيت المقدس مسيرة يوم، واستقر إبراهيم في بلاد الشام ومعه زوجته، وجاريتها هاجر، وعن هذه الإقامة يقول الله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾[1].

([1]) سورة الأنبياء، الآية: ٧١.

وصار لإبراهيم –عليه السلام– جيش قوي ببيت المقدس، وتبعه ملوك بيت المقدس، واستقر بها صلوات الله وسلامه عليه، وحينما نعلم أن إبراهيم –عليه السلام– أرسل لقومه خاصة، فعلينا أن ندرك أن المراد بقوم النبي هم أهله الأقربون، والمقيمون معه، والمتكلمون بلغته، وبذلك يتضح أن قوم إبراهيم –عليه السلام– الذين دعاهم هم الكلدانيون، والكنعانيون، ومن عاش معهم وتكلم بلغتهم[1]، وفيه وفي قومه يقول المولى عز وجل: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾[2]، إلى أن قال: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾[3].

وقد ذكرهم الله في ثمانية مواضع غير ما مر من القرآن الكريم.

([1]) ابن كثير، **قصص الأنبياء**، ط١، ١/ ١٦٧. ٢٥٣، وغلوش، **دعوة الرسل**، ط١، ١١٨. ١١٩.

([2]) سورة العنكبوت، الآيتان: ١٦–١٧.

([3]) السورة السابقة، الآية: ٢٤.

المطلب الخامس: قوم لوط عليه السلام:

قوم لوط عليه السلام خليط من الكنعانيين ومن نزل حولهم[١]، وكانوا يسكنون في المنطقة الواقعة بين الأردن وفلسطين[٢]،

في خمس قرى أكبرها "سدوم"[٣]، وحولها صبعة وصعرة وعمرة ودوما[٤]، سكنها لوط، فصار أهلها قومه؛ لأنه سكن معهم، وتكلم بلغتهم[٥].

عبد قوم لوط عددا من الآلهة، إلا أنهم استغرقوا في إشباع شهواتهم وملذاتهم، واخترعوا في الإشباع الجنسي ما لم يعرفه أحد قبلهم، فكان الرجل يأتي الرجل سعيدا بفعلته، مع أنه شذوذ معارض للفطرة، وقد أعطاهم الله تعالى كثيرا من نعمه وآلائه، فأخذوها ووضعوها في غير موضعها؛ ولذلك وصفهم الله تعالى فقال:﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾﴾[٦].

ولتجمع أهل القرية على فعل الخبائث، أسند الله الفعل إلى القرية؛ لبيان تمكن أهلها في السوء، مع أنه فاحشة، ينكرها العقل السليم، ويأباها الذوق والعفاف، لكنهم لسوئهم كانوا يفعلونها جهرة، وبلا حياء أو تحرج، حتى إنهم شيدوا الأندية لإتيان الفاحشة فيها بصورة جماعية، يقول الله تعالى:﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ﴾[٧]،وسيطرت هذه الفاحشة على نشاطهم وحياتهم، واستمروا على ما هم عليه حتى أتاهم لوط –عليه السلام– ودعاهم إلى التوحيد، وترك ما هم عليه من فاحشة، وعدوان، فلم يهتموا بالدعوة، وكفروا بالله، واستمروا في

---

(١) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ط١، ٢٢٩/٨.

(٢) المسعودي، **مروج الذهب**، ط ١، ١ /١٢.

(٣) ويرى البعض أن سدوم: مجموعة من القرى المتجاورة. الحموي، **معجم البلدان**، ط٢، ٢٠٠/٣.

(٤) الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، ط٢، ١/ ١٨٣، والمسعودي، **مروج الذهب**، ط ١، ١٢/١، وفيها أيضا: صابورا وصاعورا وعمورا وأدموتا، أبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ط١، ٢٥/١.

(٥) الحموي، **معجم البلدان**، ط٢، ٢٠٠/٣.

(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٧٤.

(٧) سورة العنكبوت، الآية: ٢٩.

غيهم حتى نزل بهم أمر الله؛ فأهلكهم ودمرهم، ولما كانت معصيتهم تغييرا للفطرة، وقلبها على غير وجهها، جاءت عقوبتهم مناسبة لصنيعهم، فقلب الله عليهم قريتهم وجعل عاليها سافلها، ونجى الله لوطا –عليه السلام– ومن آمن به من أهل بيته إلا امرأته كانت من الغابرين،﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ٨٢ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدِۢ ٨٣﴾[1][2].

وقد ورد ذكر قوم لوط في خمسة عشر موضعا من القرآن الكريم.

المطلب السادس: قوم شعيب عليه السلام:

أرسل الله شعيبا –عليه السلام– إلى قومه مدين، وهي قبيلة عربية تسكن في مدينة "مدين" المسماة باسم جدها مدين، الواقعة بين الشام والحجاز، ونقل عن بعض المؤرخين أن أرضهم كانت تمتد من خليج العقبة إلى موآب[3] وطور سيناء، فيما ذكر آخرون أنها كانت تمتد من شبه جزيرة سيناء إلى نهر الفرات[4].

وقد حدد الإمام ابن كثير رحمه الله موقع مدينة مدين بأنها قريبة من أرض معان[5] من أطراف الشام مما يلي الحجاز، قريبا من بحيرة قوم لوط[6]، وقد سكن بينهم شعيب بعد هجرته من أرض "بابل"، وأتقن لغتهم؛ فصار واحدا منهم، وقد أنعم الله على "مدين" بنعم عديدة، أشار إليها

([1]) سورة هود، الآية: ٨٢–٨٣.

([2]) ابن كثير، **قصص الأنبياء**، ط١، ١/ ٢٥٤. ٢٧١.

([3]) بضم الميم وسكون الواو بعدها ألف ممدودة، وقد تكتب (مآب) بفتح الميم بعدها ألف ممدودة، وهي مدينة في طرف الشام، شرقي البحر الميت. الحموي، **معجم البلدان**، ط٢، ٣٧/٥، والحميري، **الروض المعطار**، ط٢، ٥١٧، **و** شراب، **المعالم الأثيرة**، ط١، ٢٣٧ .

([4]) القلموني، **تفسير المنار**، ط ١، ٤٦٧/٨، **ودراسات تاريخية**، ط ١، ٢٨٧.

([5]) بفتح المبم، مدينة تقع في طرف بادية الشام، تلقاء الحجاز، شرقي الأردن، جنوب عمان، على بعد ٢١٢ كيلا . الحموي، **معجم البلدان**، ط٢، ٥ /١٧٩، **و** شراب، **المعالم الأثيرة**، ط١، ٢٧٥.

([6]) ابن كثير، **قصص الأنبياء**، ط١، ١/٢٧٤.٢٧٥.

قوله تعالى:﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡ﴾[1]، وهذه الكثرة بعد القلة شاملة لعددهم، ولمعاشهم، وكافة جوانب حياتهم، فلقد كانوا عددا قليلا فصاروا شعبا عريضا، وكانوا ضعفاء فصاروا أقوياء، يقعدون للناس بكل طريق، وكانوا فقراء فصاروا أغنياء، يعملون ويتصرفون في نتاج بساتينهم بالبيع والشراء، وكان لهم في مجال التجارة سبق وتفوق، وكان موقع قراهم سببا لهذا التفوق حيث تروح القوافل، وتغدو محملة بألوان التجارات صيفا وشتاء، ومع هذه النعم السابغة كفر القوم بالله، وأشركوا معه آلهة أخرى، وعبدوها من دونه سبحانه وتعالى، وشاع فيهم الفساد، وشمل معاملاتهم وأخلاقهم، ومن صور فسادهم:

١- التطفيف في الكيل والميزان، فكانوا إذا اشتروا مكيلا أو موزونا استوفوه، وإذا باعوه أنقصوه.

٢- بخس الناس حقوقهم[2]، والغش، والحيل، وإنقاص ما للآخرين، والتعدي على كافة الحقوق المادية والمعنوية.

٣- الظلم وأكل أموال الناس بالباطل، والبغي بغير الحق، والعدوان على الأنفس والأعراض، وإفساد الأخلاق بنشر الفواحش والآثام ما ظهر منها وما بطن، وهدم العمران بالجهل وعدم النظام، وإنقاص الحقوق، واللهو، والعبث.

٤- صد الناس عن الخير والاستقامة، وكانوا يجلسون في كل طريق ليخبروا المارة بأن شعيبا كذاب، ويخوفونهم إن اتبعوه.

٥- محاولة تشويه الحق، وتحويل الدين إلى منهج معوج وفق ما يشتهون ويريدون، وهو المراد من قوله تعالى:﴿وَتَبۡغُونَهَا عِوَجٗا﴾[3].

ولهذا بعث الله لهم أخاهم شعيبا يدعوهم إلى التوحيد وحسن المعاملة ومكارم الأخلاق، فكان ما كان منهم، ولم يجد معهم دعوة شعيب عليه السلام، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر،

---

(1) سورة الأعراف، الآية: ٨٦.

(2) البخس أعم من التطفيف؛ لأنه يشمل المعدود، غلوش، **دعوة الرسل**، ط١، ١٦٠.

(3) سورة الأعراف، الآية: ٨٦.

فأصابهم الظلة، وهي سحابة أظلتهم، فيها شرر من نار ولهيب، ووهج عظيم، ثم جاءتهم صيحة من السماء، ورجفة من الأرض شديدة من أسفل منهم، فزهقت الأرواح وفاضت النفوس، وخمدت الأجسام[1].

و قد سلك القرآن في ذكرهم مسلكين: تارة يذكرهم باسم مدين، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾[2]، وتارة يذكرهم باسم أصحاب الأيكة، كما ورد في قوله تعالى:﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾[3].

والصحيح أنهما اسمان لأمة واحدة، أرسل إليهم شعيب، وتسميتهم بمدين نسبة إلى جدهم أو مدينتهم، وتسميتهم بأصحاب الأيكة نسبة إلى أيكة [4]كانوا يعبدونها[5].

ويدل على هذا أن الله تعالى ذكر في أصحاب الأيكة ما ذكره تماما في مدين، من نقص المكيال والميزان وبخس الناس أشياءهم، إلى غير ذلك من التوابع، بدون أي اختلاف في الأسلوب والحكاية، مما يدل على أنهما أمة واحدة[6].

ويرجح هذا القول عدم ورود الاسمين معا في أي موضع من القرآن الكريم، ولو كانتا أمتين، فلربما ذكرتا معا في بعض المواضع، لاسيما عند المواضع التي ذكر فيها جل الأمم المكذبة في سياق واحد،

كما في سور التوبة[7]، والحج[8]،

([1]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٢ /٢٤٢.

([2]) سورة الأعراف، الآية: ٨٥.

([3]) سورة الحجر، الآية: ٧٨.

([4]) الأيكة: الشجر الملتف، الراغب الأصفهاني، **المفردات**، ٣٠، و ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٣٥٨/٣.

([5]) نسب الحافظ ابن حجر رحمه الله هذا القول إلى الجمهور، **فتح الباري**، ط ١، ٤٥٠/٦، البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ط١، ٢٥٦/٣، ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٣٥٨/٣، **و** الشنقيطي، **أضواء البيان**، ط ١، ٣٢٧/٢.

([6]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٣٥٨/٣.

([7]) سورة التوبة، الآية: ٧٠.

([8]) سورة الحج، الآيات: ٤٢- ٤٤.

وص[1]، وق[2] [3].

ولما لم يرد ذلك في شيء مما ذكر، دل ـ والله أعلم ـ أنهم عينهم وذاتهم، لا يختلفون في شيء من الأشياء[4].

وقد ذكرهم الله في اثني عشر موضعا من القرآن الكريم.

المطلب السابع: بنو إسرائيل:

يطلق المؤرخون أسماء "العبرانيين واليهود وبني إسرائيل"، ويريدون بها طائفة واحدة معينة من الناس وهم: أبناء يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام، بيد أن اليهود وإن تبجحوا بهذا النسب الكريم لا يستطيعون أن يقيموا الدليل على نقاوة الدم السامي في عروق المعاصرين منهم بعد هذه السنين الطويلة التي مرت عليهم حافلة بالأحداث والفتن والمذابح والتشريد والاضطهاد بسبب طبائعهم الشاذة، وقد ذكر بعض المؤرخين أن اسم العبرانيين أطلق عليهم بعد أن عبروا نهر الأردن قادمين من سيناء والعقبة صوب مدينة أريحا، وهو النهر الذي ذكره الله في سورة البقرة﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾[5][6].

([1]) سورة ص، الآيات: ١٢-١٤.

([2]) سورة ق، الآيات: ٢١-٢٤.

([3]) سيلا، **أسباب هلاك الأمم السالفة**، ط١، ٣٤.٣٥.

([4]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ١/٢٧٢. ٢٩٠.

([5]) سورة البقرة، الآية: ٢٤٩.

([6]) سليم، **بنو إسرائيل في ضوء الإسلام**، ط٣، ٧١.

أما كلمة "اليهود" فقد ذكر الله على لسان موسى عليه السلام الدعاء المشهور: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾[1]، أي تبنا ورجعنا، وقال تعالى في سورة الجمعة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[2].

واليهود من الهوادة، وهي المودة أو التهود وهي التوبة؛ كقول موسى، عليه السلام الآنف الذكر: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾[3]،أي: تبنا، فكأنهم سموا بذلك في الأصل لتوبتهم ومودتهم في بعضهم لبعض، وقيل: لنسبتهم إلى يهوذا أكبر أولاد يعقوب عليه السلام، وقيل: لأنهم يتهودون، أي: يتحركون عند قراءة التوراة[4].

فاليهود إذا هم أتباع موسى، عليه السلام، الذين كانوا يتحاكمون إلى التوراة في زمانهم.

ويعقوب عليه السلام جدهم جميعا، وكان يسمى "إسرائيل" أيضا كما ورد ذلك في القرآن الكريم.

وعند التأمل يجد الباحث أن أبا الأنبياء إبراهيم عليه السلام[5] الكلداني الأصل، وقد بعثه الله رسولا في قومه عبدة الكواكب والأصنام في العراق، فبعد يأسه من استجابة قومه له يمم وجهه مهاجرا تلقاء الأرض المقدسة "فلسطين"[6]، وعاش عيشة البداوة متنقلا بين نابلس والخليل والقدس بقطعان الأبقار والماشية التي كان يمتلكها، وقد أشار الله إلى حياة البادية هذه فقال على لسان

([1]) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.

([2]) سورة الجمعة، الآية: ٦.

([3]) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.

([4]) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ٢ / ١٤٣، وابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ١/ ٢٨٥.

([5]) سمي أبا الأنبياء، لأن الله جعل في ذريته من بعده النبوة، وفيه قال تعالى عنه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾، سورة العنكبوت، الآية: ٢٧، وكرر هذا المعنى في سورة الحديد، الآية ٢٦.

([6]) قال تعالى عنه: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾، الأنبياء، الآية: ٧١، سليم، **بنو إسرائيل في ضوء الإسلام**، ط٣، ٧٣.

يوسف عليه السلام بن يعقوب عليه السلام في سورة يوسف:﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ ١٠٠﴾[1].

وتقدمت السنون بإبراهيم عليه السلام ولم يرزق البنين، وكان يكثر من الدعاء، فوهبه الله إسماعيل عليه السلام من زوجه المصرية هاجر، ثم هاجر بهما وإسماعيل وهو رضيع إلى الحجاز بأمر من الله، ثم امتن الله كذلك على زوجه الأولى "سارة" التي آمنت به حين كذبه الناس، فرزقه الله منها إسحاق بعد أن بلغت الثمانين كما قيل[2].

ولإسماعيل عليه السلام وأحفاده في بوادي الحجاز قصة طويلة، تتكامل أمجادها ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم، وهو أحد أحفاد إسماعيل عليه السلام رسولا للبشرية جمعاء، أما إسحاق عليه السلام فقد رزقه الله البنين، ويهمنا منهم يعقوب عليه السلام، وكان يسمى إسرائيل أيضا، وقيل إن إسرائيل كان لقبا له، والأول هو الظاهر، وقد أنعم الله على يعقوب باثني عشر ولدا من الذكور، وهم أجداد جميع بني إسرائيل، منهم يوسف عليه السلام، وبعد أحداث طويلة في حياة يوسف، يرتقي يوسف إلى أن يعين وزيرا للخزانة لدى ملك مصر، ويصيب القحط الأرض المقدسة، ويأتي إخوة يوسف إلى مصر ليمتاروا، وأخيرا يتم التعارف بينهم ويأمر بإحضارهم جميعا ووالده يعقوب معهم مهاجرين إلى مصر، بهذا ينتهي الفصل الأول من سيرة أجداد بني إسرائيل "أعني إبراهيم وإسحاق ويعقوب" أولئك الكرام من الأنبياء والرسل الذين عاشوا عيشة البداوة والفطرة والكرامة في شعاب الأرض المقدسة، وتبدأ صفحة جديدة من حياة بني إسرائيل في حضارة مصر ونعيمها وترفها، ويختلف المؤرخون في تقدير المدة الزمنية التي انقضت ما بين هجرة إسرائيل عليه السلام وجميع آل بيته إلى مصر وما بين خروج بني إسرائيل من مصر بقيادة الرسول الكريم موسى عليه السلام، وأغلبهم يقدرها بحوالي "٦٠٠" عام، وفي خلال هذه الفترة الطويلة التي مرت على المجتمع المصري، استطاع أن يسيطر فيها بنو إسرائيل على عناصر الحضارة في مصر، ثم رأى الطاغية فرعون أن يستذل بني إسرائيل خوفا منهم لما رأى في منامه ما أزعجه، من زوال ملكه على مولود من بني إسرائيل، فقام باحتياطات لم يسبق

([1]) سورة يوسف، الآية: ١٠٠.

([2]) راجع سورة هود، الآيتين: ٧١-٧٢، وسورة الذاريات، الآيتين: ٢٩-٣٠.

إليها، فقد أمر بقتل كل ذكر يولد من بني إسرائيل واستحياء الإناث منهم، وطغى فرعون وتجبر، وأذاق بني إسرائيل أصناف الاضطهاد والعذاب، حتى أصبح الصغار والمسكنة والهوان لازمة لهم، وأورثهم الحسد الذي ورثوه من أجدادهم إخوة يوسف لؤما وحقدا على المجتمعات التي يعايشونها، فأصبحت الخيانة والزور والبهتان واستحلال أموال الآخرين من غير بني إسرائيل، فأصبحت مزاياهم اللاصقة بهم، وقد تعرض القرآن الكريم إلى نقاش وجدال طويل هادئ مع اليهود، وبين أخطاءهم الفكرية، وفضح عنادهم ومكرهم ودخائل نفوسهم وتصديهم لمعارضة الدعوة، وعتب عليهم إذ لم يستجيبوا للدعوة مع أنها مصدقة لما معهم من التوراة، لعلهم يرجعون ويهودون، وهو يسلك سبيل الترغيب والترهيب، ويذكرهم بنعم الله السابقة عليهم وبجرائم أجدادهم ومكرهم وعقاب الله لهم كما فعل بأهل السبت، إذ مسخهم قردة وخنازير، ولو ذهبت تعدد الآيات التي وردت في بني إسرائيل في القرآن الكريم لطال الأمر كثيرا، ولخرج البحث من مقال موجز إلى بحث مستفيض يستوعب الصفحات الكثيرة الطويلة، ولكن لذكر شيء على سبيل المثال: أن الآيات: ٤٠- ١٣٣ من سورة البقرة كلها في بني إسرائيل بدون استثناء، ثم يعود الحديث إليهم وعنهم متقطعا حسب المناسبات، بحيث يشمل الحديث عنهم ما يقارب ثلث سورة البقرة، ولا تكاد تخلو سورة طويلة من الإشارة إليهم وإلى أنبيائهم[1]، وما كل ذلك إلا لخبث القوم وازديادهم وتفننهم في المكر والخداع والغدر، وقانا الله شرهم، وأرجع البيت المقدس والمسجد الأقصى إلى حوزة الإسلام والمسلمين.

وقد ذكر الله قوم موسى أحيانا بقوم موسى، وأحيانا ببني إسرائيل، وتارة بقوم فرعون، (وإن كان هذا يغلب على من كان من القبط، أو بقي على ملة فرعون من غير القبط) وحينا بأهل الكتاب، وطورا بالذين هادوا أو اليهود، فإذا كان الحديث عن القوم الذين آمنوا بموسى في عصره كان ذكرهم بقوم موسى، وإذا كان الحديث عن الذين أنكروا رسالة موسى عليه السلام وبقوا مع فرعون كان ذكرهم بقوم فرعون، وإن كانوا من قوم موسى في كونه مرسلا إليهم، وإذا كان الحديث عنهم في عصر النبي صلى الله عليه وسلم كان ذكرهم ببني إسرائيل في أغلب الأحوال، أو اليهود أو الذين هادوا، كل ذلك عند ما يكون الحديث خاصا بقوم موسى، أما إذا كان الحديث عاما في اليهود والنصارى كان ذكرهم بأهل الكتاب غالبا.

([1]) سليم، **بنو إسرائيل في ضوء الإسلام**، ط٣، ٧٠-٨٩.

وقد ورد ذكرهم بقوم موسى في عشرة مواضع من القرآن الكريم، وأما قوم فرعون فكان ذكرهم في ثلاثة مواضع، وأما الحديث عن بني إسرائيل فحدث ولا حرج، فقد كان لهم ذكر كثير، وفي آيات مستفيضة، في ستة وثلاثين موضعا من القرآن الكريم، وأما ذكرهم بأهل الكتاب فقد ورد في اثنين وثلاثين موضعا من القرآن، وأما الحديث عنهم بالذين هادوا فقد جاء في عشرة مواضع من الذكر الحكيم، وأما ذكرهم باليهود فقد أتى في ستة مواضع، وأما ذكرهم بالهود فقد ورد ذلك في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم.

المطلب الثامن: النصارى:

"النصارى" جمع، واحدهم نصران، كما واحد السكارى سكران، وكذلك جمع كل نعت كان واحده على"فعلان" فإن جمعه على"فعالى"، إلا أن المستفيض من كلام العرب في واحد"النصارى""نصراني"، وقد حكي عنهم سماعا"نصران" بطرح الياء، وسمع منهم في الأنثى: "نصرانة"، وقد سمع في جمعهم"أنصار"، بمعنى النصارى، وسموا"نصارى" لنصرة بعضهم بعضا، وتناصرهم بينهم، وقد قيل إنهم سموا"نصارى"، من أجل أنهم نزلوا أرضا يقال لها"ناصرة"، أو لأن قرية عيسى ابن مريم كانت تسمى"ناصرة"، وكان أصحابه يسمون الناصريين، وكان يقال لعيسى:"الناصري"، فأصحابه وأهل دينه هم النصارى، ويقول آخرون: لقوله:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤﴾[1]، وقد يقال لهم: أنصار أيضا، كما قال عيسى، عليه السلام:﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ٥٢﴾[2][3]، كما أنهم قد يتسمون بالمسيحيين، نسبة إلى المسيح عيسى بن مريم عليه السلام.

وفيما يلي نبذة تاريخية عن النصارى عبر العصور والدهور:

([1]) سورة الصف، الآية: ١٤.

([2]) سورة آل عمران، الآية: ٥٢.

([3]) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ٢ /١٤٤. ١٤٥، و ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ١ / ٢٨٥.

المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، لما وضعته أمه مريم في بيت لحم في فلسطين، ذهبت به من فلسطين إلى مصر خوفا من هيرودس حاكم اليهودية، الذي عزم على قتل جميع الأطفال الذين ولدوا في ذلك العام؛ لأن منجمين مجوس أخبروه بولادة ملك اليهود، وبعد بلوغ المسيح عليه السلام الثلاثين من عمره ابتدأ دعوته، فكان يعظ الناس في أماكن تجمعهم، وإذا رأى مرضى يعالجهم ويتجول في سائر المدن اليهودية، وظهرت على يديه آيات كثيرة، مثل تكثير الطعام، وعلاج المرضى، وغير ذلك، وفي هذه الفترة المبكرة من دعوته التحق به من يزعم النصارى أنهم حواريو المسيح، وتابعوه في رحلاته، ثم أرسل تلاميذه اثنين اثنين إلى القرى للدعوة، وشعر رؤساء اليهود بالخطر الذي سيحيق بهم، من جراء دعوة المسيح عليه السلام؛ ولذا فقد اتفقت كلمتهم على ضرورة القضاء عليه، فلما كان في اليوم الأول من أيام عيد الفصح[1]، علم اليهود بمكانه في بيت المقدس، وذلك بوشاية من أحد أتباعه، وهو يهوذا الإسخريوطي، فجاءوا وألقوا القبض عليه، ففر تلاميذه وتركوه، فأخذه اليهود إلى رئيس كهنتهم، ثم حملوه إلى الوالي الروماني بيلاطس البنطي الذي –نزولا عند رغبة اليهود– حكم عليه بالموت على الصليب، فحمل يوم الجمعة صباحا إلى موضع الصلب، حيث علق على الصليب في زعمهم حتى مات، ثم أنزل عن الصليب وأدخل قبرا، ثم إنه قام من قبره، وظهر لتلاميذه بعد ذلك، ثم ارتفع إلى السماء وهم ينظرون إليه، وكانت مدة دعوة المسيح حسب الأناجيل الثلاثة الأولى لا تزيد عن سنة واحدة إذ لم يذكروا خلال دعوة المسيح إلا عيدا واحدا، أما إنجيل يوحنا فذكر ثلاثة أعياد لليهود؛ لهذا يرى كثير من النصارى أن مدة دعوته كانت ثلاث سنوات، وكان أتباعه خلال هذه المدة والذين خلفهم بعده ينحصرون في الاثني عشر حواريا وآخرين يبلغ مجموعهم مائة وعشرين فقط.[2].

([1]) الفصح هو عيد يهودي، ويسمونه أيضا عيد الفطير؛ لأنهم يأكلون فيه الخبز فطيرا غير مختمر، وهو عندهم عيد الضحية حيث يضحون فيه بحمل أو جدي ونحوه، وأصل هذا العيد ذكرى لنجاة بني إسرائيل من فرعون مصر، وقد استبدل النصارى عيد الفصح اليهودي بالعشاء الرباني حيث يزعمون أن المسيح هو حمل فصحهم المذبوح، وأن الخبز والخمر رمز لتلك الأضحية عندهم وهو المسيح عليه السلام. **الفكر الديني اليهودي**، ط ١، (١٨٠-١٨٨)، واطسون، **شرح أصول الإيمان**، ط ١، ٥٠٠.

([2]) الخلف، **دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية**، ط٤، ١٧٢. ١٧٥. **تاريخ الكنيسة**، .ط١، ١٤٠.١٠٩/٣، **قانون الإيمان**، ط ١، ٢٢١ ، عند الحديث عن مجمع نيقية. و**تاريخ الفكر المسيحي**، ط ١، ٦٤٦/١-٦٦٤.

وقد ذكر الله النصارى باسم النصارى في ثمانية مواضع فقط من القرآن الكريم، وما عداها ذكروا مع اليهود باسم أهل الكتاب.

المطلب التاسع: قوم تبع:

اختلف علماء التفسير في اسم "التبع" الحميري المذكور في القرآن الكريم، فذهب بعضهم إلى أنه من حمير، وذهب بعض آخر إلى أن تبع كان رجلا من العرب صالحا، وأنه لما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه وبين ذلك، وقالوا لا تدخلها علينا وقد فارقت ديننا، وكانوا يعبدون الأوثان فدعاهم إلى دينه، وقال إنه دين خير من دينكم، قالوا فحاكمنا إلى النار، قال نعم، فتحاكموا إليها، وكان معه حبران، فغلب الحبران النار، ونكصت على عقبها، فتهودت حمير، وهدم "تبع" بيت "رئام"، وهو بيت كانوا يعظمونه وينحرون عنده، وانتصر عليهم، وذكر ابن كثير أن "أسعد أبو كريب بن ملكيكرب اليماني" هذا هو "تبع الأوسط"، وأنه ملك قومه ثلاثمائة سنة وستا وعشرين سنة، ولم يكن في حمير أطول مدة منه، وتوفي قبل مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم نحوا من سبعمائة سنة، هذا وللتبابعة قصص طويل في كتب أهل الأخبار، فيها قصص عن نسبهم، وفيها قصص آخر عن فتوحاتهم وحروبهم، وكلام عن دياناتهم، وحديث عن حكمهم وأحكامهم، تجد فيها بعض التبابعة، وفد آمنوا برسالة الرسول ووقفوا على اسمه، وذلك قبل ميلاده بمئات من السنين، وتمنوا لو عاشوا فأدركوا أيامه وذبوا عن حياضه، هذا أحدهم، وهو التبع "أسعد أبو كرب بن ملكيكرب"، يقول:

شهدت على أحمد أنه رسول من الله باري النسم

فلو مد عمري إلى عمره لكنت وزير اله وابن عم

وجاهدت بالسيف أعداءه وفرجت عن صدره كلهم

فهو يشهد برسالة الرسول، ويؤمن بها قبل مبعثه بنحو من سبعمائة سنة، ويرجو لو مد في عمره، فوصل إلى أيام الرسول، لجاهد وحارب معه، وفرج عنه كل هم، لأنه كان يعلم بما سيلاقيه الرسول من قومه من أذى وعذاب، ولصار له وزيرا وابن عم، وتجد فيها أحاديث قيل إن رسول الله

صلى الله عليه وسلم، قالها في حق التبابعة مثل قوله: "لا تسبوا تبعا، فإنه كان قد أسلم"،[1] أو " ما أدري أكان تبع نبيا أم غير نبي"[2][3].

ويطلق أهل الأخبار لقب "تبع" على الملوك الذين حكموا اليمن، وعلى مجموعهم "التبابعة"، وهم في حيرة من تفسير المعنى، وقد ذكر أكثرهم أنهم إنما سموا تبعا و "تبابعة" لأنهم قوم يتبع بعضهم بعضا، كلما هلك واحد قام مقامه آخر، تابعا له علما مثل سيرته، أو لأن التبع ملك يتبعه قومه، ويسيرون خلفه تبعا له، أو لكثره أتباعه، أو من التتابع، وذلك لتتابع بعضهم بعضا، وذكروا أن أحد التبابعة كان قد صنع "الماذيات" من الحديد، وأن الحديد سخر له، كما سخر للنبي "داوود"عليه السلام[4].

وذكر أهل الأخبار أن تبع عند أهل اليمن لقب هو بمنزلة الخليفة للمسلمين وكسرى للفرس وقيصر للروم، وكان يكتب إذا كتب: بسم الذي ملك برا وبحرا[5].

وقد ذكر الله قوم تبع في موضعين اثنين من كتابه العزيز في الآيتين التاليتين:

١. ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾[6].

٢. ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾[7].

---

(١) رواه الطبراني في الكبير، من حديث سهل بن سعد الساعدي مرفوعا، **المعجم الكبير**، ط٢، ٦ / ٢٠٣، قال البوصيري: وإسناده حسن. **إتحاف الخيرة المهرة**، ٥ / ١٣٢.

(٢) رواه أبو داود في سننه، في كتاب السنة، باب التخيير بين الأنبياء، من حديث أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما أدري تبع أنبي هو أم لا وما أدري أعزير نبي أم لا)، **سنن أبي داود**، ٢ / ٦٣.
قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : ٥٥٢٣ في **صحيح الجامع**، ٢ / ٩٦٩.

(٣) علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ط٤، ٣/ ١٧٣- ١٧٤، والمسعودي، **مروج الذهب**، ط ١، ١/ ٢١٣.

(٤) المصدر السابق، ٣/ ١٧٢.

(٥) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(٦) سورة الدخان، الآية: ٣٧.

(٧) سورة ق، الآيات: ١٢-١٤.

المطلب العاشر: قريش:

تشتق كلمة قريش من قرش يقرش قرشا، والقرش الكسب والجمع من ها هنا وها هنا يضم بعضه إلى بعض، وسميت قريش قريشا لتقرشها أي: لتجمعها إلى مكة من حواليها حين غلب عليها قصي بن كلاب[1]، وقيل: سميت قريش قريشا لأنهم كانوا أهل تجارة، ولم يكونوا أصحاب زرع أو ضرع، وروي عن ابن عباس أنه قال: قريش دابة تسكن البحر تأكل دواب البحر، وفي رواية عته: إن في البحر حوتا يسمى قريشا يأكل الحيتان، ولا يؤكل، ويعلوها ولا يعلى، فلذلك سميت قريش قريشا، وأنشد هو أو غيره يذكرها:

وقريش هي التي تسكن البحـ ربهـا سميـت قـريش قريشـا

تأكـل الغـث[2] والسـمين ولا تـترك فيهـا لـذي الجنـاحين ريشـا

والنسبة إلى قريش قرشي، ويجوز للشاعر إذا اضطر أن يقول قريشي[3].

لقد خص الله قريشا بالفضل والمن على سائر الخلق، وبعث منها خاتم الأنبياء والرسل، نبي الرحمة، وأنزل عليه القرآن بلسانها، قال الله تعالى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴿٤﴾﴾[4]، فقريش هم قوم النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه منهم، وإن كانت رسالته عامة للثقلين الإنس والجن، وكونه منهم يجعل لرسالته مزيد خصوصية لهم، ولغة قريش أفصح اللغات ونسبها أصح الأنساب[5].

---

(١) هو قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي: سيد قريش في عصره، ورئيسهم، سمي " قصيا " لبعده عن دار قومه، وأكثر المؤرخين على أن اسمه " زيد " أو " يزيد " ولما كبر عاد إلى الحجاز، وولي البيت الحرام، فهدم الكعبة وجدد بنيانها وحاربته القبائل فجمع قومه من الشعاب والأودية وأسكنهم مكة، لتقوى بهم عصبيته، فلقبوه " مجمعا " وكانت له الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء، وكانت قريش تتيمن برأيه، فلا تبرم أمرا إلا في داره. السمعاني، **الأنساب**، ط١، ٤/ ٤٨٥.

(٢) الغث هو: المهزول، الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، ط٨، ١ / ٢٢١.

(٣) الهروي، **تهذيب اللغة**، ط١، ٨ / ٢٥٤، مادة ''قرش''. والفراهيدي، **العين**، ط ١، ٧٣/٥، وورد البيت الأول في **لسان العرب**، ط٣، مادة ''قرش''.

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٤.

(٥) الهاشمي، **المنمق في أخبار قريش**، ط١، ١٩.

من مكارمهم في الجاهلية: أنهم كانوا على حالة شركهم يترافدون على سقاية الحاج وإطعام أهل الموسم وحمل المنقطع به من الحاج ومعونته على بلاغ منزله، ومن مكارمهم: أن بيت الله كان في أيديهم ومفاتيحه كانت إليهم، لا يفتحه أحد من أهل الشرق والغرب غيرهم، فهذه مكارم فضلوا بها على العرب والعجم، وقال الله تعالى يذكر عن قول إبراهيم:﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾[1]، فمكثوا في الجاهلية كذلك مع مكارم كثيرة، هذه من أشهرها، حتى وصل الله تبارك وتعالى لهم ذلك بالإسلام والنبوة والخلافة، وكانت قريش تعودت رحلتين إحداهما في الشتاء إلى اليمن والأخرى في الصيف إلى الشام، ويكفيهم الله بهاتين الرحلتين، وفيه أنزل الله عز وجل: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۢ ٤﴾[2].

ولما بعث الله النبي محمدا صلى الله عليه وسلم، وأنزل عليه عز وجل: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾[3]، خرج حتى قام على الصفا، فقال: إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، فقال أبو لهب: تبا لك! ألهذا دعوتنا؟ فأنزل الله عز وجل:﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ٢ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ٣ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ٥﴾[4] [5].

وهكذا يستمر النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته لقومه ثلاثا وعشرين سنة، يدعوهم إلى الله ويخرجهم من الظلمات إلى النور، فيؤمن من شاء الله وقدر أن يؤمن، ويكفر بقضائه وعدله من

([1]) سورة إبراهيم، الآية: ٣٧.

([2]) سورة قريش، الآيات: ١- ٤، وإيلاف قريش يعني دأب قريش رحلة الشتاء والصيف.

([3]) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

([4]) سورة المسد، الآيات: ١-٥.

(٥) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٦ / ١٦٦.

يكفر، حتى يفتح الله على نبيه صلى الله عليه وسلم ويطهر الجزيرة العربية كلها من الشرك، ويدخل الناس في دين الله أفواجا[1].

وقد صرح الله باسم قريش في السورة التي خصصها لهم، وهي سورة قريش: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾[2].

كما بين في ثلاثة مواضع من كتابه العزيز بأن قريشا قوم النبي صلى الله عليه وسلم، حيث أضافهم إليه صلى الله عليه وسلم في الآيات التالية:

١. ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ۝٦٦﴾[3].

٢.﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ۝٥٧ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨﴾[4].

٣. ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ۝٤٤﴾[5].

([1]) الهاشمي، **المنمق في أخبار قريش**، ط١، ١٩. ٣٣٢. و الهاشمي، **المحبر**، ط ١، ١٦٤. ٣١٩، **وأخبار الدولة العباسية**، ط ١، ٧٢.

([2]) سورة قريش، الآيات: ١- ٤.

([3]) سورة الأنعام، الآية: ٦٦.

([4]) سورة الزخرف، الآيتان: ٥٧-٥٨.

([5]) السورة السابقة، الآية: ٤٤.

المبحث الثالث: التركيز على رؤساء الأمم:وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الرسل والأنبياء (غير المصرح بأسمائهم في القرآن الكريم) وذووهم، وعددهم سبعة أشخاص:

لقد خصص الله الحديث في القرآن على جملة من رؤساء الأمم، مابين رسل ونبي وحكيم وعبد صالح وملوك ووزراء ووجهاء، وذلك للاتعاظ والاعتبار بما حل بالمعاندين المكابرين من سوء عاقبة، نتيجة تكبرهم وتجبرهم وعتوهم، وللاتساء والاقتداء بأولي الأبصار منهم، الذين لم يمنعهم المنصب والملك والمال والجاه من تأدية شكر الله تعالى والقيام بما يجب عليهم، وهم كالتالي:

أولا: أبوا يوسف عليهما السلام:

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[1].

يخبر تعالى عن ورود يعقوب، عليه السلام، على يوسف، عليه السلام، وقدومه بلاد مصر، لما كان يوسف قد تقدم إلى إخوته أن يأتوه بأهلهم أجمعين، فتحملوا عن آخرهم وترحلوا من بلاد كنعان قاصدين بلاد مصر، فلما أخبر يوسف، عليه السلام، باقترابهم خرج لتلقيهم، وأمر الملك أمراءه وأكابر الناس بالخروج مع يوسف لتلقي نبي الله يعقوب، عليه السلام، ويقال: إن الملك خرج أيضا لتلقيه، وهو الأشبه[2].

وأبواه أحدهما يعقوب عليه السلام، وأما الآخر فقد اختلف فيه على قولين: أحدهما: أن أم يوسف- عليه السلام- وهي (راحيل) توفيت قبل ذلك حين ولدت بنيامين، ولذلك قال جمهور

([1]) سورة يوسف، الآيتان: ٩٩-١٠٠.

([2]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٤ / ٤١١.

المفسرين: أطلق الأبوان على الأب و زوج الأب وهي (ليئة) خالة يوسف- عليه السلام- وهي التي تولت تربيته على طريقة التغليب والتنزيل[1].

والثاني: أن المراد أمه، لأنه الظاهر من الإطلاق، ولم يقم دليل على موت أمه، وظاهر القرآن يدل على حياتها، وهذا الرأي هو المنصور الذي يدل عليه السياق[2]، والآخر خروج عن الظاهر بلا موجب، فوجب المصير إليه.

وقد أشكل قوله: {ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ} على كثير من المفسرين، فقال بعضهم: هذا من المقدم والمؤخر، ومعنى الكلام: {وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ } وآوى إليه أبويه، ورفعهما على العرش، وقد رد ابن جرير هذا، وأجاد في ذلك، ثم اختار أن يوسف آوى إليه أبويه لما تلقاهما، ثم لما وصلوا باب البلد قال: {ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ }، وفي هذا نظر أيضا؛ لأن الإيواء إنما يكون في المنزل، كقوله: {آوى إليه أخاه}، وما المانع أن يكون قال لهم بعدما دخلوا عليه وآواهم إليه: {ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ} وضمنه: اسكنوا مصر {إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ } أي: مما كنتم فيه من الجهد والقحط[3].

وقوله: {ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ } جملة دعائية بقرينة قوله: (إِن شَآءَ ٱللَّهُ) لكونهم قد دخلوا مصر حينئذ، فالأمر في (ٱدۡخُلُواْ) للدعاء كالذي في قوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ﴾[4].

وقوله: { وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ } أي: أجلسهما معه على سريره، {وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ } أي: سجد له أبواه وإخوته الباقون، وكانوا أحد عشر رجلا{وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ مِن قَبۡلُ } أي: التي كان قصها على أبيه ﴿إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ٤﴾[5]، وقد كان هذا سائغا في

---

(1) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ط١، ١٣ / ٥٥.

(2) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٤ / ٤١١-٤١٢.

(3) المصدر السابق، ط١، ٤ / ٤١١.

(4) سورة الأعراف، الآية: ٤٩.

(5) سورة يوسف، الآية: ٤.

شرائعهم إذا سلموا على الكبير يسجدون له، ولم يزل هذا جائزا من لدن آدم إلى شريعة عيسى، عليه السلام، فحرم هذا في هذه الملة، وجعل السجود مختصا بجناب الرب سبحانه وتعالى[1].

ثانيا: إخوة يوسف عليه السلام:

قال تعالى: ﴿ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ ﴾[2] الآيات.

يقول تعالى: لقد كان في قصة يوسف وخبره مع إخوته آيات، أي عبرة ومواعظ للسائلين عن ذلك، المستخبرين عنه، فإنه خبر عجيب، يستحق أن يستخبر عنه، { إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا } أي: حلفوا فيما يظنون: والله ليوسف وأخوه -يعنون بنيامين، وكان شقيقه لأمه - {أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ } أي: جماعة، فكيف أحب ذينك الاثنين أكثر من الجماعة؛ {إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ } يعنون في تقديمهما علينا، ومحبته إياهما أكثر منا، واعلم أنه لم يقم دليل على نبوة إخوة يوسف، وظاهر هذا السياق يدل على خلاف ذلك، ومن الناس من يزعم أنهم أوحي إليهم بعد ذلك، وفي هذا نظر، ويحتاج مدعي ذلك إلى دليل، ولم يذكروا سوى قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۝١٣٦﴾[3]، وهذا فيه احتمال؛ لأن بطون بني إسرائيل يقال لهم: الأسباط، كما يقال للعرب: قبائل، وللعجم: شعوب؛ فذكر تعالى أنه أوحى إلى الأنبياء من أسباط بني إسرائيل، فذكرهم إجمالا لأنهم كثيرون، ولكن كل سبط من نسل رجل من إخوة يوسف، ولم يقم دليل على أعيان هؤلاء أنهم أوحي إليهم، والله أعلم[4].

([1]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٤ / ٤١٢.

([2]) سورة يوسف، الآية: ٧.

([3]) سورة البقرة، الآية: ١٣٦.

([4]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٤ / ٣٧٢.

قال محمد بن إسحاق بن يسار[1]: "لقد اجتمعوا على أمر عظيم، من قطيعة الرحم، وعقوق الوالد، وقلة الرأفة بالصغير الضرع الذي لا ذنب له، وبالكبير الفاني ذي الحق والحرمة والفضل، وخطره عند الله، مع حق الوالد على ولده، ليفرقوا بينه وبين ابنه وحبيبه، على كبر سنه، ورقة عظمه، مع مكانه من الله فيمن أحبه طفلا صغيرا، وبين أبيه على ضعف قوته وصغر سنه، وحاجته إلى لطف والده وسكونه إليه، يغفر الله لهم وهو أرحم الراحمين، فقد احتملوا أمرا عظيما"[2].

ففي قصة يوسف- عليه السلام- دلائل على ما للصبر وحسن الطوية من عواقب الخير والنصر، أو على ما للحسد والإضرار بالناس من الخيبة والاندحار والهبوط[3].

وأخو يوسف- عليه السلام-(بنيامين) خصوه بالأخوة لأنه كان شقيقه، وأمهما (راحيل) بنت (لابان)، وكان بقية إخوته إخوة للأب، أم بعضهم (ليئة) بنت (لابان)، وأم بعضهم (بلهة) جارية (ليئة) وهبتها (ليئة) لزوجها يعقوب عليه السلام[4].

وكان يوسف أحب أبناء يعقوب- عليهما السلام- إليه، وكان فرط محبة أبيه إياه سبب غيرة إخوته منه، فكادوا له مكيدة، فسألوا أباهم أن يتركه يخرج معهم، فأخرجوه معهم بعلة اللعب و التفسح، وألقوه في جب، وأخبروا أباهم أنهم فقدوه، وأنهم وجدوا قميصه ملوثا بالدم، وأروه قميصه بعد أن لطخوه بدم، والتقطه من البئر سيارة من العرب الإسماعيليين كانوا سائرين في طريقهم إلى مصر، وباعوه كرقيق في سوق عاصمة مصر السفلى التي كانت يومئذ في حكم أمة من الكنعانيين يعرفون بالعمالقة أو (الهكصوص) وذلك في زمن الملك (أبو فيس) أو (ابيبي)، فاشتراه (فوطيفار) رئيس شرطة فرعون الملقب في القرآن بالعزيز، أي رئيس المدينة[5]

([1]) هو محمد بن إسحاق بن يسار المدني، من أقدم مؤرخي العرب، له (السيرة النبوية – ط) هذبها ابن هشام، وكان قدريا، ومن حفاظ الحديث، وكان جده يسار من سبيعين التمر، قال ابن حبان: لم يكن أحد بالمدينة يقارب ابن إسحاق في علمه أو يوازيه في جمعه، وهو من أحسن الناس سياقا للأخبار، أبو يعلى، **الإرشاد في معرفة علماء الحديث**، ط١، ١ / ٢٨٨.

([2]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٤ / ٣٧٢-٣٧٣.

([3]) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ط١، ١٢ / ٢١٨.

([4]) المصدر السابق، ١٢ / ٢٢٠.

([5]) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ط١، ١٢ / ٢٠٥- ٢٠٦.

ثالثا: الأسباط:

ورد ذكر الأسباط أربع مرات، في أربع آيات من الذكر الحكيم، في الآيات التالية:

١. ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾[١].

٢. ﴿أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٤٠﴾[٢].

٣. ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٨٤﴾[٣].

٤. ﴿۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣﴾[٤].

والأسباط: أولاد يعقوب عليه السلام، وهم اثنا عشر ولدا، ولكل واحد منهم من الأولاد جماعة، والسبط في بني إسرائيل بمنزلة القبيلة في العرب، وسموا الأسباط من السبط، وهو التتابع، فهم جماعة متتابعون، وقيل: أصله من السبط بالتحريك، وهو الشجر: أي هم في الكثرة بمنزلة الشجر، وقيل: الأسباط: حفدة يعقوب: أي أولاد أولاده، لا أولاده، لأن الكثرة إنما كانت فيهم دون أولاد يعقوب في نفسه فهم أفراد لا أسباط[٥]،و الأسباط: جمع سبط كأحمال وحمل وهم في أولاد إسحاق كالقبائل في أولاد إسماعيل، وقيل: من السبوطة، وهي الاسترسال، وقيل: إنه مقلوب البسط[٦].

([١]) سورة البقرة، الآية: ١٣٦.

([٢]) السورة السابقة، الآية: ١٤٠.

([٣]) سورة آل عمران، الآية: ٨٤.

([٤]) سورة النساء، الآية: ١٦٣.

([٥]) الشوكاني، **فتح القدير**، ط١، ١ / ٢٢٩.

([٦]) الألوسي، **روح المعاني**، ط١، ١/٣٩٥.

وقال البخاري: الأسباط: قبائل بني إسرائيل، وهذا يقتضي أن المراد بالأسباط هاهنا شعوب بني إسرائيل، وما أنزل الله تعالى من الوحي على الأنبياء الموجودين منهم[1]،وهم الأنبياء من ولد يعقوب[2].

واختلف الناس في الأسباط، هل كانوا كلهم أنبياء أم لا؟ على قولين: **أحدهما**: أنهم لم يكونوا جميعا أنبياء، لأن ما وقع منهم مع يوسف عليه الصلاة و السلام ينافي النبوة قطعا، وكونه قبل البلوغ غير مسلم، لأن فيه أفعالا لا يقدر عليها إلا البالغون، وعلى تقدير التسليم لا يجدي نفعا على ما هو القول الصحيح في شأن الأنبياء، وكم كبيرة تضمن ذلك الفعل[3]، **الثاني**: أنهم كانوا جميعا أنبياء، وذلك لأن الله تعالى ذكرهم بالإطلاق مع الأنبياء، وذلك يوجب كونهم أنبياء، وأن ما وقع منهم لا ينافي النبوة، لأنهم تابوا منه، والتائب من الشيء بمثابة العدم، وهذا الخلاف بناء على أنهم أولاد يعقوب عليه السلام، والظاهر والله أعلم، وجمعا بين القولين، وخروجا من الخلاف: أن الأسباط هم الأنبياء من أولاد يعقوب عليه السلام، كما عرفها إمام المفسرين الطبري[4]، وأما الإطلاق فمن باب التغليب للأنبياء منهم على غيرهم، والله تعالى أعلم.

رابعا: الخضر عليه السلام:

قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾[5].يقول تعالى: وهبنا له رحمة من عندنا وعلمناه من عندنا أيضا علما[6]، وتنكير علما، إما لأنه علم عظيم أو علم من علم الغيب.

([1]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ١ / ٤٤٩.

([2]) الطبري، **جامع البيان**، ط١ ٣ / ١٠٩.

([3]) الألوسي، **روح المعاني**، ط١، ١ / ٣٩٥.

([4]) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ٣ / ١٠٩، ٦٤.

([5]) سورة الكهف، الآية: ٦٥.

([6]) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ١٨ / ٦٢.

وقوله تعالى: {ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا} في هذه الرحمة ثلاثة أقوال، أحدها: أنها النبوة، والثاني: الرقة والحنو على من يستحقه، والثالث: النعمة[1].

ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه الخضر، واسمه بليا بن ملكان، قيل: كان من نسل بني إسرائيل، وقيل: كان من أبناء الملوك الذين تزهدوا في الدنيا، والخضر لقب له، سمي بذلك لما رواه أبو هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إنما سمي خضرا لأنه جلس على فروة[2] بيضاء فإذا هي تهتز تحته خضرا »[3]، وقال مجاهد: سمي خضرا لأنه إذا صلى اخضر ما حوله[4].

وهل كان الخضر نبيا أم لا؟ فيه قولان: كثير من الناس يذهب إلى أنه كان نبيا، وبعضهم يقول: كان عبدا صالحا[5].

وكان سبب سفر موسى صلى الله عليه وسلم وفتاه، ولقائه هذا العالم الذي ذكره الله في هذا الموضع فيما ذكر، أن موسى سئل: هل في الأرض، أعلم منك؟ فقال: لا، أو حدثته نفسه بذلك، فكره الله ذلك له، فأراد الله تعريفه أن من عباده في الأرض من هو أعلم منه، وأنه لم يكن له أن يحتم على ما لا علم له به، ولكن كان ينبغي له أن يكل ذلك إلى عالمه، وقال آخرون: بل كان سبب ذلك أنه سأل الله جل ثناؤه أن يدله على عالم يزداد من علمه إلى علم نفسه[6]، والأول أصح للخبر الوارد في الصحيح الآتي:

روى ابن عباس عن أبي بن كعب رضي الله عنهما، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن موسى قام خطيبا في بني إسرائيل، فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عز وجل عليه،

([1]) ابن الجوزي، **زاد المسير**، ط٣، ٤ / ٢٣٨.

([2]) الفروة: الأرض اليابسة، وقيل: الحشيش الأبيض وما أشبهه. العراقي، **تقريب الأسانيد**، ط ١,١ / ١٨٦.

([3]) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، ١/١٦٤٥، حديث رقم: ٣٤٠٢. وانظر: الحميدي، **الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم**، ط٢، **٣** / ١٩٦.

([4]) البغوي، **معالم التنزيل**، ط١، ٣ / ٢٠٥.

(٥) ابن الجوزي، **زاد المسير**، ط٣، ٤ / ٢٣٨.

([6]) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ١٨ / ٦٢- ٦٣.

إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه أن لي عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك؛ قال موسى: يا رب فكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتا فتجعله في مكتل، فحيثما فقدت الحوت فهو ثم، فانطلق معه فتاه يوشع بن نون، حتى إذا أتيا الصخرة، وضعا رؤوسهما فناما، واضطرب الحوت في المكتل، فخرج منه فسقط في البحر، فاتخذ سبيله في البحر سربا، وأمسك الله عن الحوت جرية الماء، فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما، حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا، قال: ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به، فقال فتاه: {قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ} إلى قوله : {عَجَبًا}، قال: فكان للحوت سربا، ولموسى ولفتاه عجبا، فقال موسى: {ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا} قال: رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة، فإذا هو مسجى بثوب، فسلم عليه موسى، فقال الخضر: وأنى بأرضك السلام! من أنت؟ قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم أتيتك لتعلمني مما علمت رشدا، قال: إنك لن تستطيع معي صبرا يا موسى، إني على علم من علم الله لا تعلمه علمنيه، وأنت على علم من علم الله علمكه لا أعلمه؛ فقال موسى: ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا؛ فقال له الخضر: فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا، فانطلقا يمشيان على الساحل، فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول؛ فلما ركبا في السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينة بالقدوم، فقال له موسى: قوم قد حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم {أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا...} إلى قوله : {عُسْرًا}؟! قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كانت الأولى من موسى نسيانا»، وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة، فنقر في البحر نقرة، فقال له الخضر: ما علمي وعلمك من علم الله تعالى إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر، ثم خرجا من السفينة، فبينما هما يمشيان على الساحل، إذ أبصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر رأسه فاقتلعه فقتله، فقال له موسى: {أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ} إلى قوله: {يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ} فقال الخضر بيده هكذا، فأقامه، فقال موسى: قوم أتيناهم فلم يطعمونا، ولم يضيفونا {لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا}! {قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَۚ...} الآية[1].

([1]) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب حفظ العلم، ١ / ٧٦، حديث رقم ١٢٢.

وانظر: ابن الجوزي، **زاد المسير**، ط٣، ٤ / ٢٣٥.

خامسا: فتى موسى (يوشع بن نون):

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ ﴾[1] الآيات.

ورد ذكر فتى موسى عليهما السلام مرتين، في هذه الآيات، في قصة موسى عليه السلام مع الخضر، وأما فتاه فهو يوشع بن نون من غير خلاف، وإنما سمي فتاه، لأنه كان يلازمه، ويأخذ عنه العلم، ويخدمه[2]، ويقال في اسمه: يشوع بن نون أيضا، من سبط أفرايم، وقد قيل: إنه ابن أخت موسى، كان اسمه الأصلي هوشع فدعاه موسى حين بعثه للتجسس في أرض كنعان يوشع، ويوشع أحد الرجال الاثني عشر الذين بعثهم موسى- عليه السلام- ليتجسسوا في أرض كنعان، ويختبروا بأس أهلها وخيرات أرضها ومكثوا أربعين يوما في التجسس، وهو أحد الرجلين اللذين شجعا بني إسرائيل على دخول أرض كنعان اللذين ذكرهما القرآن في آية: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ﴾[3]، وكان يوشع أحد الرجلين اللذين عهد إليهما موسى- عليه السلام- بأن يقسما الأرض بين أسباط بني إسرائيل بعد موسى-عليه السلام- وأمر الله موسى بأن يعهد إلى يوشع بتدبير أمر الأمة الإسرائيلية بعد وفاة موسى-عليه السلام- فعهد إليه موسى بذلك فصار نبيئا من يومئذ[4].

وسبب قول موسى عليه السلام لفتاه هذا الكلام: أنه ذكر له أن عبدا من عباد الله بمجمع البحرين، عنده من العلم ما لم يحط به موسى، فأحب الذهاب إليه، وقال لفتاه ذلك: {لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ} أي لا أزال سائرا حتى أبلغ هذا المكان الذي فيه مجمع البحرين، وهما بحر فارس مما يلي المشرق، وبحر الروم مما يلي المغرب، وقوله: {أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا} أي: ولو أني أسير حقبا من

---

(1) سورة الكهف، الآيات: ٦٠-٦٢.

(2) ابن الجوزي، **زاد المسير**، ط٣، ٤ / ٢٣٦.

(3) سورة المائدة، الآية: ٢٣.

(4) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ط١، ١٥ / ٣٥٩-٣٦٠.

الزمان[1]، يقول: أو أسير زمانا ودهرا، وهو واحد، ويجمع كثيره وقليله على أحقاب، وقد تقول العرب: كنت عنده حقبة من الدهر، ويجمعونها حقبا[2]، ومجمع البحرين: ملتقاهما، وهو الموضع الذي وعده الله بلقاء الخضر فيه[3]، وقوله: {فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا}، وذلك أنه كان قد أمر بحمل حوت مملوح معه، وقيل له: متى فقدت الحوت فهو ثمة، فسارا حتى بلغا مجمع البحرين؛ وهناك عين يقال لها: "عين الحياة"، فناما هنالك، وأصاب الحوت من رشاش ذلك الماء، فاضطرب، وكان في مكتل مع يوشع عليه السلام، وطفر من المكتل إلى البحر، فاستيقظ يوشع، عليه السلام، وسقط الحوت في البحر وجعل يسير فيه، والماء له مثل الطاق لا يلتئم بعده؛ ولهذا قال: {فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا} أي: مثل السرب في الأرض، وصار أثره كأنه حجر، وجعل لا يسلك طريقا إلا جعل ماء جامدا، وقوله: {فَلَمَّا جَاوَزَا} أي: المكان الذي نسيا الحوت فيه، ونسب النسيان إليهما وإن كان يوشع هو الذي نسيه، كقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾[4]، وإنما يخرج من المالح في أحد القولين، فلما ذهبا عن المكان الذي نسياه فيه مرحلة {قَالَ} موسى {لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا} يعني: تعبا، قال: {أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ}[5]، ولهذا قال: {وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ} أي: طريقه {فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ} أي: هذا الذي نطلب {فَٱرْتَدَّا} أي: رجعا {عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا} أي: طريقهما {قَصَصًا} أي: يقصان أثر مشيهما، ويقفوان أثرهما، حتى انتهيا إلى مدخل الحوت، {فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا}[6] وهذا هو الخضر، عليه السلام، كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[7].

---

(1) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٥ / ١٧٤.

(2) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ١٨ / ٥٦.

(3) ابن الجوزي، **زاد المسير**، ط٣، ٤ / ٢٣٦.

(4) سورة الرحمن، الآية: ٢٢.

(5) سورة الكهف، الآية: ٦٣.

(6) السورة السابقة، الآية: ٦٥.

(7) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٥ / ١٧٤- ١٧٥.

سادسا: لقمان الحكيم:

خصه الله تعالى بسورة كاملة في القرآن الكريم، سماها باسمه، هي سورة لقمان، وذكره تعالى فيها مرتين باسمه في هاتين الآيتين، ولم يرد له ذكر في غير ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾[1].

اختلف المؤرخون في نسبه، فقيل: هو لقمان بن باعوراء ابن ناحور بن تارح، وهو آزر أبو إبراهيم، وقيل: هو لقمان ابن عنقاء بن سرون، وكان نوبيا من أهل أيلة، وكان ابن أخت أيوب، وقيل: كان ابن خالته، وقيل كان من أولاد آزر، عاش ألف سنة، وأدركه داود عليه الصلاة والسلام وأخذ عنه العلم، وكان يفتي قبل مبعث داود، فلما بعث قطع الفتوى فقيل له، فقال: ألا أكتفي إذ كفيت، وقيل: كان قاضيا في بني إسرائيل، وقيل: كان لقمان أسود من سودان مصر، أعطاه الله تعالى الحكمة، وروي من حديث ابن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لم يكن لقمان نبيا ولكن كان عبدا كثير التفكر حسن اليقين، أحب الله تعالى فأحبه، فمن عليه بالحكمة، وخيره في أن يجعله خليفة يحكم بالحق، فقال: رب، إن خيرتني قبلت العافية وتركت البلاء، وإن عزمت علي فسمعا وطاعة فإنك ستعصمني)[2].

واختلف في صنعته، فقيل: كان خياطا، وقيل: كان يحتطب كل يوم لمولاه حزمة حطب، وقيل: كان راعيا، فرآه رجل كان يعرفه قبل ذلك، فقال له: ألست عبد بني فلان؟ قال بلى، قال: فما بلغ بك ما أرى؟ قال: قدر الله، وأدائي الأمانة، وصدق الحديث[3].

واختلف السلف في لقمان، عليه السلام: هل كان نبيا، أو عبدا صالحا من غير نبوة؟ على قولين، الأكثرون على الثاني،[4]والآثار منها ما هو مصرح فيه بنفي كونه نبيا، ومنها ما هو مشعر

([1]) سورة لقمان، الآيتان: ١٢-١٣ .

(١) المتقي، **كنز العمال**، ط١، ١٤ / ٢٠. برقم: ٣٧٨٦٥.

([3]) القرطبي، **الجامع**، ط١، ١٤ / ٥٩-٦٠.

([4]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٦ / ٣٣٣.

بذلك؛ لأن كونه عبدا قد مسه الرق ينافي كونه نبيا؛ لأن الرسل كانت تبعث في أحساب قومها؛ ولهذا كان جمهور السلف على أنه لم يكن نبيا، وإنما ينقل كونه نبيا عن عكرمة -إن صح السند إليه، فقال: كان لقمان نبيا، والله أعلم[1].

سابعا: الرسل الثلاثة عليهم الصلاة والسلام وأصحاب القرية:

قال تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۡۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾[2].

يقول تعالى: "**وَٱضۡرِبۡ**" -يا محمد- لقومك الذين كذبوك {مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ}.

واختلف أهل العلم في أسماء هؤلاء الرسل، وفيمن كان أرسلهم إلى أصحاب القرية ؛ فقال بعضهم: كانوا رسل عيسى ابن مريم، وأن عيسى هو الذي أرسلهم إليهم، وقال آخرون: بل كانوا رسلا أرسلهم الله إليهم، وكان اسم الرسولين الأولين شمعون ويوحنا، واسم الثالث بولص، والقرية أنطاكية[3].

وكان بمدينة أنطاكية، فرعون من الفراعنة يقال له أبطيحس بن أبطيحس يعبد الأصنام، صاحب شرك، فبعث الله المرسلين، وهم ثلاثة: صادق، ومصدوق، وسلوم، فقدم إليه وإلى أهل مدينته منهم اثنان فكذبوهما، ثم عزز الله بثالث ، فلما دعته الرسل ونادته بأمر الله، وصدعت بالذي

([1]) المصدر السابق، ٦ / ٣٣٤، قال ابن كثير: في السند جابر وهو ابن يزيد الجعفي، وهو ضعيف.

([2]) سورة يس، الآيات: ١٣-١٩.

([3]) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ٢٠ / ٥٠٠.

أمرت به، وعابت دينه، وما هم عليه، قال لهم(إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ)[1].

وقوله: {إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا} أي: بادروهما بالتكذيب، {فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ} أي: قويناهما وشددنا أزرهما برسول ثالث، {فَقَالُوا} أي: لأهل تلك القرية: {إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ} أي: من ربكم الذي خلقكم، نأمركم بعبادته وحده لا شريك له،{ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا} أي: فكيف أوحي إليكم وأنتم بشر ونحن بشر، فلم لا أوحي إلينا مثلكم؟ ولو كنتم رسلا لكنتم ملائكة، فأجابتهم رسلهم الثلاثة قائلين: الله يعلم أنا رسله إليكم، ولو كنا كذبة عليه لانتقم منا أشد الانتقام، ولكنه سيعزنا وينصرنا عليكم، وستعلمون لمن تكون عاقبة الدار، { وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} يقولون إنما علينا أن نبلغكم ما أرسلنا به إليكم، فإذا أطعتم كانت لكم السعادة في الدنيا والآخرة، وإن لم تجيبوا فستعلمون غب ذلك، فعند ذلك قال لهم أهل القرية: {إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ} أي: لم نر على وجوهكم خيرا في عيشنا، أو إن أصابنا شر فإنما هو من أجلكم، أو يكون المراد: لم يدخل مثلكم إلى قرية إلا عذب أهلها، {لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ}: بالحجارة، أو بالشتم، {وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ} أي: عقوبة شديدة. فقالت لهم رسلهم: {طَائِرُكُم مَّعَكُمْ} أي: مردود عليكم، وقوله: {أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ} أي: من أجل أنا ذكرناكم وأمرناكم بتوحيد الله وإخلاص العبادة له، قابلتمونا بهذا الكلام، وتوعدتمونا وتهددتمونا؟ أو إن ذكرناكم بالله تطيرتم بنا، بل أنتم قوم مسرفون[2]، فنصحهم واحد منهم فقتلوه، فانتقم تعالى من قومه بعد قتلهم إياه، غضبا منه تعالى عليهم؛ لأنهم كذبوا رسله، وقتلوا وليه، ويذكر تعالى أنه ما أنزل عليهم، وما احتاج في إهلاكه إياهم إلى إنزال جند من الملائكة عليهم، بل الأمر كان أيسر من ذلك، فقد بعث الله إليهم جبريل، عليه السلام، فأخذ بعضادتي باب بلدهم، ثم صاح بهم صيحة واحدة فإذا هم خامدون عن آخرهم، لم يبق فيهم روح تتردد في جسد، وأهلك الله ذلك الملك وأهل أنطاكية، فبادوا عن وجه الأرض، فلم يبق منهم باقية[3].

([1]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٦ / ٥٦٨.

([2]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٦ / ٥٦٩- ٥٧٠.

([3]) المصدر السابق، ط١، ٦ / ٥٧٢ -٥٧٣.

المطلب الثاني: الملوك والوزراء والوجهاء وذووهم، وعددهم عشرة أشخاص:

أولا: النمرود بن كنعان:

هو ملك بابل، واسمه النمرود ابن كنعان بن كوش بن سام بن نوح، وقيل: نمرود بن فالح بن عابر بن صالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح، وذكر علماء السيرة أن نمرود هذا استمر في ملكه أربعمائة سنة، وكان قد طغى وبغى وتجبر وعتا وآثر الحياة الدنيا، ولما دعاه إبراهيم الخليل إلى عبادة الله وحده لا شريك له، حمله الجهل والضلال وطول الآمال على إنكار الصانع، فحاج إبراهيم الخليل في ذلك، وادعى لنفسه الربوبية، فلما قال الخليل ربي الذي يحي ويميت قال أنا أحي وأميت[1]، وذكروا أن إبراهيم خليل الرحمن ولد في زمانه وأنه صاحبه الذي أراد إحراقه[2].

وذكر ابن جرير الطبري بسنده إلى ابن عباس وابن مسعود أن أول ملك ملك في الأرض شرقها وغربها: نمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح، وكانت الملوك الذين ملكوا الأرض كلها أربعة: نمرود، وسليمان بن داود عليهما السلام، وذو القرنين وبختنصر[3]، مؤمنان وكافران[4].

قصة النمرود مع إبراهيم عليه السلام:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾[5].

([1]) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ط١، ١ / ١٤ ٨.

([2]) الطبري، **تاريخ الأمم والرسل والملوك**، ط٢، ١ / ١٤٢.

(٣) بختنصر: مركب مزجي ك (حضرموت) و (بعلبك)، وتركيبه من (بخت) بمعنى (ابن)، و(نصر) اسم صنم وجد عنده هذا الملك لقيطا أول ولادته، فنسب إليه؛ إذ لم يعرف له أب، وبنو إسرائيل لما اعتدوا وقتلوا شعياء جاء بختنصر ملك فارس وحاصر بيت المقدس وفتحها عنوة واحرق التوراة وخرب بيت المقدس، وقتلهم شر قتلة. ابن منظور، **مختصر تاريخ دمشق**، ط ١، ١ / ٢٢٨٦، والحلبي، **السيرة الحلبية**، ط ١، ٢ / ٣٢٩. **وإتحاف النبلاء ببيان تسمية العلماء**، ط١، ١ / ٤.

([4]) الطبري، **تاريخ الأمم والرسل والملوك**، ط٢، ١ / ١٤٢. ١٤٣.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٥٨.

أتى أصحاب النجوم نمرود، فقالوا له: تعلم أنا نجد في علمنا أن غلاما يولد في قريتك هذه، يقال له إبراهيم، يفارق دينكم ويكسر أوثانكم في شهر كذا وكذا من سنة كذا وكذا، فلما دخلت السنة التي وصف أصحاب النجوم لنمرود، بعث نمرود إلى كل امرأة حبلى بقريته، فحبسها عنده، إلا ما كان من أم إبراهيم، امرأة آزر، فإنه لم يعلم بحبلها، وذلك أنها كانت جارية حدثة فيما يذكر، لم يعرف الحبل في بطنها، فجعل لا تلد امرأة غلاما في ذلك الشهر من تلك السنة إلا أمر به فذبح، فلما وجدت أم إبراهيم الطلق، خرجت ليلا إلى مغارة كانت قريبا منها، فولدت فيها إبراهيم عليه السلام، وأصلحت من شأنه ما يصنع بالمولود، ثم سدت عليه المغارة، ثم رجعت إلى بيتها، ثم كانت تطالعه في المغارة لتنظر ما فعل، فتجده حيا يمص إبهامه، يزعمون والله أعلم أن الله جعل رزق إبراهيم عليه السلام فيها ما يجيئه من مصه، وكان آزر فيما يزعمون، قد سأل أم إبراهيم عن حملها ما فعل، فقالت ولدت غلاما فمات، فصدقها، فسكت عنها، وكان اليوم فيما يذكرون على إبراهيم في الشباب كالشهر، والشهر كالسنة، ولم يمكث إبراهيم عليه السلام في المغارة إلا خمسة عشر شهرا، حتى قال لأمه: أخرجيني أنظر، فأخرجته عشاء فنظر وتفكر في خلق السموات والأرض، وقال إن الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسقاني لربي، مالي إلى غيره، ثم نظر في السماء، ورأى كوكبا، فقال هذا ربي، ثم اتبعه ينظر إليه ببصره حتى غاب، فلما أفل قال لا أحب الآفلين، ثم اطلع للقمر، فرآه بازغا، فقال هذا ربي، ثم اتبعه ببصره حتى غاب، فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين، فلما دخل عليه النهار وطلعت الشمس رأى عظم الشمس، ورأى شيئا هو أعظم نورا من كل شيء رآه قبل ذلك، فقال هذا ربي هذا أكبر، فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون، إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين، وحاجه قومه عند ذلك في الله جل ثناؤه يستوصفونه إياه، ويخبرونه أن آلهتهم خير مما يعبد، فقال أتحاجوني في الله وقد هدان، إلى قوله: فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون، يضرب لهم الأمثال ويصرف لهم العبر ليعلموا أن الله هو أحق أن يخاف ويعبد مما يعبدون من دونه، ثم إن نمرود فيما يذكرون قال لإبراهيم أرأيت إلهك هذا الذي تعبد وتدعو إلى عبادته وتذكره من قدرته التي تعظمه بها على غيره ما هو؟ قال إبراهيم ربي الذي يحي ويميت، فقال نمرود: فأنا أحيي وأميت، فقال له إبراهيم: كيف تحيي وتميت؟ قال: آخذ الرجلين قد استوجبا القتل في حكمي، فأقتل أحدهما فأكون قد أمته، وأعفو عن الآخر فأتركه فأكون

قد أحييته، فقال له إبراهيم عند ذلك: فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب، فعرف أنه كما يقول فبهت عند ذلك نمرود، ولم يرجع إليه شيئا، وعرف أنه لا يطيق ذلك، يقول الله عز و جل فبهت الذي كفر، يعني وقعت عليه الحجة، ثم إن نمرود وقومه أجمعوا في إبراهيم فقالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين[1]، ولما تمرد على ربه مع إملاء الله إياه وتركه تعجيل العذاب له على كفره به ومحاولته إحراق خليله بالنار حين دعاه إلى توحيد الله والبراءة من الآلهة والأوثان، عذبه الله وأهلكه[2].

ثانيا: ذو القرنين:

قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾[3].

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ويسألك يا محمد هؤلاء المشركون عن ذي القرنين ما كان شأنه، وما كانت قصته، فقل لهم: (سأتلو عليكم من خبره ذكرا) يقول: سأقص عليكم منه خبرا، وقد قيل: إن الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمر ذي القرنين، كانوا قوما من أهل الكتاب[4].

واختلف المفسرون في تعيين المسمى بذي القرنين اختلافا كثيرا بناء على الأخبار القصصية الواردة في شأنه، والاشتقاق اللفظي الذي وصف به، من أنه ذو القرنين، ويتعين أن لا يحمل القرنان

([1]) الطبري، **تاريخ الأمم والرسل والملوك**، ط٢، ١ / ١٤٣ – ١٤٦.

([2]) المصدر السابق، ١ / ١٧٢.

([3]) سورة الكهف، الآيات: ٨٣-٨٥.

([4]) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ١٨/ ٩٢.

على الظاهر، وإطلاق القرن على الضفيرة من الشعر شائع في العربية، كما في حديث أم عطية[1] في صفة غسل ابنة النبي صلى الله عليه وسلم[2] قالت أم عطية: "فجعلنا رأسها ثلاثة قرون"[3]، فيكون هذا الملك قد أطال شعر رأسه وضفره ضفرتين، فسمي ذا القرنين، وقيل غير ذلك، كما سيأتي.

ومن هنا تأتي الأقوال في تعيين ذي القرنين: **فالقول الأول**: إنه الإسكندر الأول، **والقول الثاني**: إنه الإسكندر بن قيليبوس المقدوني، **والقول الثالث**: إنه ملك من ملوك الفرس، وأنه أفريدون بن أنفيان بن جمشيد، هذه أوضح الأقوال، وما دونها لا ينبغي التعويل عليه ولا تصحيح روايته، ويمكن للمتأمل أن يستخلص من قصته في الآيات أحوالا تقرب تعيينه وتزييف ما عداه من الأقوال، لأن هذه القصة القرآنية تعطي صفات لا محيد عنها: **إحداها**: أنه كان ملكا صالحا عادلا، **الثانية**: أنه كان ملهما من الله، **الثالثة**: أن ملكه شمل أقطارا شاسعة، **الرابعة**: أنه بلغ في فتوحه من جهة المغرب مكانا كان مجهولا، وهو عين حمئة، **الخامسة**: أنه بلغ بلاد يأجوج ومأجوج، وأنها كانت في جهة مما شمله ملكه غير الجهتين الشرقية والغربية فكانت وسطا بينهما كما يقتضيه استقراء مبلغ أسبابه، **السادسة**: أنه أقام سدا يحول بين يأجوج ومأجوج وبين قوم آخرين، **السابعة**: أن يأجوج ومأجوج هؤلاء كانوا عائثين في الأرض فسادا وأنهم كانوا يفسدون بلاد قوم موالين لهذا الملك، **الثامنة**: أنه كان معه قوم أهل صناعة متقنة في الحديد والبناء، **التاسعة**: أن خبره خفي دقيق لا يعلمه إلا الأحبار علما إجماليا كما دل عليه سبب النزول، فهذه الأحوال تنفي أن يكون ذو القرنين هو إسكندر المقدوني، لأنه لم

---

(١) هي أم عطية الأنصارية نسيبة بنت الحارث، وقيل: نسيبة بنت كعب، من فقهاء الصحابة، لها عدة أحاديث، وهي التي غسلت بنت النبي –صلى الله عليه وسلم– زينب، عاشت إلى حدود سنة سبعين، وهي القائلة: نهينا عن اتباع الجنازة، ولم يعزم علينا، حديثها مخرج في الكتب الستة. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ط٢، ٣/٢٨٠.

(٢) هي زينب بنت رسول الله –صلى الله عليه وسلم- من المهاجرات السيدات، تزوجها في حياة أمها: ابن خالتها أبو العاص؛ فولدت له أمامة التي تزوج بها: علي بن أبي طالب بعد فاطمة، أسلمت زينب، وهاجرت قبل إسلام زوجها بست سنين،توفيت في أول سنة ثمان. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ط٢، ٣ / ٢١٨.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، ٤٥ / ٢٨٠، حديث رقم: ٢٧٢٩٧، قال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح على شرط الشيخين، **مسند أحمد**، ط١، ٤٥ / ٢٨٠.

يكن ملكا صالحا، بل كان وثنيا، فلم يكن أهلا لتلقي الوحي من الله، وأيضا فلا يعرف في تاريخه أنه أقام سدا بين بلدين[1].

وقد ذكر ابن كثير أن ابن جرير أورد هاهنا حديثا أسنده، وهو ضعيف، عن عقبة بن عامر[2]، أن نفرا من اليهود جاءوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن ذي القرنين، فأخبرهم بما جاؤوا له ابتداء، فكان فيما أخبرهم به: "أنه كان شابا من الروم، وأنه بنى الإسكندرية، وأنه علا به ملك في السماء، ثم قال: وفيه طول ونكارة، ورفعه لا يصح، وأكثر ما فيه أنه من أخبار بني إسرائيل، وفيه من النكارة أنه من الروم، وإنما الذي كان من الروم الإسكندر الثاني ابن فيليبس المقدوني، الذي تؤرخ به الروم، وأما الأول المذكور في القرآن فكان في زمن الخليل عليه السلام، وقرب إلى الله قربانا[3].

وروي أنه حج ماشيا، فلما سمع إبراهيم عليه السلام بقدومه تلقاه ودعا له، وأوصاه بوصايا، ويقال: إنه أتي بفرس ليركب، فقال: لا أركب في بلد فيه الخليل، فعند ذلك سخر له السحاب، وطوي له الأسفار، فكانت السحاب تحمله وعساكيره وجميع آلاتهم، إذا أرادوا غزو قوم، وسئل عنه علي رضي الله عنه: أكان نبيا أو ملكا – بالفتح – ؟ فقال: لم يكن نبيا ولا ملكا، ولكن كان عبدا أحب الله فأحبه الله، وناصح الله فناصحه، فسخر له السحاب، ومد له الأسباب[4].

وكما اختلفوا في تعيينه، اختلفوا أيضا في وجه تلقيبه بذي القرنين، فقيل: إنما سمي ذا القرنين لأن صفحتي رأسه كانتا من نحاس، وقيل: لأنه ملك الروم وفارس، وقيل: كان في رأسه شبه القرنين، وقيل: إنه لما دعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه، فمات، فأحياه الله، فدعا قومه إلى الله فضربوه على

([1]) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ط١، ١٥ / ١٢٢ – ١٢٥.

([2]) هو عقبة بن عامر بن عبس بن مالك الجهني، من الصحابة، كان رديف النبي صلى الله عليه وسلم، وشهد صفين مع معاوية، وحضر فتح مصر مع عمرو بن العاص، ومات بمصر، كان شجاعاً فقيها شاعراً قارئا، من الرماة، وهو أحد من جمع القرآن، توفي سنة: ٥٨ هـ البغدادي، **المحبر**، ط١، ١ / ٢٩٤.

([3]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٥ / ١٨٩.

([4]) الحسني، **البحر المديد**، ط٢، ٢٧١.

قرنه فمات، فسمي ذا القرنين، ويقال: إنه سمي ذا القرنين لأنه بلغ المشارق والمغارب من حيث يطلع قرن الشمس ويغرب[1]، وقيل: إنه ضفر شعره قرنين، وقيل: كان يلبس خوذة في الحرب بها قرنان[2].

وقد استطاع أن يضم بلاد اليونان كلها إلى ملكه الذي ورثه عن أبيه، ثم استطاع كذلك أن يوسع دائرة مملكته شرقا وغربا، حتى ضم إليه بفتوحاته معظم العالم المعمور الذي كان معروفا في وقته، فبلغ الصين والهند شرقا، ودارت في فلك دولته قرطاجنة، ومصر، والشام، والعراق، وإيران، وأفغانستان، والهند، وأطراف الصين[3].

وقد ورد ذكر ذي القرنين مرة واحدة في سورة الكهف عند سرد قصته، من قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾[4]. إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾[5].

بعث كفار مكة إلى أهل الكتاب يسألون منهم ما يمتحنون به النبي صلى الله عليه وسلم،

فقالوا: سلوه عن رجل طواف في الأرض، وعن فتية لا يدرى ما صنعوا، وعن الروح، فنزلت سورة الكهف[6].

يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: {وَيَسْـَٔلُونَكَ} يا محمد {عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ} أي: عن خبره، وكان أهل الكتاب أو المشركون، سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة ذي القرنين، فأمره الله أن يقول: {سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا} فيه نبأ مفيد، وخطاب عجيب، أي: سأتلو عليكم من أحواله، ما يتذكر فيه، ويكون عبرة، وأما ما سوى ذلك من أحواله، فلم يتله عليهم، أعطاه الله من الأسباب الموصلة له لما وصل إليه، ما به يستعين على قهر البلدان، وسهولة الوصول إلى أقاصي

---

(1) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٣ / ١٢٤.

(2) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ط١، ١٥ / ١٢٣.

(3) الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، ط ١، ٢/ ١٣٣.

(4) سورة الكهف، الآيات: ٨٣ ـ ٩٨.

(5) السورة السابقة، الآية: ٩٨.

(6) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٥ / ١٨٩.

العمران، وعمل بتلك الأسباب التي أعطاه الله إياها، أي: استعملها على وجهها، فليس كل من عنده شيء من الأسباب يسلكه، ولا كل أحد يكون قادرا على السبب، فإذا اجتمع القدرة على السبب الحقيقي والعمل به، حصل المقصود، وإن عدما أو أحدهما لم يحصل، وهذه الأسباب التي أعطاه الله إياها، لم يخبرنا الله ولا رسوله بها، ولم تتناقلها الأخبار على وجه يفيد العلم، فلهذا، لا يسعنا غير السكوت عنها، وعدم الالتفات لما يذكره النقلة للإسرائيليات ونحوها، ولكننا نعلم بالجملة أنها أسباب قوية كثيرة، داخلية وخارجية، بها صار له جند عظيم، ذو عدد وعدد ونظام، وبه تمكن من قهر الأعداء، ومن تسهيل الوصول إلى مشارق الأرض ومغاربها، وأنحائها، فأعطاه الله ما بلغ به[1].

ثالثا: ملك مصر:

هو الملك الأكبر، وهو الريان بن الوليد الذي كان العزيز وزيرا له[2].

ورد ذكر هذا الملك في سورة يوسف عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾[3]، والآيات بعدها إلى الآية: ٥٥، وذلك ثلاث مرات.

والتعريف في (الملك) للعهد، أي ملك مصر، وسماه القرآن هنا ملكا، ولم يسمه فرعون، لأن هذا الملك لم يكن من الفراعنة ملوك مصر القبط، وإنما كان ملكا لمصر أيام حكمها (الهكسوس)، وهم العمالقة، إذ كانت عائلات ملوك القبط قد بقي لها حكم في مصر العليا في مدينة (طيبة)، وكان ملكهم في تلك المدة ضعيفا، لأن السيادة كانت لملوك مصر السفلى، ويقدر المؤرخون أن ملك مصر السفلى في زمن يوسف- عليه السلام- كان في مدة العائلة السابعة عشرة، فالتعبير عنه بالملك

---

(1) السعدي، **تيسير الكريم**، ط١، ١ / ٤٨٥- ٤٨٦.

(2) الشوكاني، **فتح القدير**، ط ١، ٣ / ٤٣.

(3) سورة يوسف، الآية: ٤٣.

في القرآن دون التعبير بفرعون مع أنه عبر عن ملك مصر في زمن موسى- عليه السلام- بلقب فرعون هو من دقائق إعجاز القرآن العلمي[1].

وهذه الرؤيا من ملك مصر مما قدر الله تعالى أنها كانت سببا لخروج يوسف، عليه السلام، من السجن معززا مكرما، وذلك أن الملك رأى هذه الرؤيا، فهالته وتعجب من أمرها، وما يكون تفسيرها، فجمع الكهنة وكبراء دولته وأمراءه وقص عليهم ما رأى، وسألهم عن تأويلها، فلم يعرفوا ذلك، واعتذروا إليه بأن هذه {أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ} أي: أخلاط اقتضت رؤياك هذه، {وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ} أي: ولو كانت رؤيا صحيحة من أخلاط، لما كان لنا معرفة بتأويلها، وهو تعبيرها، فعند ذلك تذكر ذلك الذي نجا من ذينك الفتيين اللذين كانا في السجن مع يوسف، وكان الشيطان قد أنساه ما وصاه به يوسف، من ذكر أمره للملك، فعند ذلك تذكر {بَعْدَ أُمَّةٍ} أي: مدة، فقال للملك والذين جمعهم لذلك: {أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ} أي: بتأويل هذا المنام، {فَأَرْسِلُونِ} أي: فابعثوني إلى يوسف الصديق إلى السجن، ومعنى الكلام: فبعثوا، فجاء، فقال: {يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا} وذكر المنام الذي رآه الملك، فعند ذلك ذكر له يوسف، عليه السلام، تعبيرها من غير تعنيف لذلك الفتى في نسيانه ما وصاه به، ومن غير اشتراط للخروج قبل ذلك، بل قال: {تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا} أي يأتيكم الخصب والمطر سبع سنين متواليات، ففسر البقر بالسنين؛ لأنها تثير الأرض التي تستغل منها الثمرات والزروع، وهن السنبلات الخضر، ثم أرشدهم إلى ما يعتمدونه في تلك السنين فقال: {فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ} أي: مهما استغللتم في هذه السبع السنين الخصب فاخزنوه في سنبله، ليكون أبقى له وأبعد عن إسراع الفساد إليه، إلا المقدار الذي تأكلونه، وليكن قليلا قليلا لا تسرفوا فيه، لتنتفعوا في السبع الشداد، وهن السبع السنين المحل التي تعقب هذه السبع متواليات، وهن البقرات العجاف اللاتي يأكلن السمان؛ لأن سني الجدب يؤكل فيها ما جمعوه في سني الخصب، وهن السنبلات اليابسات، وأخبرهم أنهن لا ينبتن شيئا، وما بذروه فلا يرجعون منه إلى شيء؛ ولهذا قال: {يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ}، ثم بشرهم بعد الجدب العام المتوالي بأنه يعقبهم بعد ذلك {عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ

([1]) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ط١، ١٢/ ٢٨٠.

ٱلنَّاسُ } أي: يأتيهم الغيث، وهو المطر، وتغل البلاد، ويعصر الناس ما كانوا يعصرون على عادتهم، من زيت ونحوه، وسكر ونحوه حتى قال بعضهم: يدخل فيه حلب اللبن أيضا[1].

ثم يقول تعالى إخبارا عن الملك لما رجعوا إليه بتعبير رؤياه، التي كان رآها، بما أعجبه، فعرف فضل يوسف، عليه السلام، وعلمه وحسن اطلاعه على رؤياه وحسن أخلاقه على من ببلده من رعاياه، فقال {ٱئْتُونِي بِهِۦٓ} أي: أخرجوه من السجن وأحضروه، فلما جاءه الرسول بذلك امتنع من الخروج حتى يتحقق الملك ورعيته براءة ساحته، ونزاهة عرضه، مما نسب إليه من جهة امرأة العزيز، وأن هذا السجن لم يكن على أمر يقتضيه، بل كان ظلما وعدوانا، قال: {ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۖ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ}،وقوله تعالى: {قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ} إخبار عن الملك حين جمع النسوة اللاتي قطعن أيديهن عند امرأة العزيز، فقال مخاطبا لهن كلهن -وهو يريد امرأة وزيره، وهو العزيز -: {مَا خَطْبُكُنَّ} أي: شأنكن وخبركن {إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ} يعني: يوم الضيافة؟ {قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ} أي: قالت النسوة جوابا للملك: حاش لله أن يكون يوسف متهما، والله ما علمنا عليه من سوء، فعند ذلك {قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ} قالت: الآن تبين الحق وظهر وبرز، {أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ} أي: في قوله: {هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي} {ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ} تقول: إنما اعترفت بهذا على نفسي، ذلك ليعلم زوجي أني لم أخنه في نفس الأمر، ولا وقع المحذور الأكبر، {وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾} ۞ {وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ} تقول المرأة: ولست أبرئ نفسي، فإن النفس تتحدث وتتمنى؛ ولهذا راودته، لأنها أمارة بالسوء، {إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ} أي: إلا من عصمه الله تعالى، {إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ}، وهذا القول هو الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام، وقد قيل: إن ذلك من كلام يوسف، عليه السلام، من قوله: {ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ} في زوجته {بِٱلْغَيْبِ} الآيتين أي: إنما رددت الرسول ليعلم الملك براءتي وليعلم العزيز {أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ} في زوجته {بِٱلْغَيْبِ} {وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾} ۞ {وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ

([1]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٤ / ٣٩٢-٣٩٣.

بِٱلسُّوٓءِ } [الآية]، والقول الأول أقوى وأظهر؛ لأن سياق الكلام كله من كلام امرأة العزيز بحضرة الملك، ولم يكن يوسف، عليه السلام، عندهم، بل بعد ذلك أحضره الملك[1].

فلما تحقق الملك والناس براءة يوسف التامة، أرسل إليه الملك، فأتوه به مكرما محترما، {فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ} أعجبه كلامه، وزاد موقعه عنده، فقال له: {إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا } أي: عندنا {مَكِينٌ أَمِينٌ} أي: متمكن، أمين على الأسرار، ف {قَالَ} يوسف طلبا للمصلحة العامة: {ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ} أي: على خزائن جبايات الأرض وغلالها، وكيلا حافظا مدبرا، {إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ} أي: حفيظ للذي أتولاه، فلا يضيع منه شيء في غير محله، عليم بكيفية التدبير، وليس ذلك حرصا من يوسف على الولاية، وإنما هو رغبة منه في النفع العام، وقد عرف من نفسه من الكفاءة والأمانة والحفظ ما لم يكونوا يعرفونه، فجعله الملك على خزائن الأرض وولاه إياها[2].

رابعا: عزيز مصر:

ذكر أن اسمه:"قطفير"، وقيل:إن اسمه إطفير بن روحيب، وهو العزيز، وكان على خزائن مصر ، وكان الملك يومئذ الريان بن الوليد، رجل من العماليق[3]، ويقال في اسمه: فوطيفار، رئيس شرط ملك مصر، وهو والي مدينة مصر[4].

وقد ورد ذكره في آيات من سورة يوسف، ابتداء من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾[5]. إلى الآية ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾﴾[6].

([1]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٤/ ٣٩٤-٣٩٥.

([2]) السعدي، **تيسير الكريم**، ط١، ١ / ٤٠٠.

([3]) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ١٥ / ١٧.

([4]) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ط١، ١٢ / ٢٤٥.

([5]) سورة يوسف، الآية: ٢١.

([6]) السورة السابقة، الآية: ٣٥.

وورد اسمه بالعزيز مرتين، في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾﴾[2].

كما ورد ذكره ب الذي اشتراه من مصر في فوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾[3]. وبلفظ الرب ثلاث مرات، مرة في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾[4]. على خلاف بين المفسرين في المراد بالرب هنا، هل هو الله أم سيده؟ يقوي الأول أن الضمير يعود إلى أقرب شيء مذكور في الأصل، ويقوي الثاني السياق والمقام، وأن الرب يطلق في اللغة على السيد، ومرتين في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾[5]، وأما ما ورد من ذكر العزيز في السورة من غير هذين الموضعين، فالمراد به نبي الله يوسف عليه السلام، وذلك بعد تسلمه منصب العزيز.

خامسا: فرعون:

فرعون لغة: من الفرعنة، وهي الكبر والتجبر، وفرعون كل نبي ملك دهره، و فرعون الذي ذكر الله تعالى في كتابه من هذا، وإنما ترك صرفه في قول بعضهم لأنه لا سمي له، وقال آخرون: إن فرعون هذا علم أعجمي، ولذلك لم يصرف اسمه، وكل عات فرعون، والعتاة الفراعنة، وقد تفرعن، وهو ذو فرعنة أي دهاء وتكبر[6].

واسمه الوليد بن مصعب، وكنيته أبو العباس، وقيل أبو الوليد، وقيل أبو مرة[7].

([1]) سورة يوسف، الآية: ٣٠.

([2]) السورة السابقة، الآية: ٥١.

([3]) السورة السابقة، الآية: ٢١.

([4]) السورة السابقة، الآية: ٢٣.

([5]) السورة السابقة، الآية: ٤٢.

([6]) ابن منظور، **لسان العرب**، ط٣، مادة: فرعن، ٣٢٣/١٣.

([7]) الغزي، **إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن**، ط١.

وفي مختار الصحاح: فرعون لقب الوليد بن مصعب ملك مصر[1].

وقيل اسمه: قابوس بن مصعب بن معاوية، وكانت امرأته آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الريان بن الوليد[2].

وفرعون: علم على كل من ملك مصر، كافرا من العماليق وغيرهم، كما أن قيصر علم على كل من ملك الروم مع الشام كافرا، وكسرى لكل من ملك الفرس، وتبع لمن ملك اليمن كافرا، والنجاشي لمن ملك الحبشة، وبطليموس لمن ملك الهند، ويقال: كان اسم فرعون الذي كان في زمن موسى، عليه السلام، الوليد بن مصعب بن الريان، وقيل: مصعب بن الريان، أيا ما كان فعليه لعنة الله، وكان من سلالة عمليق بن داود بن إرم بن سام بن نوح، وأصله فارسي من استخر[3].

وينتسب فرعون إلى الأسر التي حكمت مصر منذ (٣١٠٠) قبل الميلاد، وحتى السيطرة الرومانية في القرن الأول قبل الميلاد، وكلمة "فرعون" قد تعني النبيل أو الشريف أو السامي، وقد تميز فرعون مصر بسيطرة مطلقة وحرية تصرف كاملة في كل ما يتعلق بأمور الدولة،كما كان قائدا أعلى للجيش، وتمادى بعض الفراعنة فادعوا الألوهية، وكان فرعون مصر-في ذلك الحين-مالكا لكل الأرض المصرية ومستعمرات الدولة بمن فيها وما عليها، وكثيرا ما كانت سلطة فرعون الدكتاتورية تؤجج ثورات داخلية قصيرة العمر ما تلبث أن تقمع بشدة وحزم[4].

وقد ورد ذكر فرعون في القرآن الكريم ٦٧ مرة، موضعين في سورة البقرة، وموضع بآل عمران، وتسعة مواضع في الأعراف، وموضعين بالأنفال، وخمسة مواضع في يونس، وموضع بهود، ومرة في إبراهيم، وموضعين في الإسراء، وخمسة مواضع في طه، وموضع بالمؤمنين، وخمسة مواضع في الشعراء، وموضع بالنمل، وستة مواضع القصص، وثمانية مواضع في غافر، وموضعين بالزخرف، وموضعين

([1]) الرازي، **مختار الصحاح**، ط٥، مادة: فرعن، ٢٠٩/١.

([2]) الشيباني، **الكامل في التاريخ**، ط١، ١/ ١٣٠.

([3]) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ٢/ ٣٨، و ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ١/ ٢٥٨.

([4]) الكيالي، **موسوعة السياسة**، ط١، ٤٨٢/٤.

بالدخان، وموضع بالذاريات، وموضع بالقمر، ومرة بالتحريم، ومرة بالحاقة، ومرتين في المزمل، ومرة بالنازعات، ومرة واحدة وأخيرة بالبروج.

سادسا: هامان:

هو وزير فرعون الأكبر، وكان ذا شأن في بلاط فرعون، وربما جاءت كلمة هامان من ها + آمان الفرعونية، بمعنى النافذ إلى آمون، والتي تدل على أنه كبير الكهنة والوزراء[1].

قال ابن عاشور[2]: "وأحسب أن هامان ليس باسم علم، ولكنه لقب، مثل فرعون وكسرى وقيصر ونجاشي، فالظاهر أن هامان لقب وزير الملك في مصر في ذلك العصر، وجاء في كتاب (أستير) من كتب اليهود الملحقة بالتوراة تسمية وزير (أحشويروش) ملك الفرس (هامان)، فظنوه علما، فزعموا أنه لم يكن لفرعون وزير اسمه هامان، واتخذوا هذا الظن مطعنا في هذه الآية، وهذا اشتباه منهم، فإن الأعلام لا تنحصر، وكذلك ألقاب الولايات، قد تشترك بين أمم المتجارة، فيجوز أن يكون هامان علما من الأمان، فإن الأعلام تتكرر في الأمم والعصور، ويجوز أن يكون لقب خطة في مصر، فنقل اليهود هذا اللقب إلى بلاد الفرس في مدة أسرهم"[3].

و « هامان » هو اليد العاملة لفرعون، فيما يشاء، وقد يكون وزيرا لفرعون، أو مستشارا له، أو كبير جنده، وهو الذي دعاه فرعون إلى أن يبنى له صرحا يطلع منه إلى إله موسى[4]، وهو الذي كان يمثل أقرب الناس إلى فرعون، فهو(وزيره ومدبر رعيته ومشير دولته)، وساعده الأيمن، والشخصية الثانية في هرم الحكومة[5].

ورد ذكر هامان في القرآن ست مرات، وكلها تؤكد على أنه كان الشخصية القريبة من فرعون ومعينا وظهيرا، بل مخلصا له، يخطط له وينفذ، ويشاركه في جميع حركاته وسكناته.

---

(1) ابن الوردي، **عجائب البلدان** ، ط١، ١ / ٥٣.

(2) سبقت ترجمته ص ٦٩.

(3) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ط١، ٢٠/ ١٤ – ١٥.

(4) الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، ط ١، ٤ / ٧١.

(5) خضر، **شخصية فرعون في القرآن**، ط ١، ١ / ١٣٨.

وهذه الآيات تبين مواضع ذكره في القرآن الكريم:

قال تعالى:

١. ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾[1]،

٢. ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾﴾[2].

٣. ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾[3].

٤. ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾﴾[4].

٥. ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾[5].

٦. ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾﴾[6].

سابعا: قارون:

هو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب، كان من عشيرة موسى بن عمران النبي صلى الله عليه وسلم، وهو ابن عمه لأبيه وأمه، وذلك أن قارون هو قارون بن يصهر بن قاهث، وموسى: هو موسى بن عمران بن قاهث، وقيل: إن يصهر بن قاهث تزوج سميت بنت بتاويت بن بركنا بن بقشان

---

(١) سورة القصص، الآية: ٦.

(٢) السورة السابقة، الآية: ٨.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٣٩.

(٤) سورة غافر، الآية: ٢٤.

(٥) سورة القصص، الآية: ٣٨.

(٦) سورة غافر، الآية: ٣٦.

بن إبراهيم، فولدت له عمران بن يصهر، وقارون بن يصهر، فنكح عمران بخنت بنت شمويل بن بركنا بن بقشان بن بركنا، فولدت له هارون بن عمران، وموسى بن عمران صفي الله ونبيه؛ فموسى على القول الثاني هو ابن أخي قارون، وقارون هو عمه أخو أبيه لأبيه ولأمه، وأكثر أهل العلم في ذلك على القوال الأول، وكان يسمى النور لحسن صوته بالتوراة ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري فأهلكه البغي لكثرة ماله [1].

قصة قارون مع موسى عليه السلام:

قال الله تعالى: ﴿۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾[2]. الآيات: ٧٦. ٨٢ من سورة القصص.

ذكر الله تعالى كثرة كنوزه حتى إن مفاتيحه كان يثقل حملها على القيام من الرجال الشداد، وقد قيل إنها كانت من الجلود، وإنها كانت تحمل على ستين بغلا فالله أعلم، وقد وعظه النصحاء من قومه قائلين: {لَا تَفۡرَحۡ} أي لا تبطر بما أعطيت وتفخر على غيرك، {لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ} يقولون لتكن همتك مسروفة لتحصيل ثواب الله في الدار الآخرة فإنه خير وأبقى، ومع هذا {وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ} أي وتناول منها بمالك ما أحل الله لك فتمتع لنفسك بالملاذ الطيبة الحلال {وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ} أي وأحسن إلى خلق الله كما أحسن الله خالقهم وبارئهم إليك {وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ} أي ولا تسيء إليهم ولا تفسد فيهم فتقابلهم ضد ما أمرت فيهم، فيعاقبك ويسلبك ما وهبك {إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ} فما كان جواب قومه لهذه النصيحة الصحيحة الفصيحة إلا أن قال إنما أوتيته على علم عندي يعني أنا لا أحتاج إلى استعمال ما ذكرتم ولا إلى ما إليه أشرتم فإن الله إنما أعطاني هذا لعلمه أني أستحقه وأني أهل له ولولا

([1]) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ١٩/ ٦١٥_ ٦١٦.

([2]) سورة القصص، الآيات: ٧٦-٨٢.

أني حبيب إليه وحظي عنده لما أعطاني ما أعطاني، {فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ} خرج في تجمل عظيم من ملابس ومراكب وخدم وحشم فلما رآه من يعظم زهرة الحياة الدنيا تمنوا أن لو كانوا مثله وغبطوه بما عليه وله فلما سمع مقالتهم العلماء ذوو الفهم الصحيح الزهاد الألباء قالوا لهم: {وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا} أي ثواب الله في الدار الآخرة خير وأبقى وأجل وأعلى، {فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ}وقد ذكر ابن عباس والسدي[1] أن قارون أعطى امرأة بغيا مالا على أن تقول لموسى عليه السلام وهو في ملأ من الناس إنك فعلت بي كذا وكذا، فيقال إنها قالت له ذلك فارعد من الفرق وصلى ركعتين ثم أقبل عليها، فاستحلفها من ذلك على ذلك وما حملك عليه، فذكرت أن قارون هو الذي حملها على ذلك، واستغفرت الله وتابت إليه، فعند ذلك خر موسى لله ساجدا ودعا الله على قارون، فأوحى الله إليه إني قد أمرت الأرض أن تطيعك فيه، فأمر موسى الأرض أن تبتلعه وداره، فكان ذلك، فالله أعلم، وقد قيل إن قارون لما خرج على قومه في زينته مر بجحفله وبغاله وملابسه على مجلس موسى عليه السلام وهو يذكر قومه بأيام الله، فلما رآه الناس انصرفت وجوه كثير من الناس ينظرون إليه، ثم تلاعنا فاستجيبت لعنة موسى عليه السلام عليه، فقال موسى: اللهم مر الأرض فلتطغى اليوم، فأوحى الله إليه إني قد فعلت، فقال موسى: يا أرض خذيهم، فأخذتهم إلى أقدامهم، ثم قال خذيهم، فأخذتهم إلى ركبهم، ثم إلى مناكبهم، ثم قال: أقبلي بكنوزهم وأموالهم، فأقبلت بها حتى نظروا إليها، ثم أشار موسى بيده، فقال: اذهبوا بني لاوى، فاستوت بهم الأرض، وقصة قارون هذه قد تكون قبل خروجهم من مصر لقوله: {فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ} فإن الدار ظاهرة في البنيان، وقد تكون بعد ذلك في التيه، وتكون الدار عبارة عن المحلة التي تضرب فيها الخيام، والله أعلم، وقد ذكر الله تعالى مذمة قارون في غير ما آية من القرآن، وورد ذكر اسمه أربع مرات في الكتاب العزيز، مرتين عند ورود قصته في القصص، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾﴾[2]،

([1]) سبقت ترجمته ص٧٦.

([2]) سورة غافر، الآيتان: ٢٣-٢٤.

وقوله تعالى في سورة العنكبوت:﴿وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ٣٩﴾[1][2].

ثامنا: طالوت:

هو طالوت بن قيش بن أفيل بن صارو بن تحورت بن أفيح بن أنيس بن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام، قيل كان سقاءا وقيل كان دباغا يعمل الأدم، ولهذا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال حينما بعثه الله ملكا عليهم بعد طلبهم ذلك من نبيهم شمويل، وقد ذكروا أن النبوة كانت في سبط لاوى، وأن الملك كان في سبط يهوذا، فلما كان هذا من سبط بنيامين نفروا منه، وطعنوا في إمارته عليهم، وقالوا نحن أحق بالملك منه، فكيف يكون مثل هذا ملكا، قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم، قيل كان الله قد أوحى إلى شمويل أن أي بني إسرائيل كان طوله على طول هذه العصا، وإذا حضر عندك يفوز هذا القرن الذي فيه من دهن القدس، فهو ملكهم، فجعلوا يدخلون ويقيسون أنفسهم بتلك العصا، فلم يكن أحد منهم على طولها سوى طالوت، ولما حضر عند نبيهم شمويل، فار ذلك القرن فدهنه منه، وعينه الملك عليهم، وقال لهم إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم: قيل في أمر الحروب، وقيل بل مطلقا، والجسم: قيل الطول، وقيل الجمال، والظاهر من السياق أنه كان أقواهم وأعلمهم بعد نبيهم عليه السلام[3]، فملكه الله عليهم، ولم يجمعهم قبل ذلك مثل طالوت[4]، وقيل كان اسمه شارل بن كيس، وبالعربية طالوت بن قيس، وسمي طالوت لطوله[5]، والظاهر خلاف ذلك، وأنه اسم أعجمي، ولذلك منع من الصرف للعلمية والعجمة، كما في جالوت أيضا.

([1]) سورة العنكبوت، الآية: ٣٩.

([2]) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ط١، ١/ ٣٠٩- ٣١١، و الطبري، **تاريخ الأمم**، ط٢، ١/٢٦٢.٢٦٧.

([3]) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ط١، ٢ / ٦- ٧.

([4]) المسعودي، **مروج الذهب**، ط ١، ١ / ١٧.

([5]) البلخي، **تفسير مقاتل بن سليمان**، ط١، ١ / ١٣٠.

وقد ذكر الله طالوت في القرآن مرتين، عند ذكر قصته في سورة البقرة، من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ﴾[1].

إلى قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾[2].

تاسعا: جالوت:

هو جالوت بن بايول بن ريال بن حطان بن فارس الكنعاني[3]، ويقال: جالوت بن بالوت[4]، وهو قائد من قواد الفلسطينيين، اسمه في كتب اليهود جليات كان طوله ستة أذرع وشبرا، وكان مسلحا مدرعا، وكان لا يستطيع أن يبارزه أحد من بني إسرائيل، فكان إذا خرج للصف عرض عليهم مبارزته وعيرهم بجبنهم[5].

وقد ورد ذكر جالوت في القرآن الكريم ثلاث مرات، في ثلاث آيات، عند ذكر قصته، ابتداء من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ ...﴾[6]. إلى قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾[7].

قصة قتله: أن أصحاب طالوت كان فيهم بنو إيش، وهو أبو داود عليه السلام ستة أو سبعة، وكان داود صغيرا يرعى غنما، فلما حضرت الحرب قال في نفسه: لأذهبن لرؤية هذه الحرب، فمر في طريقه بحجر، فناداه: يا داود خذني، فبي تقتل جالوت، ثم ناداه حجر آخر، ثم آخر، فأخذها، فلما حضر

([1]) سورة البقرة، الآية ٢٤٧.

([2]) السورة السابقة، الآية: ٢٥١.

([3]) المسعودي، **مروج الذهب**، ط ١، ١ / ١٧.

([4]) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ط١، ١ / ١٧٩.

([5]) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ط١، ٢ / ٤٧٦.

([6]) سورة البقرة، الآية ٢٤٩.

([7]) السورة السابقة، الآية: ٢٥١.

البأس خرج جالوت يطلب البراز، وكاع الناس عنه، أي: تأخروا خوفا، حتى قال طالوت: من بيرز له ويقتله فأنا أزوجه ابنتي، وأحكمه في مالي، فجاء داود، وأخذ مقلاعه فخرج إلى جالوت، وهو شاك في السلاح، فقال جالوت: أنت يا فتى تخرج إلي! قال: نعم، قال: هكذا كما تخرج إلى الكلب! قال: نعم، وأنت أهون، قال: لأطعمن لحمك اليوم الطير والسباع، ثم تدانيا، فأدار داود، فأخذ مقلاعه وأدخل يده إلى الحجارة، فروي أنها التأمت، وصارت حجرا واحدا، فأخذه ووضعه في المقلاع، وسمى الله، وأداره، ورماه، فأصاب رأس جالوت فقتله، وجز رأسه، وجعله في مخلاته، واختلط الناس، وحمل أصحاب طالوت فكانت الهزيمة[1].

عاشرا: ملكة سبأ (بلقيس):

قال تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةً تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ٢٤﴾[2].

يقول تعالى مخبرا عن قيل الهدهد لسليمان مخبرا بعذره في مغيبه عنه:(إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةً تَمۡلِكُهُمۡ) يعني تملك سبأ، وإنما صار هذا الخبر للهدهد عذرا وحجة عند سليمان، درأ به عنه ما كان أوعد به؛ لأن سليمان كان لا يرى أن في الأرض أحدا له مملكة معه، وكان مع ذلك صلى الله عليه وسلم رجلا حبب إليه الجهاد والغزو، فلما دله الهدهد على ملك بموضع من الأرض هو لغيره، وقوم كفرة يعبدون غير الله، له في جهادهم وغزوهم الأجر الجزيل، والثواب العظيم في الآجل، وضم مملكة لغيره إلى ملكه، حقت للهدهد المعذرة، وصحت له الحجة في مغيبه عن سليمان[3].

وهي بلقيس بنت شراحيل ملكة سبأ، بن مالك بن الريان، وأمها فارعة الجنية،وقيل: بلقيس بنت ذي شرخ، وأمها يلتقة، كانت من بيت مملكة، وكان مؤخر قدميها مثل حافر الدابة، وكان أولو مشورتها ثلاثمائة واثني عشر رجلا، كل رجل منهم على عشرة آلاف رجل، وكانت بأرض يقال لها

([1]) الإدريسي، **البحر المديد**، ط٢، ١ / ٣١٨.

([2]) سورة النمل، الآيتان، ٢٣-٢٤.

([3]) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ١٩ / ٤٤٦.

مأرب، على ثلاثة أميال من صنعاء، وهذا القول هو أقرب، على أنه كثير على مملكة اليمن، والله أعلم، وقوله: {وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ} أي: من متاع الدنيا ما يحتاج إليه الملك المتمكن[1].

قصتها مع نبي الله سليمان عليه السلام:

عند ما أبلغ الهدهد سليمان عليه السلام، ما وجد من بلقيس وقومها من عبادة الشمس من دون الله وتزيين الشيطان أعمالهم لهم وصدهم عن سبيل الله، كتب سليمان عليه السلام، كتابا إلى بلقيس وقومها، وأعطاه لذلك الهدهد فحمله، قيل: في جناحه كما هي عادة الطير، وقيل: بمنقاره، وذهب إلى بلادهم فجاء إلى قصر بلقيس، إلى الخلوة التي كانت تختلي فيها بنفسها، فألقاه إليها من كوة هنالك بين يديها، ثم تولى ناحية أدبا ورياسة، فتحيرت مما رأت، وهالها ذلك، ثم عمدت إلى الكتاب فأخذته، ففتحت ختمه وقرأته، فإذا فيه: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾[2]. فجمعت عند ذلك أمراءها ووزراءها وكبراء دولتها ومملكتها، ثم قالت لهم: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾[3]. تعني بكرمه: ما رأته من عجيب أمره، كون طائر أتى به، فألقاه إليها، ثم تولى عنها أدبا، وهذا أمر لا يقدر عليه أحد من الملوك، ولا سبيل لهم إلى ذلك، ثم قرأته عليهم: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾[4]، فعرفوا أنه من نبي الله سليمان، وأنه لا قبل لهم به، وهذا الكتاب في غاية البلاغة والوجازة والفصاحة، فإنه حصل المعنى بأيسر عبارة وأحسنها، قال العلماء: ولم يكتب أحد {بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ} قبل سليمان، عليه السلام، ولما قرأت عليهم كتاب سليمان استشارتهم في أمرها، وما قد نزل بها؛ ولهذا: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾﴾[5]. أي: حتى تحضرون وتشيرون، {قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ} أي: منوا إليها بعددهم وعددهم وقوتهم، ثم فوضوا إليها بعد ذلك الأمر فقالوا: {وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ} أي: نحن ليس لنا عاقة ولا بنا بأس، إن شئت أن تقصديه وتحاربيه، فما لنا

---

(1) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٦ / ١٨٦.

(2) سورة النمل، الآيتان: ٣٠-٣١.

(3) السورة السابقة، الآية: ٢٩.

(4) السورة السابقة، الآيتان: ٣٠-٣١.

(5) السورة السابقة، الآية: ٣٢.

عاقة عنه، وبعد هذا فالأمر إليك، مري فينا برأيك نمتثله ونطيعه، قال الحسن البصري، رحمه الله: "فوضوا أمرهم إلى علجة[1] تضطرب ثدياها، فلما قالوا لها ما قالوا، كانت هي أحزم رأيا منهم، وأعلم بأمر سليمان، وأنه لا قبل لها بجنوده وجيوشه، وما سخر له من الجن والإنس والطير، وقد شاهدت من قضية الكتاب مع الهدهد أمرا عجيبا بديعا، فقالت لهم: إني أخشى أن نحاربه ونمتنع عليه، فيقصدنا بجنوده، ويهلكنا بمن معه، ويخلص إلي وإليكم الهلاك والدمار دون غيرنا"؛ ولهذا قالت: {إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا} أي: خربوها، {وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً} أي: وقصدوا من فيها من الولاة والجنود، فأهانوهم غاية الهوان، إما بالقتل أو بالأسر، ثم عدلت إلى المهادنة والمصالحة والمسالمة والمخادعة والمصانعة، فقالت: {وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ} أي: سأبعث إليه بهدية تليق به وأنظر ماذا يكون جوابه بعد ذلك، فلعله يقبل ذلك ويكف عنا، أو يضرب علينا خراجا نحمله إليه في كل عام، ونلتزم له بذلك ويترك قتالنا ومحاربتنا، قال قتادة: رحمها الله ورضي عنها، ما كان أعقلها في إسلامها وفي شركها!! علمت أن الهدية تقع موقعا من الناس، وقالت لقومها: إن قبل الهدية فهو ملك فقاتلوه، وإن لم يقبلها فهو نبي فاتبعوه، وذكر غير واحد من المفسرين، من السلف وغيرهم: أنها بعثت إليه بهدية عظيمة من ذهب وجواهر ولآلئ وغير ذلك، وقال بعضهم: أرسلت بلبنة من ذهب، والظاهر أن سليمان، عليه السلام، لم ينظر إلى ما جاءوا به بالكلية، ولا اعتنى به، بل أعرض عنه، وقال منكرا عليهم: {أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ} أي: أتصانعونني بمال لأترككم على شرككم وملككم؟! {فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم} أي: الذي أعطاني الله من الملك والمال والجنود خير مما أنتم فيه، {بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ} أي: أنتم الذين تنقادون للهدايا والتحف، وأما أنا فلا أقبل منكم إلا الإسلام أو السيف[2].

عن ابن عباس، رضي الله عنهما: أمر سليمان الشياطين فموهوا له ألف قصر من ذهب وفضة، فلما رأت رسلها ذلك قالوا: ما يصنع هذا بهديتنا، وفي هذا دلالة على جواز تهيؤ الملوك وإظهارهم الزينة للرسل والقصاد، ثم قال سليمان عليه السلام: {ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ} أي: بهديتهم، {فَلَنَأْتِيَنَّهُم

([1]) علجة: غليظة شديدة. ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ط١، مادة: علج، ٤/ ١٢٢.

([2]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٦ / ١٨٨-١٩١.

بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا} أي: لا طاقة لهم بقتالهم،{وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ} أي: من بلدهم،{أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ} أي: مهانون مدحورون، فلما رجعت إليها رسلها بهديتها، وبما قال سليمان، سمعت وأطاعت هي وقومها، وأقبلت تسير إليه في جنودها خاضعة ذليلة، معظمة لسليمان، ناوية متابعته في الإسلام، ولما تحقق سليمان، عليه السلام، قدومهم عليه ووفودهم إليه، فرح بذلك وسره، فلما رجعت إليها الرسل بما قال سليمان قالت: قد –والله –عرفت، ما هذا بملك، وما لنا به من طاقة، وما نصنع بمكاثرته شيئا، وبعثت إليه: إني قادمة عليك بملوك قومي، لأنظر ما أمرك وما تدعونا إليه من دينك[1].

(1) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٦ / ١٩١– ١٩٣.

المبحث الرابع: التركيز على بعض أفراد الأمم: وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أفراد عصر ما قبل النبي صلى الله عليه وسلم، وهم تسعة وعشرون شخصا:

كما تم تركيز الحديث على أناس، لأنهم كانوا رسلا، أو أنبياء، أو ملوكا، أو وزراء، أو وجهاء، فقد كان التركيز على آخرين، بناء على أنهم كانوا أصحاب شأن أو تحت أصحاب شأن في مجتمعاتهم، أو قاموا بما ينبغي أن يخلد ذكرهم، أو لأنهم كانوا تابعين لذوي الشأن، لأخذ العبر والدروس من مواقفهم، إيجابا أو سلبا، وفيما يلي ذكرهم، وبالله التوفيق.

أولا: امرأة نوح عليه السلام:

اسم امرأة نوح فيما ذكره بعض المفسرين: والهة، وقيل: واغلة[1].

قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ١٠﴾[2].

مثل الله مثلا للذين كفروا من الناس وسائر الخلق امرأة نوح وامرأة لوط، كانتا تحت عبدين من عبادنا، وهما نوح ولوط فخانتاهما، وقد ذكر أن خيانة امرأة نوح زوجها أنها كانت كافرة، وكانت تقول للناس: إنه مجنون، وأن خيانة امرأة لوط، أن لوطا كان يسر الضيف، وتدل عليه[3].

ضرب الله تعالى هذا المثل تنبيها على أنه لا يغني أحد في الآخرة عن قريب، ولا نسيب إذا فرق بينهما الدين، وقصة امرأة نوح لم تذكر في القرآن في غير هذه الآية، فتلك المرة الوحيدة التي ورد فيها ذكرها.

---

(1) القرطبي، **الجامع**، ط ١، ١٨ / ٢٠١.

(2) سورة التحريم، الآية: ١٠.

(3) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ٢٣ / ٤٩٧.

ثانيا: امرأة لوط عليه السلام:

اسم امرأة لوط: والهة، وقيل: والعة، وأما حديثها فقد ذكر في القرآن مرات، فقد أخبر الله عنها في سورة الأعراف أنه لم ينجها، فهلكت مع قوم لوط، وذكر في سورة هود ما ظاهره أنها لم تمتثل ما أمر الله لوطا عليه السلام أن لا يلتفت هو ولا أحد من أهله الخارجين معه إلى المدن حين يصيبها العذاب فالتفتت امرأته فأصابها العذاب، وذكر في سورة التحريم أن امرأة لوط عليه السلام كانت كافرة، وقال المفسرون: كانت تسر الكفر وتظهر الإيمان، ولعل ذلك سبب التفاتها لأنها كانت غير موقنة بنزول العذاب على قوم لوط، ويحتمل أنها لم تخرج مع لوط عليه السلام وأن قوله: (إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ) في سورة هود [٨١] ، استثناء من (بِأَهْلِكَ) لا من (أَحَدٌ)[1].

وهذا عرض للآيات التي ذكرت فيها غير الآية الأولى التي ذكرت فيها مع امرأت نوح عليه السلام:

قال تعالى:

١. ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾﴾[2].

٢. ﴿ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[3].

٣. ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾[4].

٤. ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾[5].

([1]) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ط١، ٨- ب / ٢٣٦-٢٣٧.

([2]) سورة الأعراف، الآية: ٨٣.

([3]) سورة الحجر، الآية: ٦٠.

([4]) سورة النمل، الآية: ٥٧.

([5]) سورة العنكبوت، الآية: ٣٢.

٥. ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾[1].

٦. ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾﴾[2].

ومعنى { ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ} أن الله جعل حالة هاتين المرأتين عظة وتنبيها للذين كفروا، أي ليذكرهم بأن الله لا يصرفه عن وعيده صارف فلا يحسبوا أن لهم شفعاء عند الله، ولا أن مكانهم من جوار بيته وعمارة مسجده وسقاية حجيجه تصرف غضب الله عنهم، فإن هم أقلعوا عن هذا الحسبان أقبلوا على التدبر في النجاة من وعيده بالنظر في دلائل دعوة القرآن وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم فلو كان صارف يصرف الله عن غضبه لكان أولى الأشياء بذلك مكانة هاتين المرأتين من زوجيهما رسولي رب العالمين[3].

ثالثا: أبو إبراهيم عليه السلام (آزر):

ورد ذكر أبي إبراهيم عليه السلام في القرآن ثلاث عشرة مرة، مرة واحدة بآزر، وثماني مرات مكنى بأبي إبراهيم، بلفظ (أبيه)، وأربع مرات، منادى من قبل إبراهيم، بلفظ (يا أبت)، وذلك في ثماني سور من القرآن الكريم.

قوله تعالى: { وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ }:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واذكر، يا محمد لحجاجك الذي تحاج به قومك، وخصومتك إياهم في آلهتهم، وما تراجعهم فيها، مما نلقيه إليك ونعلمكه من البرهان والدلالة على باطل ما عليه قومك مقيمون، وصحة ما أنت عليه مقيم من الدين، وحقيقة ما أنت عليهم به محتج حجاج إبراهيم خليلي قومه، ومراجعته إياهم في باطل ما كانوا عليه مقيمين من عبادة الأوثان،

([1]) سورة العنكبوت، الآية: ٣٣.

([2]) سورة هود، الآية: ٨١.

([3]) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ط١، ٢٨ / ٣٧٤.

وانقطاعه إلى الله والرضا به وليا وناصرا دون الأصنام، فاتخذه إماما واقتد به، واجعل سيرته في قومك لنفسك مثالا إذ قال لأبيه مفارقا لدينه، وعائبا عبادته الأصنام دون بارئه وخالقه: يا آزر[1].

وفي {آزر} أربعة أقوال: أحدها: أنه اسم أبيه، والثاني: أنه اسم صنم، والثالث: أنه ليس باسم، إنما هو سب بعيب، والرابع: أنه لقب لأبيه، وليس باسمه، لأنه قد يغلب على اسم الرجل لقبه، حتى يكون به أشهر منه باسمه[2]، وهكذا قال غير واحد من علماء النسب: إن اسمه تارح، قال ابن كثير: كأنه غلب عليه آزر لخدمته ذلك الصنم[3].

وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: "هو اسم أبيه"، لأن الله تعالى ذكره أخبر أنه أبوه، فإن قال قائل: فإن أهل الأنساب إنما ينسبون إبراهيم إلى"تارح"، فكيف يكون"آزر" اسما له، والمعروف به من الاسم"تارح"؟ قيل له: غير محال أن يكون له اسمان، كما لكثير من الناس في دهرنا هذا، وكان ذلك فيما مضى لكثير منهم، وجائز أن يكون لقبا يلقب به[4].

رابعا: التسعة رهط ثمود:

قال تعالى: ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾[5]. الآيات، إلى(٥٣).

يقول تعالى ذكره: وكان في مدينة صالح، وهي حجر ثمود، تسعة أنفس يفسدون في الأرض ولا يصلحون، وكان إفسادهم في الأرض، كفرهم بالله، ومعصيتهم إياه، وإنما خص الله جل ثناؤه هؤلاء التسعة الرهط بالخبر عنهم أنهم كانوا يفسدون في الأرض، ولا يصلحون، وإن كان أهل الكفر كلهم في الأرض مفسدين، لأن هؤلاء التسعة هم الذين سعوا في عقر الناقة، وتعاونوا عليه، وتحالفوا

([1]) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ١١ / ٤٦٥.

([2]) ابن الجوزي، **زاد المسير**، ط٣، ٢ / ٣٦٢.

([3]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٣ / ٢٨٨.

([4]) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ١١ / ٤٦٨-٤٦٩.

([5]) سورة النمل، الآيتان: ٤٨-٤٩.

على قتل صالح من بين قوم ثمود، وقوله: (قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ) يقول تعالى ذكره: قال هؤلاء التسعة الرهط الذين يفسدون في أرض حجر ثمود، ولا يصلحون: تقاسموا بالله: تحالفوا بالله أيها القوم، ليحلف بعضكم لبعض: لنبيتن صالحا وأهله، فلنقتلنه، ثم لنقولن لوليه: ما شهدنا مهلك أهله، ويتوجه قوله (تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ) إلى وجهين: أحدهما النصب على وجه الخبر، كأنه قيل: قالوا متقاسمين، والوجه الآخر: الجزم، كأنهم قال بعضهم لبعض: اقسموا بالله، فعلى هذا الوجه الثاني تصلح قراءة (لَنُبَيِّتَنَّهُ) بالياء والنون، لأن القائل لهم تقاسموا، وإن كان هو الآمر فهو فيمن أقسم، كما يقال في الكلام: انهضوا بنا نمض إلى فلان، وانهضوا نمضي إليه، وقوله:(لَنُبَيِّتَنَّهُ) ليبيتن صالحا ثم يفتكوا به، عن ابن إسحاق[1]، قال: قال التسعة الذين عقروا الناقة: هلم فلنقتل صالحا، فإن كان صادقا -يعني فيما وعدهم من العذاب بعد الثلاث- عجلناه قبله، وإن كان كاذبا نكون قد ألحقناه بناقته، فأتوه ليلا ليبيتوه في أهله، فدمغتهم الملائكة بالحجارة؛ فلما أبطأوا على أصحابهم أتوا منزل صالح، فوجدوهم مشدوخين قد رضخوا بالحجارة، وقوله: (وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) نقول لوليه: وإنا لصادقون، أنا ما شهدنا مهلك أهله، قوله تعالى:﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾﴾[2]. يقول تعالى ذكره: وغدر هؤلاء التسعة الرهط الذين يفسدون في الأرض بصالح بمصيرهم إليه ليلا ليقتلوه وأهله، وصالح لا يشعر بذلك، (وَمَكَرْنَا مَكْرًا) يقول: فأخذناهم بعقوبتنا إياهم، وتعجيلنا العذاب لهم (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) بمكرنا، ومعنى: مكر الله بمن مكر به، ووجه ذلك، أنه أخذه من أخذه منهم على غرة، أو استدراجه منهم من استدرج على كفره به، ومعصيته إياه، ثم إحلاله العقوبة به على غرة وغفلة، فلا يدري قومهم أين هم؟ ولا يدرون ما فعل بقومهم، فعذب الله تبارك وتعالى هؤلاء ههنا، وهؤلاء هنا، وأنجى الله صالحا ومن معه، وقوله: (فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ) فانظر يا محمد بعين قلبك إلى عاقبة غدر ثمود بنبيهم صالح، كيف كانت؟ وما الذي أورثها اعتداؤهم وطغيانهم وتكذيبهم؟ فإن ذلك سنتنا فيمن كذب رسلنا، وطغى علينا من سائر الخلق، فحذر قومك من قريش، أن ينالهم بتكذيبهم إياك، ما

---

(١) سبقت ترجمته ص١١٩ .

(٢) سورة النمل، الآيتان: ٥٠-٥١.

نال ثمود بتكذيبهم صالحا من المثلات، وقوله: ﴿أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾: إنا دمرنا التسعة الرهط الذين يفسدون في الأرض من قوم صالح وقومهم من ثمود أجمعين، فلم نبق منهم أحدا[1].

خامسا: امرأة العزيز:

ورد ذكر امرأة العزيز أربع مرات في التنزيل، مرة بامرأة الذي اشترى يوسف عليه السلام، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾[2]. ومرة بالتي هو في بيتها، عند قول الرب جل وعلا:﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾[3].وأخرى بامرأة العزيز في موضعين، قال تعالى:﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾[4].وقال تعالى:﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾﴾[5].

وقد اختلف المؤرخون في اسم المرأة على قولين: أحدهما: انها راعيل بنت رعاييل، والثاني: انها أزليخا بنت تمليخا[6].

ولقد دعت امرأة العزيز -برفق ولين- يوسف الذي هو في بيتها إلى نفسها؛ لحبها الشديد له وحسن بهائه، وغلقت الأبواب عليها وعلى يوسف، وقالت: هلم إلي، فقال: معاذ الله أعتصم به،

---

(1) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ١٩ / ٤٧٧-٤٨٠.

(2) سورة يوسف، الآية: ٢١.

(3) السورة السابقة، الآية: ٢٣.

(4) السورة السابقة، الآية: ٣٠.

(5) السورة السابقة ، الآية: ٥١.

(6) ابن الجوزي، **زاد المسير**، ط٣، ٣ / ٤١٢.

وأستجير من الذي تدعينني إليه، من خيانة سيدي الذي أحسن منزلتي وأكرمني فلا أخونه في أهله، إنه لا يفلح من ظلم ففعل ما ليس له فعل[1].

وهذه المحنة العظيمة أعظم على يوسف من محنة إخوته، وصبره عليها أعظم أجرا، لأنه صبر اختيار مع وجود الدواعي الكثيرة، لوقوع الفعل، فقدم محبة الله عليها، وأما محنته بإخوته، فصبره صبر اضطرار، بمنزلة الأمراض والمكاره التي تصيب العبد بغير اختياره، وليس له ملجأ إلا الصبر عليها، طائعا أو كارها، وذلك أن يوسف عليه الصلاة والسلام بقي مكرما في بيت العزيز، وكان له من الجمال والكمال والبهاء ما أوجب ذلك، أن {وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ} أي: هو غلامها، وتحت تدبيرها، والمسكن واحد، يتيسر إيقاع الأمر المكروه من غير إشعار أحد، ولا إحساس بشر، {و} زادت المصيبة، بأن {غلقت الأبواب} وصار المحل خاليا، وهما آمنان من دخول أحد عليهما، بسبب تغليق الأبواب[2]، ولقد مالت نفسها لفعل الفاحشة، وحدثت يوسف نفسه حديث خطرات للاستجابة، لولا أن رأى آية من آيات ربه تزجره عما حدثته به نفسه، وإنما أري ذلك؛ لندفع عنه السوء والفاحشة في جميع أموره، إنه كان من عباد الله المطهرين المصطفين للرسالة الذين أخلصوا في عبادتهم لله وتوحيده، وأسرع يوسف إلى الباب يريد الخروج، وأسرعت تحاول الإمساك به، وجذبت قميصه من خلفه؛ لتحول بينه وبين الخروج فشقته، ووجدا زوجها عند الباب فقالت: ما جزاء من أراد بامرأتك فاحشة إلا أن يسجن أو يعذب العذاب الموجع، قال يوسف: هي التي طلبت مني ذلك، فشهد صبي في المهد من أهلها فقال: إن كان قميصه شق من الأمام فصدقت في اتهامها له، وهو من الكاذبين، وإن كان قميصه شق من الخلف فكذبت في قولها، وهو من الصادقين، فلما رأى الزوج قميص يوسف شق من خلفه علم براءة يوسف، وقال لزوجته: إن هذا الكذب الذي اتهمت به هذا الشاب هو من جملة مكركن -أيتها النساء-، إن مكركن عظيم، قال عزيز "مصر": يا يوسف اترك ذكر ما كان منها، فلا تذكره لأحد، واطلبي -أيتها المرأة- المغفرة لذنبك؛ إنك كنت من الآثمين في مراودة يوسف عن نفسه، وفي افترائك عليه[3].

([1]) مجموعة من العلماء، **التفسير الميسر**، ط٢، ٤ / ١٢٣.

([2]) السعدي، **تيسير الكريم**، ط١، ١ / ٣٩٦.

([3]) مجموعة من العلماء، **التفسير الميسر**، ط٢، ٤ / ١٢٤-١٢٩.

سادسا: شاهد يوسف عليه السلام:

قال تعالى: ﴿ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾[1].

قال القرطبي رحمه الله تعالى هاهنا: "فيه ثلاث مسائل: الأولى: قال العلماء: لما برأت نفسها، ولم تكن صادقة في حبه- لأن من شأن المحب إيثار المحبوب- قال:" هي راودتني عن نفسي" نطق يوسف بالحق في مقابلة بهتها وكذبها عليه، كأن يوسف عليه السلام لم يبن عن كشف القضية، فلما بغت به غضب، فقال الحق، الثانية: (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ) لأنهما لما تعارضا في القول احتاج الملك إلى شاهد ليعلم الصادق من الكاذب، فشهد شاهد من أهلها، أي حكم حاكم من أهلها، لأنه حكم منه وليس بشهادة، وقد اختلف في هذا الشاهد على أقوال أربعة: الأول: أنه طفل في المهد تكلم، قال الطبري: وهو الصحيح، للحديث الوارد فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو قوله:" تكلم في المهد أربعة، وذكر فيهم شاهد يوسف[2]، ثم قيل: إنه كان في الدار وأنه ابن خالتها، الثاني- أن الشاهد قد القميص، وهو مجاز صحيح من جهة اللغة، فإن لسان الحال أبلغ من لسان المقال، وقد تضيف العرب الكلام إلى الجمادات وتخبر عنها بما هي عليه من الصفات، وذلك كثير في أشعارها وكلامها، ومن أحلاه قول بعضهم: قال الحائط للوتد لم تشقني؟ قال له: سل من يدقني. إلا أن قول الله تعالى بعد"مِّنْ أَهْلِهَآ" يبطل أن يكون القميص، الثالث- أنه خلق من خلق الله تعالى ليس بإنسي ولا بجني، وهذا يرده قوله تعالى:"مِّنْ أَهْلِهَآ"، الرابع- أنه رجل حكيم ذو عقل كان الوزير يستشيره في أموره، وكان من جملة أهل المرأة، وكان مع زوجها، فقال: قد سمعت الاستبدار والجلبة من وراء الباب، وشق القميص، فلا أدري أيكما كان قدام صاحبه، فإن كان شق القميص من قدامه فأنت صادقة، وإن كان من خلفه فهو صادق، فنظروا إلى القميص فإذا هو مشقوق من خلف، وقيل إن هذا كان ابن عمها[3].

([1]) سورة يوسف، الآية: ٢٦.

([2]) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ٥٥/١٦، والحاكم، **المستدرك**، ط١، ٤٩٦/٢، من طريق حماد بن سلمة به، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

([3]) القرطبي، **الجامع**، ط ١، ٩ / ١٧٢. ١٧٣.

سابعا: النسوة في مدينة مصر:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾[1].

النسوة: اسم جمع امرأة لا مفرد له، وهو اسم جمع قلة، مثله نساء، وقوله: في المدينة صفة لنسوة، والمقصود من ذكر هذه الصفة أنهن كن متفرقات في ديار من المدينة، وهذه المدينة هي قاعدة مصر السفلى، وهي مدينة (منفيس) حيث كان قصر العزيز، فنقل الخبر في بيوت المتصلين ببيت العزيز، وقيل: إن امرأة العزيز باحت بالسر لبعض خلائلها فأفشينه كأنها أرادت التشاور معهن، أو أرادت الارتياح بالحديث إليهن، (ومن أحب شيئا أكثر من ذكره)، والفتى: الذي في سن الشباب، ويكنى به عن المملوك وعن الخادم، كما يكنى بالغلام والجارية، وهو المراد هنا، وإضافته إلى ضمير امرأت العزيز لأنه غلام زوجها فهو غلام لها بالتبع ما دامت زوجة لمالكه، وشغف: فعل مشتق من اسم جامد، وهو الشغاف- بكسر الشين المعجمة- وهو غلاف القلب، وهذا الفعل مثل كبده ورآه وجبهه، إذا أصاب كبده ورئته وجبهته، والضمير المستتر في (شَغَفَهَا) ل (فَتَاهَا)، ولما فيه من الإجمال جيء بالتمييز للنسبة بقوله: (حُبًّا)، وأصله: شغفها حبه، أي أصاب حبه شغافها، أي اخترق الشغاف فبلغ القلب، كناية عن التمكن، وتذكير الفعل في (وَقَالَ نِسْوَةٌ) لأن الفعل المسند إلى ألفاظ الجموع غير الجمع المذكر السالم يجوز تجريده من التاء باعتبار الجمع، وقرنه بالتاء باعتبار الجماعة مثل ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾[سورة يوسف: ١٩]، وأما الهاء التي في آخر نسوة فليست علامة تأنيث بل هي هاء فعلة جمع تكسير، مثل صبية وغلمة، ومجيء (تُرَاوِدُ) بصيغة المضارع مع كون المراودة مضت لقصد استحضار الحالة العجيبة لقصد الإنكار عليها في أنفسهن ولومها على صنيعها، ونظيره في استحضار الحالة قوله تعالى: ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾[سورة هود: ٧٤][2]، ويحتمل أن يكون لاستمرار المراودة، لأن

([1]) سورة يوسف، الآيتان: ٣٠-٣١.

([2]) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ط١، ١٢ / ٢٥٩-٢٦١.

المرأة لم تزل شغوفا بيوسف غليه السلام، بدليل قوله تعالى حكاية عنها: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾[1].

ولما وصل الخبر إلى نسوة في المدينة وتحدثن به، وقلن منكرات على امرأة العزيز: امرأة العزيز تحاول غلامها عن نفسه، وتدعوه إلى نفسها، وقد بلغ حبها له شغاف قلبها، إنا لنراها في هذا الفعل لفي ضلال واضح، فلما سمعت امرأة العزيز بغيبتهن إياها واحتيالهن في ذمها، أرسلت إليهن تدعوهن لزيارتها، وهيأت لهن ما يتكئن عليه من الوسائد، وما يأكلنه من الطعام، وأعطت كل واحدة منهن سكينا ليقطعن الطعام، ثم قالت ليوسف: اخرج عليهن، فلما رأينه أعظمنه وأجللنه، وأخذهن حسنه وجماله، فجرحن أيديهن وهن يقطعن الطعام من فرط الدهشة والذهول، وقلن متعجبات: معاذ الله، ما هذا من جنس البشر؛ لأن جماله غير معهود في البشر، ما هو إلا ملك كريم من الملائكة، عندئذ قالت امرأة العزيز للنسوة اللاتي قطعن أيديهن: فهذا الذي أصابكن في رؤيتكن إياه ما أصابكن هو الفتى الذي لمتنني في الافتتان به، ولقد طلبته وحاولت إغراءه؛ ليستجيب لي فامتنع وأبى، ولئن لم يفعل ما آمره به مستقبلا ليعاقبن بدخول السجن، وليكونن من الأذلاء[2].

ثم ظهر لهم {مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَٰتِ } الدالة على براءته، {لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ } لينقطع بذلك الخبر ويتناساه الناس، فإن الشيء إذا شاع لم يزل يذكر ويشاع مع وجود أسبابه، فإذا عدمت أسبابه نسي، فرأوا أن هذا مصلحة لهم، فأدخلوه في السجن[3]، ومكث في السجن بضع سنين، حتى إذا قدر الله خروجه جعل رؤيا الملك سببا لخروجه، فخرج وصار من المقربين منه.

ثامنا: صاحبا يوسف في السجن:

قال تعالى:﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾[4].

([1]) سورة يوسف، الآية: ٣٢.

([2]) مجموعة من العلماء، **التفسير الميسر**، ط٢، ٤ / ١٣٠-١٣٢.

([3]) السعدي، **تيسير الكريم**، ط١، ١ / ٣٩٧.

([4]) سورة يوسف، الآية: ٣٦.

هذان الفتيان كان أحدهما ساقي الملك، والآخر خبازه، وكان اسم الذي على الشراب "نبوا"، والآخر "مجلث"، وكان سبب حبس الملك إياهما أنه توهم أنهما تمالآ على سمه في طعامه وشرابه، وكان يوسف، عليه السلام، قد اشتهر في السجن بالجود والأمانة وصدق الحديث، وحسن السمت وكثرة العبادة، صلوات الله عليه وسلامه، ومعرفة التعبير والإحسان إلى أهل السجن وعيادة مرضاهم والقيام بحقوقهم، ولما دخل هذان الفتيان إلى السجن، تآلفا به وأحباه حبا شديدا، وقالا له: والله لقد أحببناك حبا زائدا، ثم إنهما رأيا مناما، فرأى الساقي أنه يعصر خمرا -يعني عنبا - وقال الآخر -وهو الخباز-: {إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ }[1].

ولعل يوسف عليه الصلاة والسلام قصد أن يدعوهما إلى الإيمان في هذه الحال التي بدت حاجتهما إليه، ليكون أنجع لدعوته، وأقبل لهما. ثم صرح لهما بالدعوة، فقال: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩﴾[2]. أي: أرباب عاجزة ضعيفة لا تنفع ولا تضر، ولا تعطي ولا تمنع، وهي متفرقة ما بين أشجار وأحجار وملائكة وأموات، وغير ذلك من أنواع المعبودات التي يتخذها المشركون، أتلك {خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ } الذي له صفات الكمال، {ٱلۡوَٰحِدُ} في ذاته وصفاته وأفعاله فلا شريك له في شيء من ذلك، {ٱلۡقَهَّارُ} الذي انقادت الأشياء لقهره وسلطانه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ومن المعلوم أن من هذا شأنه ووصفه خير من الآلهة المتفرقة التي هي مجرد أسماء، لا كمال لها ولا أفعال لديها، ولهذا قال: ﴿ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم ﴾[3]. أي: كسوتموها أسماء، سميتموها آلهة، وهي لا شيء، ولا فيها من صفات الألوهية شيء، {مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍ } بل أنزل الله السلطان بالنهي عن عبادتها وبيان بطلانها، وإذا لم ينزل الله بها سلطانا، لم يكن طريق ولا وسيلة ولا دليل لها، لأن الحكم لله وحده، فهو الذي يأمر وينهى، ويشرع الشرائع، ويسن الأحكام، وهو الذي أمركم {أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ } أي: المستقيم الموصل إلى كل خير، وما سواه من الأديان، فإنها غير مستقيمة، بل معوجة توصل إلى كل شر،{ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ } حقائق الأشياء، وإلا فإن الفرق بين عبادة الله وحده لا شريك له،

([1]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٤ / ٣٨٨.

([2]) سورة يوسف، الآية: ٣٩.

([3]) سورة يوسف، الآية: ٤٠.

وبين الشرك به، أظهر الأشياء وأبينها، ولكن لعدم العلم من أكثر الناس بذلك، حصل منهم ما حصل من الشرك، فيوسف عليه السلام دعا صاحبي السجن لعبادة الله وحده، وإخلاص الدين له، فيحتمل أنهما استجابا وانقادا، فتمت عليهما النعمة، ثم قام بتعبير رؤياهما لهما، فقال:{ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا} وهو الذي رأى أنه يعصر خمرا، فإنه يخرج من السجن {فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗا} أي: يسقي سيده الذي كان يخدمه خمرا، وذلك مستلزم لخروجه من السجن،{وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ} وهو: الذي رأى أنه يحمل فوق رأسه خبزا تأكل الطير منه، {فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦ} فإنه عبر عن الخبز الذي تأكله الطير، بلحم رأسه وشحمه، وما فيه من المخ، وأنه لا يقبر ويستر عن الطيور، بل يصلب ويجعل في محل، تتمكن الطيور من أكله، ثم أخبرهما بأن هذا التأويل الذي تأوله لهما، أنه لا بد من وقوعه، فقال:{قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ} أي: تسألان عن تعبيره وتفسيره[1].

وفيما سيق يتبين لنا أنه لما عرف نبي الله يوسف عليه السلام أن أحدهما مقتول، دعاهما إلى حظهما من ربهما، وإلى نصيبهما من آخرتهما، وأما الآخر ، وهو الذي رأى أن على رأسه خبزا تأكل الطير منه "فيصلب فتأكل الطير من رأسه"، فذكر أنه لما عبر ما أخبراه به أنهما رأياه في منامهما، قالا له: ما رأينا شيئا! فقال لهما: (قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ) يقول: فرغ من الأمر الذي فيه استفتيتما، ووجب حكم الله عليكما بالذي أخبرتكما به[2].

تاسعا: أم موسى عليه السلام:

أم موسى لم يرد لها اسم في التنزيل، ولم يعرف اسمها في كتب اليهود، وذكر المفسرون لها أسماء لا يوثق بصحتها[3]، ولا ينبغي الجزم بها، منها: يوحانذ بنت لاوى بن يعقوب[4] عليه السلام.

([1]) السعدي، **تيسير الكريم**، ط١، ١ / ٣٩٧- ٣٩٨.

([2]) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ١٦ / ١٠٥- ١٠٧.

([3]) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ط١، ٢٠ / ٧٣.

([4]) البغوي، **معالم التنزيل**، ط١، ٣ / ٥٢٢.

ورد ذكرها في سورتين من القرآن الكريم، في آيات كثيرة، أولاهما: سورة طه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ٣٧ إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ٣٨ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩﴾[1].

يقول تعالى ذكره: ولقد تطولنا عليك يا موسى قبل هذه المرة مرة أخرى، وذلك حين أوحينا إلى أمك، إذ ولدتك في العام الذي كان فرعون يقتل كل مولود ذكر من قومك ما أوحينا إليها؛ ثم فسر تعالى ذكره ما أوحى إلى أمه، فقال: هو أن اقذفيه في التابوت، فأن في موضع نصب ردا على "مَا" التي في قوله: (مَا يُوحَىٰٓ)، وترجمة عنها،{ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي} يقول تعالى ذكره: ولقد مننا عليك يا موسى مرة أخرى حين أوحينا إلى أمك، أن اقذفي ابنك موسى حين ولدتك في التابوت (فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ) يعني باليم: النيل (فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ) يقول:فاقذفيه في اليم، يلقه اليم بالساحل، وهو جزاء أخرج مخرج الأمر، كأن اليم هو المأمور، ففعلت ذلك أمه به، فألقاه اليم بمشرعة آل فرعون، أرضعته وجعلته في تابوت صغير، ومهدت له فيه، ثم عمدت إلى النيل فقذفته فيه، وأصبح فرعون في مجلس له كان يجلسه على شفير النيل كل غداة، فبينا هو جالس، إذ مر النيل بالتابوت، فقذف به وآسية ابنة مزاحم امرأته جالسة إلى جنبه، فقال: إن هذا لشيء في البحر، فأتوني به، فخرج إليه أعوانه حتى جاءوا به، ففتح التابوت فإذا فيه صبي في مهده، فألقى الله عليه محبته، وعطف عليه نفسه، وعنى جل ثناؤه بقوله: (يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥ) فرعون هو العدو، كان لله ولموسى، وألقى الله محبته على موسى، كما قال جل ثناؤه: (وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي) فحببه إلى آسية امرأة فرعون، حتى تبنته وغذته وربته، و إلى فرعون، حتى كف عنه عاديته وشره، وقد قيل: إنما قيل: وألقيت عليك محبة مني، لأنه حببه إلى كل من رآه، فيكون معناه: حببتك إليهم، يقول الرجل لآخر إذا أحبه: ألقيت عليك رحمتي: أي محبتي[2].

وثانيتهما: سورة القصص، قال تعالى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٧ فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا

([1]) سورة طه، الآيات: ٣٧-٣٩.

([2]) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ١٨ / ٣٠٢ - ٣٠٣.

وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾[1] الآيات.

وهذه إجابة من الله لرسوله موسى، عليه السلام، فيما سأل من ربه عز وجل، وتذكير له بنعمه السالفة عليه، فيما كان ألهم أمه حين كانت ترضعه، وتحذر عليه من فرعون وملائه أن يقتلوه؛ لأنه كان قد ولد في السنة التي يقتلون فيها الغلمان، فاتخذت له تابوتا، فكانت ترضعه ثم تضعه فيه، وترسله في البحر -وهو النيل-وتمسكه إلى منزلها بحبل فذهبت مرة لتربطه، فانفلت منها وذهب به البحر، فحصل لها من الغم والهم ما ذكره الله عنها في قوله: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾[2].فذهب به البحر إلى دار فرعون ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾[3]. أي قدرا مقدورا من الله، حيث كانوا هم يقتلون الغلمان من بني إسرائيل، حذرا من وجود موسى، فحكم الله -وله السلطان العظيم، والقدرة التامة- ألا يربى إلا على فراش فرعون، ويغذى بطعامه وشرابه، مع محبته وزوجته له؛ وقوله: ﴿إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾[4]. وذلك أنه لما استقر عند آل فرعون، عرضوا عليه المراضع، فأباها، قال الله عز وجل: {وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ} فجاءت أخته وقالت ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾[5]. تعني هل أدلكم على من ترضعه لكم بالأجرة؟ فذهبت به وهم معها إلى أمه، فعرضت عليه ثديها، فقبله، ففرحوا بذلك فرحا شديدا، واستأجروها على إرضاعه فنالها بسببه سعادة ورفعة وراحة في الدنيا وفي الآخرة أغنم وأجزل، {فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ} أي: عليك، {وَقَتَلْتَ نَفْسًا} يعني: القبطي، {فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ}

([1]) سورة القصص، الآيات: ٧-٩.

([2]) السورة السابقة، الآية: ١٠.

([3]) السورة السابقة، الآية: ٨.

([4]) سورة طه، الآية: ٤٠.

([5]) سورة القصص، الآية: ١٢.

وهو ما حصل له بسبب عزم آل فرعون على قتله، ففر منهم هاربا، حتى ورد ماء مدين، وقال له ذلك الرجل الصالح: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾[1][2].

والوحي هنا: وحي الإلهام الصادق، وهو إيقاع معنى في النفس ينثلج له نفس الملقى إليه بحيث يجزم بنجاحه فيه وذلك من توفيق الله تعالى، وقد يكون بطريق الرؤيا الصالحة التي يقذف في نفس الرائي أنها صدق[3].

عاشرا: أخت موسى عليه السلام:

وأخت موسى: مريم ابنة عمران[4]، هي شقيقته الكبرى، ورد ذكرها مرتين، في سورتين من القرآن الكريم، هما سورة طه، في قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾[5]، وسورة القصص، في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾﴾[6].

يقول تعالى بعد أن أخبر عن فؤاد أم موسى، حين ذهب ولدها في البحر، وأنه أصبح فارغا، أي: من كل شيء من أمور الدنيا إلا من موسى، {إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ} أي: إن كادت من شدة وجدها وحزنها وأسفها لتظهر أنه ذهب لها ولد، وتخبر بحالها، لولا أن الله ثبتها وصبرها، قال الله تعالى: ﴿لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾[7]. أي: أمرت ابنتها -وكانت كبيرة تعي ما يقال لها -فقالت لها: {قُصِّيهِ} أي: اتبعي أثره، وخذي خبره، وتطلبي شأنه من نواحي البلد.

([1]) سورة القصص، الآية: ٢٥.

(٣) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٣ /١٨٠. ١٨١.

([3]) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ط١، ١٦ / ٢١٦.

([4]) المصدر السابق، ط١، ١٦ / ٢١٨.

([5]) سورة طه، الآية: ٤٠.

([6]) سورة القصص، الآيتان: ١١-١٢.

([7]) سورة القصص، الآيتان: ١٠-١١.

فخرجت لذلك، {فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ}، عن جانب[1]، أو عن بعيد، وجعلت تنظر إليه وكأنها لا تريده، وذلك أنه لما استقر موسى، عليه السلام، بدار فرعون، وأحبته امرأة الملك، واستطلقته منه، عرضوا عليه المراضع التي في دارهم، فلم يقبل منها ثديا، وأبى أن يقبل شيئا من ذلك، فخرجوا به إلى سوق لعلهم يجدون امرأة تصلح لرضاعته، فلما رأته بأيديهم عرفته، ولم تظهر ذلك ولم يشعروا بها، قال الله تعالى: {وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ} أي: تحريما قدريا، وذلك لكرامة الله له صانه عن أن يرتضع غير ثدي أمه؛ ولأن الله -سبحانه -جعل ذلك سببا إلى رجوعه إلى أمه، لترضعه وهي آمنة، بعدما كانت خائفة، فلما رأتهم أخته حائرين فيمن يرضعه قالت: {هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ}[2]، ولما قالت ذلك أخذوها، وشكوا في أمرها، وقالوا لها: وما يدريك نصحهم له وشفقتهم عليه؟ فقالت: نصحهم له وشفقتهم عليه رغبتهم في ظؤورة الملك ورجاء منفعته، فأرسلوها، فلما قالت لهم ذلك وخلصت من أذاهم، ذهبوا معها إلى منزلهم، فدخلوا به على أمه، فأعطته ثديها فالتقمه، ففرحوا بذلك فرحا شديدا، وذهب البشير إلى امرأة الملك، فاستدعت أم موسى، وأحسنت إليها، وأعطتها عطاء جزيلا وهي لا تعرف أنها أمه في الحقيقة، ولكن لكونه وافق ثديها. ثم سألتها آسية أن تقيم عندها فترضعه، فأبت عليها وقالت: إن لي بعلا وأولادا، ولا أقدر على المقام عندك، ولكن إن أحببت أن أرضعه في بيتي فعلت، فأجابتها امرأة فرعون إلى ذلك، وأجرت عليها النفقة والصلات والكساوي والإحسان الجزيل، فرجعت أم موسى بولدها راضية مرضية، قد أبدلها الله من بعد خوفها أمنا، في عز وجاه ورزق دار، ولم يكن بين الشدة والفرج إلا القليل: يوم وليلة، أو نحوه[3].

حادي عشر: الإسرائيلي والقبطيان:

قال تعالى : ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾[4].

([1]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٦ / ٢٢٣.

([2]) سورة القصص، الآية:١٢.

([3]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٦ / ٢٢٤.

([4]) سورة القصص، الآية: ١٥.

يقول تعالى ذكره:(وَدَخَلَ) موسى(ٱلْمَدِينَةَ) مدينة منف من مصر (عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا)[1].

وحين الغفلة: هو الوقت الذي يغفل فيه أهل المدينة عما يجري فيها وهو وقت استراحة الناس وتفرقهم وخلو الطريق منهم، والمقصود من ذكر هذا الوقت الإشارة إلى أن قتله القبطي لم يشعر به أحد تمهيدا لقوله بعد: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ﴾[2]الآيات ومقدمة لذكر خروجه من أرض مصر[3].

واختلف أهل العلم في السبب الذي من أجله دخل موسى هذه المدينة في هذا الوقت، فقال بعضهم: دخلها متبعا أثر فرعون، لأن فرعون ركب وموسى غير شاهد؛ فلما حضر علم بركوبه فركب واتبع أثره، وأدركه المقيل في هذه المدينة، وقال آخرون: بل دخلها مستخفيا من فرعون وقومه، لأنه كان قد خالفهم في دينهم، وعاب ما كانوا عليه، وقال آخرون: بل كان فرعون قد أمر بإخراجه من مدينته حين علاه بالعصا، فلم يدخلها إلا بعد أن كبر وبلع أشده، قالوا: ومعنى الكلام: ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها لذكر موسى: أي من بعد نسيانهم خبره وأمره[4].

كما اختلفوا في الوقت الذي عني بقوله:(عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا) فقال بعضهم: ذلك عند القائلة، نصف النهار، وقال بعضهم: هو بين المغرب والعشاء، روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: يقولون في القائلة، قال: وبين المغرب والعشاء، وقوله: (فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ) يقول: هذا من أهل دين موسى من بني إسرائيل، (وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ) من القبط من قوم فرعون، (فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ) يقول: فاستغاثه الذي هو من أهل دين موسى على الذي من عدوه من القبط، وكان موسى قد أوتي بسطة في الخلق، وشدة في البطش فغضب بعدوهما فنازعه، (فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ)

([1]) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ١٩ / ٥٣٦.

([2]) سورة القصص، الآية: ١٩.

([3]) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ط١، ٢٠ / ٨٨.

([4]) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ١٩ / ٥٣٧.

يقول: فلكزه ولهزه في صدره بجمع كفه[1]، وكزه وكزة قتله منها وهو لا يريد قتله، ﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ يقول: ففرغ من قتله[2]، ف ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾.

عن سعيد بن جبير، قال: كان موسى شديد الغضب شديد القوة، فمر برجل من القبط قد تسخر رجلا من المسلمين، قال: فلما رأى موسى استغاث به، قال: يا موسى، فقال موسى: خل سبيله، فقال: قد هممت أن أحمله عليك، ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ قال: حتى إذا كان الغد نصف النهار خرج ينظر الخبر، قال: فإذا ذاك الرجل قد أخذه آخر في مثل حده؛ قال: فقال: يا موسى، قال: فاشتد غضب موسى، قال: فأهوى، قال: فخاف أن يكون إياه يريد، قال: فقال: ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ﴾؟ قال: فقال الرجل: ألا أراك يا موسى أنت الذي قتلت[3]!

وأما وكزه القبطي فلم يكن إلا انتصارا للحق على جميع التقادير، ولذلك لما تكررت الخصومة بين ذلك الإسرائيلي وبين قبطي آخر وأراد موسى أن يبطش بالقبطي لم يقل له القبطي: إن تريد إلا أن تنصر قومك وإنما قال "﴿إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾"[4]، قيل: كان القبطي من عملة مخبز فرعون فأراد أن يحمل حطبا إلى الفرن فدعا إسرائيليا ليحمله فأبى فأراد أن يجبره على حمله وأن يضعه على ظهره فاختصما وتضاربا ضربا شديدا[5].

﴿فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۖ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾[6].

يقول تعالى ذكره: فأصبح موسى في مدينة فرعون خائفا من جنايته التي جناها، وقتله النفس التي قتلها أن يؤخذ فيقتل بها، ﴿يَتَرَقَّبُ﴾ يقول: يترقب الأخبار: أي ينتظر ما الذي يتحدث به الناس،

---

(1) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ١٩ / ٥٣٨.

(2) المصدر السابق، ط١، ١٩ / ٥٤٠.

(3) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ١٩ / ٥٣٨. ٥٣٩.

(4) سورة القصص، الآية: ١٩.

(5) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ط١، ٢٠ / ٨٩.

(6) سورة القصص، الآية: ١٨.

مما هم صانعون في أمره وأمر قتيله[1]، ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾ فإذا الإسرائيلي الذي استنصره بالأمس على الفرعوني يقاتله فرعوني آخر، فرآه الإسرائيلي فاستصرخه على الفرعوني، واستغاثه أيضا عليه، وأصله من الصراخ، كما يقال: قال بنو فلان: يا صباحاه، قال له موسى: ﴿إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ﴾ قال موسى للإسرائيلي الذي استصرخه، وقد صادف موسى نادما على ما سلف منه من قتله بالأمس القتيل، وهو يستصرخه اليوم على آخر: إنك أيها المستصرخ لغوي: يقول: إنك لذو غواية، ضلالة، (مبين): قد تبينت غوايتك بقتالك أمس رجلا واليوم آخر[2].

﴿ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾[3].

يقول تعالى ذكره: فلما أراد موسى أن يبطش بالفرعوني الذي هو عدو له وللإسرائيلي، قال الإسرائيلي لموسى وظن أنه إياه يريد (أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ)، ولما عزم على البطش بذلك القبطي، واعتقد الإسرائيلي لخوره وضعفه وذلته أن موسى إنما يريد قصده لما سمعه يقول ذلك، فقال يدفع عن نفسه: { يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ } وذلك لأنه لم يعلم به إلا هو وموسى، عليه السلام، فلما سمعها ذلك القبطي لقفها من فمه، ثم ذهب بها إلى باب فرعون فألقاها عنده، فعلم بذلك، فاشتد حنقه، وعزم على قتل موسى، فطلبوه فبعثوا وراءه ليحضروه لذلك[4].

وقيل: لما أصبح موسى نادما تائبا، وود أن لم يبطش بواحد منهما، وقد قال للإسرائيلي: ﴿إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ﴾ علم الإسرائيلي أن موسى غير ناصره؛ فلما أراد الإسرائيلي أن يبطش بالقبطي نهاه موسى، ففرق الإسرائيلي من موسى، فقال:(أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ)[5]، وهذا يعني أن الضمير في

([1]) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ١٩ / ٥٤٢.

([2]) المصدر السابق، ١٩ / ٥٤٢- ٥٤٣.

([3]) سورة القصص، الآية: ١٩.

([4]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٦ / ٢٢٥- ٢٢٦.

([5]) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ١٩ / ٥٤٤.

(أراد) يعود على الإسرائيلي، لا على موسى عليه السلام، كما هو الظاهر، وهو مخالف للسياق والنظم القرآني الحكيم.

وقوله: ﴿إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الإسرائيلي لموسى: ﴿إِن تُرِيدُ﴾: ما تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض، وكان من فعل الجبابرة: قتل النفوس ظلما، بغير حق، وقيل: إنما قال ذلك لموسى الإسرائيلي؛ لأنه كان عندهم من قتل نفسين: من الجبابرة، وقوله: ﴿وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ أي: ما تريد أن تكون ممن يعمل في الأرض بما فيه صلاح أهلها، من طاعة الله[1].

ثاني عشر: ناصح موسى عليه السلام:

قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾[2].

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ﴾ من شيعة موسى، ﴿مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ أي من آخرها، قال أكثر أهل التأويل: اسمه حزقيل مؤمن آل فرعون، وقيل: اسمه شمعون، وقيل: سمعان، ﴿يَسْعَىٰ﴾ أي يسرع في مشيه، فأخذ طريقا قريبا حتى سبق إلى موسى، فأخبره وأنذره حتى أخذ طريقا آخر[3].

والظاهر أن أقصى المدينة هو ناحية قصور فرعون وقومه فإن عادة الملوك السكنى في أطراف المدن توقيا من الثورات والغارات لتكون مساكنهم أسعد بخروجهم عند الخوف، والملأ: الجماعة أولو الشأن، وأراد بهم أهل دولة فرعون: فالمعنى: أن أولي الأمر يأتمرون بك، أي يتشاورون في قتلك[4].

([1]) المصدر السابق، ١٩ / ٥٤٥.

([2]) سورة القصص، الآية: ٢٠.

([3]) البغوي، **معالم التنزيل**، ط١، ٣ / ٥٢٨.

([4]) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ط١، ٢٠ / ٩٥.

ولما طلب فرعون موسى، وأمر بقتله؛ جاء موسى مخبر وخبره بما قد أمر به فرعون في أمره، وأشار عليه بالخروج من مصر، بلد فرعون وقومه[1].

عن ابن عباس، قال: انطلق الفرعوني الذي كان يقاتل الإسرائيلي إلى قومه، فأخبرهم بما سمع من الإسرائيلي من الخبر حين يقول: (أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ) فأرسل فرعون الذباحين لقتل موسى، فأخذوا الطريق الأعظم، وهم لا يخافون أن يفوتهم، وكان رجل من شيعة موسى في أقصى المدينة، فاختصر طريقا قريبا، حتى سبقهم إلى موسى، فأخبره الخبر[2].

ثالث عشر: شيخ مدين وابنتاه:

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾[3]. إلى الآية ﴿ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾[4] من القصص.

لما أخبر ذلك الرجل موسى عليه السلام بما تمالأ عليه فرعون ودولته في أمره، خرج من مصر وحده، ولم يألف ذلك قلبه، بل كان في رفاهية ونعمة ورئاسة، {فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ} أي: يتلفت {قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ} أي: من فرعون وملئه، {وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ} أي: أخذ طريقا سالكا مهيعا فرح بذلك، {قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ} أي: إلى الطريق الأقوم، ففعل الله به ذلك، وهداه إلى الصراط المستقيم في الدنيا والآخرة، فجعل هاديا مهديا[5].

ومدين: قوم من ذرية مدين بن إبراهيم، وأرض مدين واقعة على الشاطئ الغربي من البحر الأحمر، وكان موسى عليه السلام قد سلك إليها عند خروجه من بلد مصر طريقا غربية جنوبية

---

(1) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ١٩ / ٥٤٥.

(2) المصدر السابق، ١٩ / ٥٤٦.

(3) سورة القصص، الآية: ٢٣.

(4) السورة السابقة، الآية: ٢٨.

(5) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٦ / ٢٢٦.

فسلك برية تمر به على أرض العمالقة وأرض الأدوميين ثم بلاد النبط إلى أرض مدين، والورود هنا معناه الوصول والبلوغ كقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[1]، والمراد بالماء موضع الماء، وماء القوم هو الذي تعرف به ديارهم، لأن القبائل كانت تقطن عند المياه، وكانوا يكنون عن أرض القبيلة بماء بني فلان، فالمعنى: ولما ورد: أي عند ما بلغ بلاد مدين، ويناسب الغريب إذا جاء ديار قوم أن يقصد الماء، لأنه مجتمع الناس، فهنالك يتعرف لمن يصاحبه ويضيفه، والأمة: الجماعة الكثيرة العدد، وحذف مفعول يسقون لتعميم ما شأنه أن يسقى، وهو الماشية والناس، ولأن الغرض لا يتعلق بمعرفة المسقي، ولكن بما بعده من انزواء المرأتين عن السقي، فيكون من تنزيل الفعل المتعدي منزلة اللازم، أو الحذف هنا للاختصار، ومعنى من دونهم في مكان غير المكان الذي حول الماء، أي في جانب مباعد للأمة من الناس، لأن حقيقة كلمة (دون) أنها وصف للشيء الأسفل من غيره، والمعنى: ووجد امرأتين في جهة مبتعدة عن جهة الساقين، وتذودان: تطردان، وحقيقة الذود: طرد الأنعام عن الماء، ولذلك سموا القطيع من الإبل الذود، والمعنى في الآية: تمنعان إبلا عن الماء، ولما كان المقصود من حضور الماء بالأنعام سقيها، ورأى موسى المرأتين تمنعان أنعامهما من الشرب سألهما: ما خطبكما؟ وهو سؤال عن قصتهما وشأنهما إذ حضرا الماء ولم يقتحما عليه لسقي غنمهما، والخطب: الشأن والحدث المهم، فأجابتا بأنهما كرهتا أن تسقيا إلى أن ينصرف الرعاء، والإصدار: الإرجاع عن السقي، أي حتى يسقي الرعاء ويصدروا مواشيهم، أي حتى يذهب رعاء الإبل بأنعامهم فلا يبقى الزحام، وصدهما عن المزاحمة عادتهما لأنهما كانتا ذواتي مروءة وتربية زكية، وكان قولهما (وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ)اعتذارا عن حضورهما للسقي مع الرجال لعدم وجدانهما رجلا يستقي لهما، لأن الرجل الوحيد لهما هو أبوهما، وهو شيخ كبير، لا يستطيع ورود الماء لضعفه عن المزاحمة، واسم المرأتين (ليا) و (صفورة)[2].

قال ابن عباس: سار موسى من مصر إلى مدين، ليس له طعام إلا البقل وورق الشجر، وكان حافيا فما وصل مدين حتى سقطت نعل قدمه، وجلس في الظل، وهو صفوة الله من خلقه، وإن بطنه لاصق بظهره من الجوع، وإن خضرة البقل لترى من داخل جوفه وإنه لمحتاج إلى شق تمرة، ولما قال موسى {رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ}، أسمع المرأة، ولما رجعت المرأتان سراعا بالغنم إلى أبيهما،

([1]) سورة مريم، الآية: ٧١.

([2]) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ط١، ٢٠ / ٩٨ – ١٠١.

أنكر حالهما ومجيئهما سريعا، فسألهما عن خبرهما، فقصتا عليه ما فعل موسى، عليه السلام، فبعث إحداهما إليه لتدعوه إلى أبيها قال الله تعالى: { فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ { فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ } أي: مشي الحرائر، كما روي عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، أنه قال: كانت مستترة بكم درعها، {قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ}، وهذا تأدب في العبارة، لم تطلبه طلبا مطلقا لئلا يوهم ريبة، بل قالت: {إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا} يعني: ليثيبك ويكافئك على سقيك لغنمنا، {فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ} أي: ذكر له ما كان من أمره، وما جرى له من السبب الذي خرج من أجله من بلده، {قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ }، يقول: طب نفسا وقر عينا، فقد خرجت من مملكتهم فلا حكم لهم في بلادنا، ولهذا قال: { نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ }، وقد اختلف المفسرون في هذا الرجل: من هو؟ على أقوال: أحدها أنه شعيب النبي عليه السلام الذي أرسل إلى أهل مدين، وهذا هو المشهور عند كثيرين[1].

وقال آخرون: بل كان ابن أخي شعيب، وقال آخرون: كان شعيب قبل زمان موسى، عليه السلام، بمدة طويلة؛ لأنه قال لقومه: ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾[2]، وقد كان هلاك قوم لوط في زمن الخليل، عليه السلام بنص القرآن، وقد علم أنه كان بين موسى والخليل، عليهما السلام، مدة طويلة تزيد على أربعمائة سنة، وما قيل: إن شعيبا عاش مدة طويلة، إنما هو -والله أعلم -احتراز من هذا الإشكال، ثم من المقوي لكونه ليس بشعيب أنه لو كان إياه لأوشك أن ينص على اسمه في القرآن هاهنا، وما جاء في بعض الأحاديث من التصريح بذكره في قصة موسى لم يصح إسناده،[3].

([1]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٦ / ٢٢٧ – ٢٢٨.

([2]) سورة هود، الآية: ٨٩.

([3]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٦ / ٢٢٨- ٢٢٩.

رابع عشر: أهل موسى عليه السلام:

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾﴾[1].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾[2].

أي أن موسى عليه السلام، لما قضى أتم الأجلين وأوفاهما وأبرهما وأكملهما وأنقاهما، {وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ} قالوا: كان موسى قد اشتاق إلى بلاده وأهله، فعزم على زيارتهم في خفية من فرعون وقومه، فتحمل بأهله وما كان معه من الغنم التي وهبها له صهره، فسلك بهم في ليلة مطيرة مظلمة باردة، فنزل منزلا فجعل كلما أورى زنده لا يضيء شيئا، فتعجب من ذلك، فبينما هو كذلك إذ {ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا }أي: رأى نارا تضيء له على بعد، {قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا } أي: حتى أذهب إليها، {لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ}، وذلك لأنه قد أضل الطريق، {أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ} أي: قطعة منها، {لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ} أي: تتدفؤون بها من البرد[3].

والأهل: مراد به زوجه، ولم يكن معه إلا زوجه وابنان صغيران، والمخاطب بالقول زوجه، ويكنى عن الزوجة بالأهل[4]،

وفي الحديث: «فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا»[5]، ولذا فقد يكون المراد بأهله زوجته فقط، وقد يكون معها الأولاد إذا ثبت ذلك، كما ذكر آنفا.

---

(1) سورة النمل، الآية: ٧.

(2) سورة القصص، الآية: ٢٩.

(3) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٦ / ٢٣٤.

(4) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ط١، ١٩ / ٢٢٥.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب شهادة المرضعة، ٥٧٦/٦، حديث رقم: ٢٦٦١، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك، ٢١٢٩/٤، حديث رقم: ٢٧٧٠.

خامس عشر: السامري:

ورد ذكر السامري في التنزيل ثلاث مرات، كلها في سورة طه، في الآيات التالية:

١. ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾﴾[١].

٢. ﴿قَالُواْ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾﴾[٢].

٣. ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾﴾[٣].

والسامري يظهر أن ياءه ياء نسبة، وأن تعريفه باللام للعهد، فأما النسبة فأصلها في الكلام العربي أن تكون إلى القبائل والعشائر، فالسامري نسب إلى اسم أبي قبيلة من بني إسرائيل، أو غيرهم يقارب اسمه لفظ سامر، ويحتمل أن يكون السامري نسبا إلى قرية اسمها السامرة من قرى مصر، كما قال بعض أهل التفسير، فيكون فتى قبطيا اندس في بني إسرائيل لتعلقه بهم في مصر أو لصناعة يصنعها لهم، ويجوز أن تكون الياء من السامري غير ياء نسب بل حرفا من اسم مثل: ياء علي وكرسي، فيكون اسما أصليا أو منقولا في العبرانية، وتكون اللام في أوله زائدة، واعلم أن السامريين لقب لطائفة من اليهود يقال لهم أيضا السامرة، لهم مذهب خاص مخالف لمذهب جماعة اليهودية في أصول الدين، فهم لا يعظمون بيت المقدس وينكرون نبوءة أنبياء بني إسرائيل عدا موسى وهارون ويوشع، وما كانت هذه الشذوذات فيهم إلا من بقايا تعاليم الإلحاد التي كانوا يتلقونها في مدينة السامرة المبنية على التساهل والاستخفاف بأصول الدين والترخص في تعظيم آلهة جيرتهم الكنعانيين أصهار ملوكهم، ودام ذلك الشذوذ فيهم إلى زمن عيسى- عليه السلام-[٤].

([١]) سورة طه، الآية: ٨٥.

([٢]) السورة السابقة، الآية: ٨٧.

([٣]) السورة السابقة، الآية: ٩٥.

([٤]) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ط١، ١٦ / ٢٧٩- ٢٨١.

وفي تفسير القرطبي: أن السامري اسمه موسى بن ظفر- بفتح الظاء المعجمة وفتح الفاء- وأنه ابن خالة موسى- عليه السلام- أو ابن خاله، وأنه كفر بدين موسى بعد أن كان مؤمنا به، وكان من قوم يعبدون البقر[1].

أخبر تعالى نبيه موسى بما كان بعده من الحدث في بني إسرائيل، وعبادتهم العجل الذي عمله لهم ذلك السامري، وفي الكتب الإسرائيلية: أنه كان اسمه هارون أيضا، وكتب الله تعالى له في هذه المدة الألواح المتضمنة للتوراة[2].

سادس عشر: آسية بنت مزاحم (امرأت فرعون):

ورد ذكرها مرتين في القرآن الكريم، في سورتي القصص والتحريم، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٩﴾[3]. يعني: أن فرعون لما رآى موسى عليه السلام، هم بقتله خوفا من أن يكون من بني إسرائيل فجعلت امرأته آسية بنت مزاحم تحاج عنه وتذب دونه، وتحببه إلى فرعون، فقالت: {قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ} فقال: أما لك فنعم، وأما لي فلا، فكان كذلك، وهداها الله به، وأهلكه الله على يديه[4]،

وكانت امرأة فرعون امرأة ملهمة للخير، وقدر الله نجاة موسى بسببها، وصرفت فرعون عن قتله بعد أن هم به، وقد قال الله تعالى في شأنها: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١١﴾[5][6].

([1]) القرطبي، **الجامع**، ط ١، ١١ / ٢٣٣.

([2]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٥ / ٣٠٩- ٣١٠.

([3]) سورة القصص، الآية: ٩.

([4]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٦ / ٢٢٢.

([5]) سورة التحريم، الآية: ١١.

([6]) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ط١، ٢٠ / ٧٧ - ٧٨.

وامرأت فرعون سميت آسية كما في الحديث المروي عن النبيء صلى الله عليه وسلم: «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون»[1].

قال المفسرون: لما غلب موسى السحرة آمنت امرأة فرعون، ولما تبين لفرعون إسلامها أوتد يديها ورجليها بأربعة أوتاد، وألقاها في الشمس، وكانت تعذب بالشمس، فإذا انصرفوا عنها ظلتها الملائكة، ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾، فكشف الله لها عن بيتها في الجنة حتى رأته، وفي القصة أن فرعون أمر بصخرة عظيمة لتلقى عليها، فلما أتوها بالصخرة، قالت: رب ابن لي عندك بيتا في الجنة، فأبصرت بيتها في الجنة من درة بيضاء، وانتزع روحها، فألقيت الصخرة على جسد لا روح فيه، ولم تجد ألما، وقيل: رفع الله امرأة فرعون إلى الجنة فهي فيها تأكل وتشرب[2].

وقوله: ﴿وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾: وأنقذني من عذاب فرعون، ومن أن أعمل عمله، وذلك كفره بالله، وقوله: ﴿وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: وأخلصني وأنقذني من عمل القوم الكافرين بك،ومن عذابهم[3].

ولما كان فرعون لعنه الله أعتى أهل الأرض على الله، وأبعده من الله، وزوجته آسية من خير الناس، ما ضر ها كفر زوجها حين أطاعت ربها، ولهذا ضرب الله مثلا لحال المؤمنين- الذين صدقوا الله، وعبدوه وحده، وعملوا بشرعه، وأنهم لا تضرهم مخالطة الكافرين في معاملتهم- بحال زوجة فرعون التي كانت في عصمة أشد الكافرين بالله، وهي مؤمنة بالله، ليعلم أن الله حكم عدل، لا يؤاخذ عبده إلا بذنبه[4].

([1]) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قول الله تعالى {وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إلى قوله وكانت من القانتين، ٥٠٦/٨، حديث رقم: ٣٤١١، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة، ١٣٢/٧، حديث رقم ٦٤٢٤.

([2]) البغوي، **معالم التنزيل**، ط١، ٥ / ١٢٣.

([3]) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ٢٣ / ٥٠٠.

([4]) المصدر السابق،، ٣ / ٥٠٠، ومجموعة من العلماء، **التفسير الميسر**، ط٢، ١٠ / ١٨٨.

سابع عشر: سحرة فرعون:

ذكر الله سبحانه وتعالى سحرة فرعون في أربع سور من القرآن الكريم، في آيات متصلة في مختلف تلك السور الأربع، ونص عليهم بلفظ السحرة في ثمان آيات.

والسحرة: جمع ساحر، على وزن: فعلة، والساحر: اسم فاعل من السحر، والسحر: هو ما يفعله الساحر من الحيل والتخييلات التي تحصل بسببها للمسحور ما يحصل من الخواطر الفاسدة الشبيهة بما يقع لمن يرى السراب فيظنه ماء وما يظنه راكب السفينة أو الدابة من أن الجبال تسير، وهو مشتق من سحرت الصبي إذا خدعته، وقيل: أصله الخفاء، فإن الساحر يفعله خفية، وقيل: أصله الصرف، لأن السحر مصروف عن جهته، وقيل: أصله الاستمالة، لأن من سحرك فقد استمالك، وقيل: السحر الأخذة، وكل ما لطف ودق فهو سحر، وقد سحره يسحره سحرا والساحر: العالم، وسحره أيضا بمعنى خدعه، وقد اختلف هل له حقيقة أم لا؟ فذهبت المعتزلة[1] وأبو حنيفة إلى أنه خداع لا أصل له ولا حقيقة، وذهب من عداهم إلى أن له حقيقة مؤثرة، غير أنه لا يمكن أن يؤثر إلا بمشيئة الله تعالى، وقد صح أن النبي صلى الله عليه و سلم سحر، سحره لبيد بن الأعصم اليهودي[2] حتى كان يخيل إليه أنه يأتي الشيء ولم يكن قد أتاه، ثم شفاه الله سبحانه وتعالى[3].

([1]) الاعتزال معناه: الانفصال والتنحي، والمعتزلة هم المنفصلون، أما المعتزلة في الاصطلاح: فهم اسم يطلق على فرقة ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني، وسلكت منهجا عقليا متطرفا في بحث العقائد الإسلامية، وهم أصحاب واصل بن عطاء الغزال الذي اعتزل مجلس الحسن البصري، يقولون: إن صاحب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين، لامؤمن ولا كافر، وإذا مات يخلد في النار. مصطفى، **أصول وتاريخ الفرق**، ط ١، ١ / ٢٩٥ -٢٩٦.

([2]) هو لبيد بن الأعصم اليهودي، ساحر النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر بعضهم أنه بعد خيبر جاءت رؤساء يهود الذين بقوا في المدينة ممن يظهر الإسلام إلى لبيد بن الأعصم، وكان أعلمهم بالسحر، فقال واله: يا أبا الأعصم قد سحرنا محمدا، سحره منا الرجال فلم يصنع شيئا، أيو لم يؤثر سحرهم، وأن تترى أمره فينا، خلافة في ديننا ومن قتلو أجلى ونجعل لك على سحره ثلاثة دنانير ففعل ذلك. الحلبي، **السيرة الحلبية**، ط٢، ٢ / ٣١٦.

([3]) الشوكاني، **فتح القدير**، ط١، ١ / ١٨٦.

وقد كان السحر في زمانهم غالبا كثيرا ظاهرا، واعتقد من اعتقد منهم، وأوهم من أوهم منهم، أن ما جاء موسى، عليه السلام، من قبيل ما تشعبذه سحرتهم؛ فلهذا جمعوا له السحرة ليعارضوه بنظير ما أراهم من البينات، واختلف في عدد السحرة، كم كانوا على أقوال كثيرة جدا، منها:

١. خمسة عشر ألف ساحر، ٢. بضعة وثلاثون ألف رجل، ٣. سبعون ألف ساحر،

قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾[1].

يخبر تعالى عما تشارط عليه فرعون والسحرة الذين استدعاهم لمعارضة موسى، عليه السلام: إن غلبوا موسى ليثيبنهم وليعطينهم عطاء جزيلا، فوعدهم ومناهم أن يعطيهم ما أرادوا، ويجعلنهم من جلسائه والمقربين عنده، فلما توثقوا من فرعون لعنه الله:

﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ ٱلْقُواْ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ﴾[2].

هذه مبارزة من السحرة لموسى، عليه السلام، في قولهم: {إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ} أي: قبلك. كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾﴾[3]. فقال لهم موسى، عليه السلام{أَلْقُواْ} أي: أنتم أولا قبلي، والحكمة في هذا -والله أعلم -ليري الناس صنيعهم ويتأملوه، فإذا فرغ من بهرجهم ومحالهم، جاءهم الحق الواضح الجلي بعد تطلب له والانتظار منهم لمجيئه، فيكون أوقع في النفوس، وكذا كان، ولهذا قال تعالى: {فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ} أي: خيلوا إلى الأبصار أن ما فعلوه له حقيقة في الخارج، ولم يكن إلا مجرد صنعة وخيال، كما قال تعالى:

---

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ١١٣-١١٤.

(٢) سورة الأعراف، الآيتان: ١١٥-١١٦.

(٣) سورة طه، الآية: ٦٥.

﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾[1][2].

ثم أخبر تعالى أنه أوحى إلى عبده ورسوله موسى، عليه السلام، في ذلك الموقف العظيم، الذي فرق الله تعالى فيه بين الحق والباطل، يأمره بأن يلقي ما في يمينه وهي عصاه، {فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ } أي: تأكل { مَا يَأْفِكُونَ} أي: ما يلقونه ويوهمون أنه حق، وهو باطل، فعرفت السحرة أن هذا أمر من السماء، وليس هذا بسحر، فخروا سجدا و﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[3]. يخبر تعالى عما توعد به فرعون، لعنه الله، السحرة لما آمنوا بموسى، عليه السلام، وما أظهره للناس من كيده ومكره في قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا﴾[4]. أي: إن غلبه لكم في يومكم هذا إنما كان عن تشاور منكم ورضا منكم لذلك، كقوله في الآية الأخرى: ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾[5]. وهو يعلم وكل من له لب أن هذا الذي قاله من أبطل الباطل؛ فإن موسى، عليه السلام، بمجرد ما جاء من "مدين" دعا فرعون إلى الله، وأظهر المعجزات الباهرة والحجج القاطعة على صدق ما جاء به، فعند ذلك أرسل فرعون في مدائن ملكه ومعاملة سلطنته، فجمع سحرة متفرقين من سائر الأقاليم ببلاد مصر، ممن اختار هو والملأ من قومه، وأحضرهم عنده ووعدهم بالعطاء الجزيل، وقد كانوا من أحرص الناس على ذلك، وعلى الظهور في مقامهم ذلك والتقدم عند فرعون، وموسى، عليه السلام، لا يعرف أحدا منهم ولا رآه ولا اجتمع به، وفرعون يعلم ذلك، وإنما قال هذا تسترا وتدليسا على رعاع دولته وجهلتهم، كما قال تعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾[6]. فإن قوما صدقوه حتى في ادعائه الربوبية ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾[7][8].

([1]) سورة طه، الآيات: ٦٦-٦٩.

([2]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٣ / ٤٥٦-٤٥٧.

([3]) سورة الأعراف، الآيتان: ١٢١-١٢٢.

([4]) سورة الأعراف، الآية: ١٢٣.

([5]) سورة طه، الآية: ٧١.

([6]) سورة الزخرف، الآية: ٥٤.

([7]) سورة النازعات، الآية: ٢٤.

([8]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٢ /٢٩٠. ٢٩١.

وقيل: كان موسى عليه السلام، قد التقى وأمير السحرة، فقال له موسى: أرأيتك إن غلبتك أتؤمن بي، وتشهد أن ما جئت به حق؟ قال الساحر: لآتين غدا بسحر لا يغلبه سحر، فوالله لئن غلبتني لأومنن بك ولأشهدن أنك حق، وفرعون ينظر إليهما، قالوا: فلهذا قال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا﴾[1]، وقوله: {لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا} أي: تجتمعوا أنتم وهو، وتكون لكم دولة وصولة، وتخرجوا منها الأكابر والرؤساء، وتكون الدولة والتصرف لكم، {فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} أي: ما أصنع بكم، ثم فسر هذا الوعيد بقوله: {لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ} يعني: يقطع يد الرجل اليمنى ورجله اليسرى أو بالعكس، {وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ} وقال في الآية الأخرى: {فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ}[2] أي: على الجذوع، قال ابن عباس: وكان أول من صلب، وأول من قطع الأيدي والأرجل من خلاف، فرعون، وقول السحرة: {إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ}[3] أي: قد تحققنا أنا إليه راجعون، وعذابه أشد من عذابك، ونكاله ما تدعونا إليه، وما أكرهتنا عليه من السحر، أعظم من نكالك، فلنصبرن اليوم على عذابك لنخلص من عذاب الله، لما قالوا: {رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا} أي: عمنا بالصبر على دينك، والثبات عليه، {وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ} أي: متابعين لنبيك موسى، عليه السلام. وقالوا لفرعون: ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾[4]. فكانوا في أول النهار سحرة، فصاروا في آخره شهداء بررة[5].

([1]) سورة الأعراف، الآية: ١٢٣.

([2]) سورة طه، الآية: ٧١.

([3]) سورة الأعراف، الآية: ١٢٥.

([4]) سورة طه، الآيات: ٧٢-٧٥.

([5]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٣ / ٤٥٧- ٤٥٩.

ثامن عشر: مؤمن آل فرعون:

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَـٰدِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[1].

وقال: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ ﴾[2].

وقال: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ ﴾[3].

من خلال الآيات الثلاث الماضية يلاحظ أن الله سبحانه وتعالى ذكر هذا الرجل ثلاث مرات، مرة بمؤمن آل فرعون، ومرتين بالذي آمن، وقد تحدث الله عن الرجل في غضون ١٧ آية، من الآية: (٢٨) إلى الآية: (٤٥) من سورة غافر.

وفي الآل هاهنا قولان: أحدهما: أنه بمعنى الأهل والنسب؛ وأنه كان ابن عم فرعون، والثاني: أنه بمعنى القبيلة والعشيرة؛ وأنه كان قبطيا، وقال قوم: كان إسرائيليا، وإنما المعنى: قال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون؛ وفي اسمه خمسة أقوال: أحدها: حزبيل، والثاني: حبيب، والثالث: سمعون، بالسين المهملة، والرابع: جبريل، والخامس: شمعان، بالشين المعجمة[4].

والمشهور والراجح أن هذا الرجل المؤمن كان قبطيا من آل فرعون؛ لأن فرعون انفعل لكلامه واستمعه، وكف عن قتل موسى، عليه السلام، ولو كان إسرائيليا لأوشك أن يعاجل بالعقوبة؛ لأنه منهم، وقيل: لم يؤمن من آل فرعون سوى هذا الرجل وامرأة فرعون، والذي قال: ﴿يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾[5]، وقد كان هذا الرجل يكتم إيمانه عن قومه القبط، فلم يظهر إلا هذا اليوم حين

([1]) سورة غافر، الآية: ٢٨.

([2]) السورة السابقة، الآية: ٣٠.

([3]) السورة السابقة، الآية: ٣٨.

([4]) ابن الجوزي، **زاد المسير**، ط٣، ٥ / ٢٨٩.

([5]) سورة القصص، الآية: ٢٠.

قال فرعون: {ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ}[1]، فأخذت الرجل غضبة لله عز وجل، و"أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر"، ولا أعظم من هذه الكلمة عند فرعون، وهي قوله: {أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ} أي: لأجل أن يقول ربي الله، وقوله: {وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡ} أي: كيف تقتلون رجلا لكونه يقول: "ربي الله"، وقد أقام لكم البرهان على صدق ما جاءكم به من الحق؟ ثم تنزل معهم في المخاطبة، فقال: {وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡ} يعني: إذا لم يظهر لكم صحة ما جاءكم به، فمن العقل والرأي التام والحزم أن تتركوه ونفسه، فلا تؤذوه، فإن يك كاذبا فإن الله سيجازيه على كذبه بالعقوبة في الدنيا والآخرة، وإن يك صادقا وقد آذيتموه يصبكم بعض الذي يعدكم، فإنه يتوعدكم إن خالفتموه بعذاب في الدنيا والآخرة، فمن الجائز عندكم أن يكون صادقا، فينبغي على هذا ألا تتعرضوا له، بل اتركوه وقومه يدعوهم ويتبعونه[2].

تاسع عشر: العفريت من الجن:

معنى عفريت حسبما يستخلص من مختلف كلمات أهل اللغة أنه اسم للشديد الذي لا يصاب ولا ينال، فهو يتقى لشره، وأصله اسم لعتاة الجن، ويوصف به الناس على معنى التشبيه[3]، والعفريت: هو القوي النشيط جدا[4].

قال تعالى: ﴿قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾[5] أي مارد من الجن ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾[6] يعني: قبل أن تقوم من مجلسك، وقيل: مقعدك، وكان يجلس للناس للقضاء والحكومات وللطعام من أول النهار إلى أن تزول الشمس، ﴿وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ﴾[7] أي قوي على حمله، أمين على ما فيه من الجوهر، فقال سليمان، عليه السلام: أريد أعجل من ذلك، ومن هاهنا يظهر أن النبي سليمان أراد بإحضار

([1]) سورة غافر، الآية: ٢٦.

([2]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٧ / ١٤٠. ١٤١، و الطبري، **جامع البيان**، ط١، ٢١/ ٣٧٦.

([3]) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ط١، ١٩ / ٢٧٠-٢٧١.

([4]) السعدي، **تيسير الكريم**، ط١، ١ / ٦٠٥.

([5]) سورة النمل، الآية: ٣٩.

([6]) السورة السابقة، الآية: ٣٩.

([7]) السورة السابقة، الآية: ٣٩.

هذا السرير إظهار عظمة ما وهبه الله له من الملك، وسخر له من الجنود، الذي لم يعطه أحد قبله، ولا يكون لأحد من بعده، وليتخذ ذلك حجة على نبوته عند بلقيس وقومها؛ لأن هذا خارق عظيم أن يأتي بعرشها كما هو من بلادها قبل أن يقدموا عليه، هذا وقد حجبته بالأغلاق والأقفال والحفظة [1].

والظاهر أن سليمان إذ ذاك في الشام، فيكون بينه وبين سبأ نحو مسيرة أربعة أشهر، شهران ذهابا، وشهران إيابا، ومع ذلك يقول هذا العفريت: أنا التزم بالمجيء به على كبره وثقله، وبعده قبل أن تقوم من مجلسك الذي أنت فيه، والمعتاد من المجالس الطويلة أن تكون معظم الضحى نحو ثلث يوم هذا نهاية المعتاد، وقد يكون دون ذلك أو أكثر[2].

عشرون: الذي عنده علم من الكتاب:

قال المفسرون: هو رجل عالم صالح عند سليمان يقال له: "آصف بن برخيا" كان يعرف اسم الله الأعظم الذي إذا دعا الله به أجاب وإذا سأل به أعطى[3].

قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾[4]. قال ابن عباس: وهو آصف كاتب سليمان، وهو آصف بن برخياء، وكان صديقا يعلم الاسم الأعظم، وقال قتادة: كان مؤمنا من الإنس، من بني إسرائيل، فلما قال سليمان: أريد أعجل من ذلك، ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[5]. أي: ارفع بصرك وانظر مد بصرك مما تقدر عليه، فإنك لا يكل بصرك إلا وهو حاضر عندك، وقيل: امدد بصرك، فلا يبلغ مداه حتى آتيك به، فذكروا أنه أمره أن ينظر نحو اليمن التي فيها هذا العرش المطلوب، ثم قام فتوضأ، ودعا الله عز وجل، فقال: يا ذا الجلال والإكرام، وقيل: قال: يا إلهنا وإله كل شيء، إلها واحدا، لا إله إلا أنت، ائتني بعرشها، قال: فتمثل له بين يديه، ولما دعا الله،

---

(1) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٦ / ١٩٤.

(2) السعدي، **تيسير الكريم**، ط١، ١ / ٦٠٥.

(3) المصدر السابق، ١/ ٦٠٥.

(4) سورة النمل، الآية: ٤٠.

(5) السورة السابقة، الآية نفسها.

عز وجل، وسأله أن يأتيه بعرش بلقيس -وكان في اليمن، وسليمان عليه السلام ببيت المقدس-غاب السرير، وغاص في الأرض، ثم نبع من بين يدي سليمان، عليه السلام، ولم يشعر سليمان إلا وعرشها يحمل بين يديه، فلما عاين سليمان ذلك، ورآه مستقرا عنده {قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي} أي: هذا من نعم الله علي {لِيَبْلُوَنِي} أي: ليختبرني، {ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ}، وقوله: {وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ} أي: هو غني عن العباد وعبادتهم، {كَرِيمٌ} أي: كريم في نفسه، وإن لم يعبده أحد، فإن عظمته ليست مفتقرة إلى أحد، ولما جيء سليمان، عليه السلام، بعرش بلقيس قبل قدومها، أمر به أن يغير بعض صفاته، ليختبر معرفتها وثباتها عند رؤيته، هل تقدم على أنه عرشها أو أنه ليس به، ف﴿قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾﴾[1]، قال ابن عباس: نزع عنه فصوصه ومرافقه، وقال مجاهد: أمر به فغير ما كان أحمر جعل أصفر، وما كان أصفر جعل أحمر: وما كان أخضر جعل أحمر، غير كل شيء عن حاله، وقال عكرمة: زادوا فيه ونقصوا، وقال قتادة: جعل أسفله أعلاه ومقدمه مؤخره، وزادوا فيه ونقصوا، ﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾[2]. أي: عرض عليها عرشها، وقد غير ونكر، وزيد فيه ونقص منه، فكان فيها ثبات وعقل، ولها لب ودهاء وحزم، فلم تقدم على أنه هو لبعد مسافته عنها، ولا أنه غيره، لما رأت من آثاره وصفاته، وإن غير وبدل ونكر، فقالت: {كَأَنَّهُۥ هُوَ} أي: يشبهه ويقاربه، وهذا غاية في الذكاء والحزم، وقوله: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾[3]: قال مجاهد: سليمان يقوله، وقوله:﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾﴾[4]: هذا من تمام كلام سليمان، عليه السلام -في قول مجاهد، وسعيد بن جبير، رحمهما الله -أي: قال سليمان: {وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ}، وهي كانت قد صدها، أي: منعها من عبادة الله وحده، {مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ}، قال ابن كثير رحمه الله: وهذا الذي قاله مجاهد وسعيد حسن ، وقاله ابن جرير أيضا، ثم قال ابن جرير: ويحتمل أن يكون في قوله: {وَصَدَّهَا} ضمير يعود إلى سليمان، أو إلى الله، عز وجل، تقديره: ومنعها {مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ} أي: صدها عن عبادة غير الله {إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ

([1]) سورة النمل، الآية: ٤١.

([2]) السورة السابقة، الآية: ٤٢.

([3]) السورة السابقة، الآية نفسها.

([4]) السورة السابقة، الآية: ٤٣.

كَٰفِرِينَ}، قال ابن كثير رحمه الله: ويؤيد قول مجاهد: أنها إنما أظهرت الإسلام بعد دخولها إلى الصرح، وقوله: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَا﴾[1].وذلك أن سليمان، عليه السلام أمر الشياطين فبنوا لها قصرا عظيما من قوارير، أي: من زجاج، وأجرى تحته الماء، فالذي لا يعرف أمره يحسب أنه ماء، ولكن الزجاج يحول بين الماشي وبينه، واختلفوا في السبب الذي دعا سليمان، عليه السلام، إلى اتخاذه، فقيل: إنه لما عزم على تزويجها واصطفائها لنفسه؛ ذكر له جمالها وحسنها، ولكن في ساقيها هلب عظيم، ومؤخر أقدامها كمؤخر الدابة، فساءه ذلك، فاتخذ هذا ليعلم صحته أم لا؟ فلما دخلت وكشفت عن ساقيها، رأى أحسن الناس وأحسنه قدما، ولكن رأى على رجليها شعرا؛ لأنها ملكة ليس لها بعل، فأحب أن يذهب ذلك عنها فقيل لها: الموسى؟ فقالت: لا أستطيع ذلك، وكره سليمان ذلك، وقال للجن: اصنعوا شيئا غير الموسى يذهب به هذا الشعر، فصنعوا له النورة، وكان أول من اتخذت له النورة، وقيل: ثم قال لها: ادخلي الصرح، ليريها ملكا هو أعز من ملكها، وسلطانا هو أعظم من سلطانها، فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها، لا تشك أنه ماء تخوضه، فقيل لها: إنه صرح ممرد من قوارير، فلما وقفت على سليمان، دعاها إلى عبادة الله وعاتبها في عبادتها الشمس من دون الله، فقالت بقول الزنادقة، فوقع سليمان ساجدا إعظاما لما قالت، وسجد معه الناس، فسقط في يديها حين رأت سليمان صنع ما صنع، فلما رفع سليمان رأسه قال: ويحك! ماذا قلت؟ –قال: وأنسيت ما قالت فقالت: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٤﴾[2]، فأسلمت وحسن إسلامها[3].

حادي وعشرون: عمران (أبو مريم بنت عمران):

هو عمران بن ياشم بن أمون بن ميشا بن حزقيا بن أحريق بن يوثم بن عزاريا ابن أمصيا بن ياوش بن أجريهو بن يازم بن يهفاشاط بن إنشا بن أبيان بن رخيعم بن سليمان بن داود، عليهما

---

(1) سورة النمل ، الآية: ٤٤.

(2) السورة السابقة ، الآية: ٤٤.

(3) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٦ / ١٩١– ١٩٥.

السلام[1]، وقيل: عمران ابن ماتان، وقيل: هو عمران أبو موسى وهارون، وهو عمران بن يصهر بن فاهاث بن لاوى بن يعقوب[2]، وهو بعيد، وكان من أحبار اليهود، وصالحيهم، وأصله بالعبرانية عمرام بميم في آخره، وقيل: هو من نسل هارون أخي موسى[3]، والظاهر الأول والله أعلم.

خصه الله بسورة كاملة، سماها باسمه، هي سورة آل عمران، ورد ذكره فيها مرتين، في هاتين الآيتين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾[4]، ثم ذكر مرة في سورة التحريم، في قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾[5]، كما وردت الإشارة إليه في سورة مريم، في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾[6].

ثاني وعشرون: امرأة عمران: (أم مريم):

ورد ذكرها مرتين في القرآن الكريم، في آل عمران، عند قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾[7]، الآيات، وفي سورة مريم، عند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾[8].

وهي حنة بنت فاقوذ، وكانت امرأة لا تحمل، فرأت يوما طائرا يزق فرخه، فاشتهت الولد، فدعت الله، عز وجل، أن يهبها ولدا، فاستجاب الله دعاءها، فواقعها زوجها، فحملت منه، فلما

---

(1) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ٦ / ٣٢٨ – ٣٢٩، و ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٢ / ٣٣.

(2) القرطبي، **الجامع**، ط ١، ٤ / ٦٣.

(3) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ط١، ٣ / ٢٣١.

(4) سورة آل عمران، الآيات: ٣٣-٣٥.

(5) سورة التحريم، الآية: ١٢.

(6) سورة مريم، الآية: ٢٨.

(7) سورة آل عمران، الآية: ٣٥.

(8) سورة مريم، الآية: ٢٨.

تحققت الحمل نذرته أن يكون {مُحَرَّرًا} أي: خالصا مفرغا للعبادة، ولخدمة بيت المقدس، فقالت: {إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}[1]، أي: السميع لدعائي، العليم بنيتي، ولم تكن تعلم ما في بطنها أذكرا أم أنثى؟ {فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ}[2] قرئ برفع التاء على أنها تاء المتكلم، وأن ذلك من تمام قولها، وقرئ بتسكين التاء على أنه من قول الله عز وجل {وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى} أي: في القوة والجلد في العبادة وخدمة المسجد الأقصى[3]، وسماها مريم، وعوذتها بالله، عز وجل، من شر الشيطان، وعوذت ذريتها، وهو ولدها عيسى، عليه السلام، فاستجاب الله لها ذلك[4]، وأجارها وذريتها من الشيطان {وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا} أي: نبتت نباتا حسنا في بدنها وخلقها وأخلاقها، لأن الله تعالى قيض لها زكريا عليه السلام {وَكَفَّلَهَا} إياه، وهذا من رفقه بها ليربيها على أكمل الأحوال، فنشأت في عبادة ربها وفاقت النساء، وانقطعت لعبادة ربها[5].

ثالث وعشرون: مريم بنت عمران (أم عيسى عليه السلام):

وهي مريم بنت عمران، من سلالة داود، عليه السلام، وكانت من بيت طاهر طيب في بني إسرائيل، وقد ذكر الله تعالى قصة ولادة أمها لها في "آل عمران"، وأنها نذرتها محررة، أي: تخدم مسجد بيت المقدس، وكانوا يتقربون بذلك، ونشأت في بني إسرائيل نشأة عظيمة، فكانت إحدى العابدات الناسكات المشهورات بالعبادة العظيمة والتبتل والدءوب، وكانت في كفالة زوج أختها –وقيل: خالتها–زكريا نبي بني إسرائيل إذ ذاك وعظيمهم، الذي كانوا يرجعون إليه في دينهم، ورأى لها زكريا من الكرامات الهائلة ما بهره[6]،وقد أخبر ربنا أنه أنبتها نباتا حسنا أي: جعلها شكلا مليحا ومنظرا بهيجا، ويسر لها أسباب القبول، وقرنها بالصالحين من عباده تتعلم منهم الخير والعلم والدين، وإنما

---

(1) سورة آل عمران، الآية: ٣٥.

(2) سورة آل عمران، الآية: ٣٦.

(3) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٢ / ٣٣.

(4) المصدر السابق، ٢ / ٣٤.

(5) السعدي، **تيسير الكريم**، ط١، ١ / ١٢٨.

(6) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٥ / ٢١٩.

قدر الله كون زكريا كافلها لسعادتها، لتقتبس منه علما جما نافعا وعملا صالحا؛ ولأنه كان زوج خالتها[1]، ولقد اصطفاها الله، أي: اختارها لكثرة عبادتها وزهادتها وشرفها وطهرها من الأكدار والوسواس واصطفاها ثانيا مرة بعد مرة لجلالتها على نساء العالمين[2]، كما ورد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد"[3].

ولما أراد الله تعالى –وله الحكمة والحجة البالغة في ذلك– أن يوجد منها عبده ورسوله عيسى عليه السلام، أحد الرسل أولي العزم الخمسة العظام[4]، أظهر الله تعالى فيها من قدرته العظيمة، حيث خلقه منها من غير أب[5]، وأوجد منها ولدا عظيما، له شأن كبير، ولدا كان وجوده بكلمة من الله، أي: بقوله له: "كن" فيكون، له وجاهة ومكانة عند الله في الدنيا، بما يوحيه الله إليه من الشريعة، وينزل عليه من الكتاب، وغير ذلك مما منحه به، وفي الدار الآخرة يشفع عند الله فيمن يأذن له فيه، فيقبل منه، أسوة بإخوانه من أولي العزم، صلوات الله عليهم[6].

وخصها الله بسورة كاملة، سميت باسمها، سورة مريم، وردت قصتها مفصلة فيها، وصرح باسمها ثلاثا وثلاثين مرة في القرآن، في ثلاث عشرة سورة، منها ٢٢ موضعا، ذكرت فيها مع المسيح عيسى عليه السلام، و ١١ موضعا، ذكرت فيها منفردة، وكنى عنها مرة بالتي أحصنت فرجها، في الأنبياء، في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩١﴾[7]، ومرة بأخت هارون، في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ

---

(1) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٢ / ٣٥.

(2) المصدر السابق، ٢ / ٣٩.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه،كتاب التفسير، باب وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك، ٨/ ٥٣٨، حديث رقم ٣٤٣٢، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة، ١٣٢/٧، حديث رقم ٦٤٢٤.

(4) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٥ / ٢١٩.

(5) المصدر السابق، ٢ / ٤١.

(6) المصدر السابق، ٢ / ٤٣.

(7) سورة الأنبياء، الآية: ٩١.

أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾[1]، كما ذكرت بلفظ الأم أربع مرات في قوله تعالى: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾[2]، وفي قوله تعالى:﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾[3]، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ﴾[4]، وفي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾﴾[5].

رابع وعشرون: الملأ الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾[6].

يعني تعالى ذكره: "أَلَمْ تَرَ"، ألم تعلم، يا محمد؟ وهو من "رؤية القلب" لا رؤية العين"، لأن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم لم يدرك الذين أخبر الله عنهم هذا الخبر[7].

في هذه الآية الكريمة يقص الله تعالى علينا قصة الذين خرجوا من ديارهم على كثرتهم واتفاق مقاصدهم، بأن الذي أخرجهم منها حذر الموت من وباء أو غيره، يقصدون بهذا الخروج السلامة من الموت، ولكن لا يغني حذر عن قدر، {فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟} فماتوا {ثُمَّ} إن الله تعالى {أَحْيَٰهُمْ} إما بدعوة نبي أو بغير ذلك، رحمة بهم ولطفا وحلما، وبيانا لآياته لخلقه بإحياء الموتى، ولهذا قال: {إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ} أي: عظيم {عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ} فلا تزيدهم النعمة شكرا،

([1]) سورة مريم، الآية: ٢٨.

([2]) سورة المائدة، الآية: ١٧.

([3]) السورة السابقة، الآية: ٧٥.

([4]) السورة السابقة، الآية: ١١٦.

([5]) سورة المؤمنون، الآية: ٥٠.

([6]) سورة البقرة، الآية: ٢٤٣.

([7]) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ٥/ ٢٦٦.

بل ربما استعانوا بنعم الله على معاصيه، وقليل منهم الشكور الذي يعرف النعمة ويقر بها ويصرفها في طاعة المنعم[1].

ومعنى الآية: ألم تعلم -أيها الرسول- قصة الذين فروا من أرضهم ومنازلهم، وهم ألوف كثيرة؛ خشية الموت من الطاعون أو القتال، فقال لهم الله: موتوا، فماتوا دفعة واحدة عقوبة على فرارهم من قدر الله، ثم أحياهم الله تعالى بعد مدة؛ ليستوفوا آجالهم، وليتعظوا ويتوبوا؟ إن الله لذو فضل عظيم على الناس بنعمه الكثيرة، ولكن أكثر الناس لا يشكرون فضل الله عليهم[2].

روي أنهم كانوا أربعة آلاف وقيل: كانوا ثمانية آلاف، وقيل: تسعة آلاف، وقيل: أربعون ألفا وقيل: كانوا بضعة وثلاثين ألفا، وروي عن ابن عباس قال: كانوا أهل قرية يقال لها: داوردان، من قبل واسط. وقيل: كانوا من أهل أذرعات، كما روي عن ابن عباس: {أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ} قال: كانوا أربعة آلاف خرجوا فرارا من الطاعون قالوا: نأتي أرضا ليس بها موت حتى إذا كانوا بموضع كذا وكذا قال الله لهم موتوا فماتوا فمر عليهم نبي من الأنبياء فدعا ربه أن يحييهم فأحياهم، فذلك قوله عز وجل: {أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ} الآية، وذكر غير واحد من السلف أن هؤلاء القوم كانوا أهل بلدة في زمان بني إسرائيل استوخموا أرضهم وأصابهم بها وباء شديد، فخرجوا فرارا من الموت إلى البرية، فنزلوا واديا أفيح، فملأوا ما بين عدوتيه، فأرسل الله إليهم ملكين أحدهما من أسفل الوادي والآخر من أعلاه، فصاحا بهم صيحة واحدة، فماتوا عن آخرهم موتة رجل واحد، فحيزوا إلى حظائر وبني عليهم جدران وقبور وفنوا وتمزقوا وتفرقوا، فلما كان بعد دهر مر بهم نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له: حزقيل، فسأل الله أن يحييهم على يديه، فأجابه إلى ذلك وأمره أن يقول: أيتها العظام البالية إن الله يأمرك أن تجتمعي، فاجتمع عظام كل جسد بعضها إلى بعض، ثم أمره فنادى: أيتها العظام إن الله يأمرك بأن تكتسي لحما وعصبا وجلدا، فكان ذلك، وهو يشاهده ثم أمره فنادى: أيتها الأرواح إن الله يأمرك أن ترجع كل

([1]) السعدي، **تيسير الكريم**، ط١، ١٠٦ .

([2]) مجموعة من العلماء،، **التفسير الميسر**، ط٢، ١/ ٢٥٦.

روح إلى الجسد الذي كانت تعمره، فقاموا أحياء ينظرون قد أحياهم الله بعد رقدتهم الطويلة، وهم يقولون: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك لا إله إلا أنت[1].

وكان في إحيائهم عبرة ودليل قاطع على وقوع المعاد الجسماني يوم القيامة ولهذا قال: {إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ} أي: فيما يريهم من الآيات الباهرة والحجج القاطعة والدلالات الدامغة، {وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ} أي: لا يقومون بشكر ما أنعم الله به عليهم في دينهم ودنياهم، وفي هذه القصة عبرة ودليل على أنه لن يغني حذر من قدر وأنه لا ملجأ من الله إلا إليه، فإن هؤلاء فروا من الوباء طلبا لطول الحياة فعوملوا بنقيض قصدهم وجاءهم الموت سريعا في آن واحد[2].

خامس وعشرون: المار على القرية الخاوية على عروشها (عزير):

قال تعالى:﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾[3].

قوله: "أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ" عطف على قوله: "أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ"، وإنما عطف قوله: "أَوْ كَٱلَّذِى" على قوله: "إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ"، وإن اختلف لفظاهما، لتشابه معنييهما، لأن قوله: "أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ"، بمعنى: هل رأيت، يا محمد، كالذي حاج إبراهيم في ربه؟ ثم عطف عليه بقوله: "أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ" لأن من شأن العرب العطف بالكلام على معنى نظير له قد تقدمه، وإن خالف لفظه لفظه[4].

---

(1) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ١ / ٦٦٠- ٦٦١.

(2) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ١/ ٦٦١.

(3) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.

(4) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ٥/ ٤٣٨.

واختلفوا في هذا المار من هو؟ فروي عن علي بن أبي طالب أنه قال: هو عزير، وهذا القول هو المشهور، وقيل: هو الخضر عليه السلام، واكتفى بعضهم بقوله: هو رجل من بني إسرائيل[1].

وذكر غير واحد أنه مات وهو ابن أربعين سنه؛ فبعثه الله وهو كذلك، وكان له ابن فبلغ من السن مائة وعشرين سنة، وبلغ ابن ابنه تسعين وكان الجد شابا، وابنه وابن ابنه شيخان كبيران قد بلغا الهرم، وأنشد به بعض الشعراء:

واسود رأس شاب من قبل ابنه ... ومن قبله ابن ابنه فهو أكبر
يرى أنه شيخا يدب على عصا ... ولحيته سوداء والرأس أشعر
وما لابنه حبل ولا فضل قوة ... يقوم كما يمشي الصغير فيعثر
وعمر ابنه أربعون أمرها ... ولابن ابنه في الناس تسعين غبر[2]

وأما القرية: فالمشهور أنها بيت المقدس، مر عليها بعد تخريب بختنصر لها وقتل أهلها، وقيل: إنها التي خرج منها الألوف حذر الموت[3]،{وَهِيَ خَاوِيَةٌ} أي: ليس فيها أحد من قولهم: خوت الدار تخوي خواء وخويا، وقوله: {عَلَىٰ عُرُوشِهَا} أي: ساقطة سقوفها وجدرانها على عرصاتها، فوقف متفكرا فيما آل أمرها إليه بعد العمارة العظيمة، وقال: {أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا} وذلك لما رأى من دثورها وشدة خرابها وبعدها عن العود إلى ما كانت عليه، قال الله تعالى: {فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ} وعمرت البلدة بعد مضي سبعين سنة من موته وتكامل ساكنوها وتراجعت بنو إسرائيل إليها، فلما بعثه الله عز وجل بعد موته كان أول شيء أحيا الله فيه عينيه لينظر بهما إلى صنع الله فيه كيف يحيي بدنه؟ فلما استقل سويا قال الله له -أي بواسطة الملك-: {كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ} قالوا: وذلك أنه مات أول النهار ثم بعثه الله في آخر نهار، فلما رأى الشمس باقية ظن أنها شمس ذلك اليوم فقال: {أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ} وذلك: أنه كان معه فيما ذكر عنب وتين وعصير فوجده كما فقده لم يتغير منه شيء، لا العصير استحال ولا التين حمض

([1]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ١ / ٦٨٧.

([2]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ١/ ٦٨٨.

([3]) الماوردي، **النكت والعيون**، ط ١، ١/ ٣٣١.

ولا أنتن ولا العنب تعفن {وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ} أي: كيف يحييه الله عز وجل وأنت تنظر {وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ} أي: دليلا على المعاد {وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا} أي: نرفعها فتركب بعضها على بعض، و(ننشرها) أي: نحييها، تفرقت عظام حماره، ثم ركب كل عظم في موضعه حتى صار حمارا قائما من عظام لا لحم عليها ثم كساها الله لحما وعصبا وعروقا وجلدا، وبعث الله ملكا فنفخ في منخري الحمار فنهق كله بإذن الله عز وجل، وذلك كله بمرأى من العزير فعند ذلك لما تبين له هذا كله {قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ}[1].

سادس وعشرون: أصحاب الكهف:

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾[2]. الآيات.

هذا إخبار عن قصة أصحاب الكهف والرقيم على سبيل الإجمال والاختصار، ثم بسطها بعد ذلك فقال: { أَمْ حَسِبْتَ} يعني: يا محمد {أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا } أي: ليس أمرهم عجيبا في قدرتنا وسلطاننا، فإن خلق السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار، وتسخير الشمس والقمر والكواكب، وغير ذلك من الآيات العظيمة الدالة على قدرة الله تعالى، وأنه على ما يشاء قادر ولا يعجزه شيء أعجب من أخبار أصحاب الكهف والرقيم، يعني: قد كان من آياتنا ما هو أعجب من ذلك! وأما "الكهف" فهو: الغار في الجبل، وهو الذي لجأ إليه هؤلاء الفتية المذكورون، وأما "الرقيم" فقد اختلف فيه إلى أقوال كثيرة، منها: أنه واد قريب من أيلة، ومنها: أنه اسم الوادي الذي فيه كهفهم ، وقيل: "الرقيم" : بنيانهم، وقيل: الجبل الذي فيه الكهف، وقيل: الكتاب، وقيل: لوح من حجارة، كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف، ثم وضعوه على باب الكهف،

([1]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ١/ ٦٨٨.

([2]) سورة الكهف، الآيات: ٩-١٢.

وبالرغم من أن جل الأقوال متقاربة، ويمكن الجمع بينها إلا أن الذي يترجح هو القول بأن الرقيم: الكتاب، لدليل قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ مَّرۡقُومٞ ٩﴾[1].

وهذا هو الظاهر من الآية، وهو اختيار ابن جرير، قال: "الرقيم" فعيل بمعنى مرقوم، كما يقال للمقتول: قتيل، وللمجروح: جريح، والله أعلم[2].

قال ابن جرير: "وأولى هذه الأقوال بالصواب في الرقيم أن يكون معنيا به: لوح، أو حجر، أو شيء كتب فيه كتاب"، وقد قال أهل الأخبار: إن ذلك لوح كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وخبرهم حين أووا إلى الكهف، ثم قال بعضهم: رفع ذلك اللوح في خزانة الملك، وقال بعضهم: بل جعل على باب كهفهم، وقال بعضهم: بل كان ذلك محفوظا عند بعض أهل بلدهم، والله عز وجل أنزل قصة أصحاب الكهف على نبيه احتجاجا بها على المشركين من قومه، إذ سألوه عنها اختبارا منهم له بالجواب عنها صدقه، فكان تقريعهم بتكذيبهم بما هو أوكد عليهم في الحجة مما سألوا عنهم، وزعموا أنهم يؤمنون عند الإجابة عنه أشبه من الخبر عما أنعم الله على رسوله من النعم[3].

وقوله: ﴿إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ١٠﴾[4].
يخبر تعالى عن أولئك الفتية، الذين فروا بدينهم من قومهم لئلا يفتنوهم عنه، فهربوا منه فلجأوا إلى غار في جبل ليختفوا عن قومهم، فقالوا حين دخلوا سائلين من الله تعالى رحمته ولطفه بهم: {رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ} أي: هب لنا من عندك رحمة ترحمنا بها وتسترنا عن قومنا {وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا} أي: وقدر لنا من أمرنا هذا رشدا، أي: اجعل عاقبتنا رشدا، وقوله: ﴿فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ

([1]) سورة المطففين، الآية: ٩.
([2]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٥ / ١٣٨- ١٣٩.
([3]) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ١٧ / ٦٠١-٦٠٤.
([4]) سورة الكهف، الآية: ١٠.

سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾﴾[1]. أي: ألقينا عليهم النوم حين دخلوا إلى الكهف، فناموا سنين كثيرة { ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ } أي: من رقدتهم تلك، وخرج أحدهم بدراهم معه ليشتري لهم بها طعاما يأكلونه[2]،

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم كانوا كذلك في عبادة الله ليلهم ونهارهم، يبكون إلى الله، ويستغيثونه، وكانوا ثمانية نفر: مكسلمينا، وكان أكبرهم، وهو الذي كلم الملك عنهم، ومحسيميلينينا، ويمليخا، ومرطوس، وكشوطوش، وبيرونس، ودينموس، ويطونس قالوس، فلما أجمع دقينوس أن يجمع أهل القرية لعبادة الأصنام، والذبح للطواغيت، بكوا إلى الله وتضرعوا إليه، وجعلوا يقولون: اللهم رب السماوات والأرض، لن ندعو من دونك إلها ﴿لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾[3][4].

وقد اختلف أهل العلم في سبب مصير هؤلاء الفتية إلى الكهف الذي ذكره الله في كتابه ، فقال بعضهم: كان سبب ذلك، أنهم كانوا مسلمين على دين عيسى، وكان لهم ملك عابد وثن، دعاهم إلى عبادة الأصنام، فهربوا بدينهم منه خشية أن يفتنهم عن دينهم، أو يقتلهم، فاستخفوا منه في الكهف، وأبوا، وقالوا: ﴿رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾[5]، فاعتزلوا عن قومهم لعبادة الله، فقال أحدهم: إنه كان لأبي كهف يأوي فيه غنمه، فانطلقوا بنا نكن فيه، فدخلوه، وفقدوا في ذلك الزمان فطلبوا، فقيل: دخلوا هذا الكهف، فقال قومهم: لا نريد لهم عقوبة ولا عذابا أشد من أن نردم عليهم هذا الكهف، فبنوه عليهم ثم ردموه، ثم إن الله بعث عليهم ملكا على دين عيسى، ورفع ذلك البناء الذي كان ردم عليهم، فقال بعضهم لبعض: (كَمْ لَبِثْتُمْ) ؟ ف (قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ...) حتى بلغ (فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ) وكان ورق ذلك الزمان كبارا، فأرسلوا أحدهم يأتيهم بطعام وشراب، فلما ذهب ليخرج، رأى على باب الكهف شيئا أنكره ، فأراد أن يرجع، ثم مضى حتى دخل المدينة، فأنكر ما رأى، ثم أخرج درهما، فنظروا إليه فأنكروه، وأنكروا الدرهم، وقالوا: من أين لك هذا، هذا من ورق غير هذا الزمان، واجتمعوا عليه

([1])سورة الكهف ، الآية: ١١.

([2]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٥ / ١٣٩.

([3]) سورة الكهف، الآية: ١٤.

([4]) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ١٧ / ٦٠٧.

([5]) سورة الكهف، الآية: ١٤.

يسألونه، فلم يزالوا به حتى انطلفوا به إلى ملكهم، وكان لقومهم لوح يكتبون فيه ما يكون، فنظروا في ذلك اللوح، وسأله الملك، فأخبره بأمره، ونظروا في الكتاب متى فقد، فاستبشروا به وبأصحابه، وقيل له: انطلق بنا فأرنا أصحابك، فانطلق وانطلقوا معه، ليريهم، فدخل قبل القوم، فضرب على آذانهم، فقال الذين غلبوا على أمرهم: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾[1].

وقال بعضهم: إنهم هربوا ليلا من ملكهم حين دعاهم إلى عبادة الأصنام، فمروا براع له كلب، فتبعهم على دينهم، فأووا إلى الكهف يتعبدون، ورجل منهم يبتاع لهم أرزاقهم من المدينة، إلى أن جاءهم يوما فأخبرهم أنهم قد ذكروا، فبكوا وتعوذوا بالله من الفتنة، فضرب الله تعالى على آذانهم، وأمر الملك فسد عليهم الكهف، وهو يظنهم أيقاظا، وقد توفى الله أرواحهم وفاة النوم، وكلبهم قد غشيه ما غشيهم، ثم إن رجلين مؤمنين يكتمان إيمانهما كتبا أسماءهم وأنسابهم وخبرهم في لوح من رصاص، وجعلاه في تابوت من نحاس في البنيان، وقالا: لعل الله يطلع عليهم قوما مؤمنين، فيعلمون خبرهم، وقال آخرون: إن أحد الحواريين جاء إلى مدينة أصحاب الكهف، فأراد أن يدخلها، فقيل له: إن على بابها صنما لا يدخلها أحد إلا سجد له، فكره أن يدخلها، فأتى حماما قريبا من المدينة، فكان يعمل فيه بالأجر، وعلقه فتية من أهل المدينة، فجعل يخبرهم عن خبر السماء والأرض، وخبر الآخرة، فآمنوا به وصدقوه، حتى جاء ابن الملك يوما بامرأة، فدخل معها الحمام، فأنكر عليه الحواري ذلك، فسبه ودخل، فمات وماتت المرأة في الحمام، فأتى الملك، فقيل له: إن صاحب الحمام قتل ابنك، فالتمس فهرب، فقال: من كان يصحبه؟ فسمي له الفتية، فالتمسوا فخرجوا من المدينة، فمروا على صاحب لهم في زرع، وهو على مثل أمرهم، فانطلق معهم ومعه كلب حتى آواهم الليل إلى الكهف، فدخلوه فقالوا: نبيت هاهنا، ثم نصبح إن شاء الله فترون رأيكم، فضرب الله على آذانهم فناموا؛ وخرج الملك، وأصحابه يتبعونهم، فوجدوهم قد دخلوا الكهف، فكلما أراد رجل أن يدخل الكهف أرعب، فقال قائل للملك: أليس قلت: إن قدرت عليهم قتلتهم؟ قال: بلى، قال: فابن عليهم باب الكهف حتى يموتوا جوعا وعطشا، ففعل، فكان ما كان من أمرهم[2].

([1]) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ١٧ / ٦٠٥-٦٠٦، وللاستزادة والوقوف على تمام القصة ارجع إلى كتب التفاسير حول الآيات المتعلقة بهم.

([2]) ابن الجوزي، **زاد المسير**، ط٣، ٤ / ٢٠٤-٢٠٥.

سابع وعشرون: صاحب الجنتين وأخوه:

قال تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ٣٢ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ٣٣ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ٣٤﴾[1] الآيات.

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: هما ابنا ملك كان في بني إسرائيل توفي وتركهما، فاتخذ أحدهما الجنان والقصور، وكان الآخر زاهدا في الدنيا، فكان إذا عمل أخوه شيئا من زينة الدنيا، أخذ مثل ذلك فقدمه لآخرته، حتى نفد ماله، فضربهما الله عز وجل مثلا للمؤمن والكافر الذي أبطرته النعمة، وروي أن المسلم لما احتاج، تعرض لأخيه الكافر، فقال الكافر: أين ما ورثت عن أبيك؟ فقال: أنفقته في سبيل الله، فقال الكافر: لكني ابتعت به جنانا وغنما وبقرا، والله لا أعطيك شيئا أبدا حتى تتبع ديني، ثم أخذ بيد المسلم فأدخله جنانه يطوف به فيها، ويرغبه في دينه، وقيل: اسم المؤمن يمليخا، واسم الكافر قرطس، وقيل: قطرس[2]، والظاهر الأول، والله أعلم.

يقول الله تعالى بعد ذكر المشركين المستكبرين عن مجالسة الضعفاء والمساكين من المسلمين، وافتخروا عليهم بأموالهم وأحسابهم، فضرب لهم مثلا برجلين، جعل الله {لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ} أي: بستانين من أعناب، محفوفتين بالنخل المحدقة في جنباتهما، وفي خلالهما الزروع، وكل من الأشجار والزروع مثمر مقبل في غاية الجود؛ ولهذا قال: {كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا} أي: خرجت ثمرها {وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا} أي: ولم تنقص منه شيئا {وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا} أي: والأنهار تتخرق فيهما هاهنا وهاهنا، {وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ}، فقال -أي صاحب هاتين الجنتين- {لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ} أي: يجادله ويخاصمه، يفتخر عليه ويترأس: {أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا} أي: أكثر خدما وحشما وولدا، وقوله: {وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ}[3] أي: بكفره وتمرده وتكبره وتجبره وإنكاره المعاد، {قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا}[4] وذلك

([1]) سورة الكهف، الآيات: ٣٢-٣٤.

([2]) ابن الجوزي، **زاد المسير**، ط٣، ٤ / ٢٢١.

([3]) سورة الكهف، الآية: ٣٥.

([4])السورة السابقة ، الآية: ٣٥.

اغترار منه، لما رأى فيها من الزروع والثمار والأشجار والأنهار المطردة في جوانبها وأرجائها، ظن أنها لا تفنى ولا تفرغ ولا تهلك ولا تتلف، وذلك لقلة عقله، وضعف يقينه بالله، وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها، وكفره بالآخرة؛ ولهذا قال: ﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً ﴾[1] أي: كائنة ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾[2] أي: ولئن كان معاد ورجعة ومرد إلى الله، ليكونن لي هناك أحسن من هذا لأني محظى عند ربي، ولولا كرامتي عليه ما أعطاني هذا، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾[3]، ثم يقول تعالى مخبرا عما أجابه صاحبه المؤمن، واعظا له وزاجرا عما هو فيه من الكفر بالله والاغترار: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾[4]؟ وهذا إنكار وتعظيم لما وقع فيه من جحود ربه، الذي خلقه وابتدأ خلق الإنسان من طين وهو آدم، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، وهو الله، لا إله إلا هو، خالق كل شيء؛ ولذا قال: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى﴾[5]. أي: أنا لا أقول بمقالتك، بل أعترف لله بالربوبية والوحدانية ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾[6]. أي: بل هو الله المعبود وحده لا شريك له، ثم قال: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾﴾[7]. هذا تحضيض وحث على ذلك، أي: هلا إذ أعجبتك حين دخلتها ونظرت إليها حمدت الله على ما أنعم به عليك، وأعطاك من المال و الولد ما لم يعطه غيرك، وقلت: {مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ }؛ ولهذا قال بعض السلف: من أعجبه شيء من حاله أو ماله أو ولده أو ماله، فليقل: {مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ } وهذا مأخوذ من هذه الآية الكريمة، وقد روي فيه حديث مرفوع، عن أنس، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

(1) سورة الكهف ، الآية: ٣٦.

(2) السورة السابقة، الآية: ٣٦.

(3) سورة فصلت، الآية: ٥٠.

(4) سورة الكهف، الآية: ٣٧.

(5) السورة السابقة، الآية: ٣٨.

(6) السورة السابقة، الآية: ٣٨.

(7) السورة السابقة، الآية: ٣٩.

"ما أنعم الله على عبد نعمة من أهل أو مال أو ولد، فيقول: {ما شاء الله لا قوة إلا بالله} فيرى فيه آفة دون الموت"، وكان يتأول هذه الآية: { وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ }[1][2].

وقوله: ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ ﴾[3]. أي: في الدار الآخرة {وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا} أي: على جنتك في الدنيا التي ظننت أنها لا تبيد ولا تفنى {حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ} أي عذابا من السماء، والظاهر أنه مطر عظيم مزعج، يقلع زرعها وأشجارها؛ ولهذا قال: {فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا} أي: بلقعا ترابا أملس، لا يثبت فيه قدم، كالجرز الذي لا ينبت شيئا، وقوله: { أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا }[4] أي: غائرا في الأرض، وهو ضد النابع الذي يطلب وجه الأرض، فالغائر يطلب أسفلها، والغور: مصدر بمعنى غائر، وهو أبلغ منه، ثم يقول تعالى: {وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ} بأمواله، أو بثماره على القول الآخر، والمقصود أنه وقع بهذا الكافر ما كان يحذر، مما خوفه به المؤمن من إرسال الحسبان على جنته، التي اغتر بها وألهته عن الله، عز وجل {فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا }[5]: يصفق كفيه متأسفا متلهفا على الأموال التي أذهبها عليه {وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ }[6] أي: عشيرة أو ولد، كما افتخر بهم واستعز {يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا }[7].

وقوله: (كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا) يقول: كلا البستانين أطعم ثمره وما فيه من الغروس من النخل والكرم وصنوف الزرع، وقال: كلتا الجنتين، ثم قال: آتت، فوحد الخبر، لأن كلتا لا يفرد واحدتها[8]، واختلف المفسرون في الثمر الوارد في القصة، فقال بعضهم: كان له ذهب وفضة، وقالوا: ذلك هو الثمر، لأنها أموال مثمرة ، يعني مكثرة، وقال آخرون: بل عني به: المال الكثير من صنوف الأموال،

---

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم ٤٥٢٥ من طريق الحسن بن صباح، عن عمر بن يونس به.

(2) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٥ / ١٥٧- ١٥٨.

(3) سورة الكهف، الآية: ٤٠.

(4) السورة السابقة ، الآية: ٤١.

(5) السورة السابقة، الآية: ٤٢.

(6) السورة السابقة، الآيات: ٤٢-٤٣.

(7) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٥ / ١٥٩-١٦٠.

(8) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ١٨ / ١٩.

وقال آخرون: بل عني به الأصل[1]، وهو: الثمار، وهو أظهر ها هنا، وهو جمع ثمرة، كخشبة وخشب، وقوله: (لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى) يقول: أما أنا فلا أكفر بربي، ولكن أنا هو الله ربي، معناه أنه يقول: ولكن أنا أقول: هو الله ربي (وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا)[2]، والحسبان: جمع حسبانة، وهي المرامي[3].

ثامن وعشرون: صاحب يس:

قال تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾[4].

إن أهل قرية أنطاكية لما هموا بقتل رسلهم جاءهم رجل من أقصى المدينة يسعى، أي: لينصرهم من قومه –قالوا: وهو حبيب، وكان يعمل الجرير –الحبال– وكان رجلا سقيما، قد أسرع فيه الجذام، وكان كثير الصدقة، يتصدق بنصف كسبه، مستقيم النظرة، وقيل: كان اسمه حبيب بن مري، ويقال أيضا: حبيب النجار، وقيل: كان قصارا، وقيل: كان إسكافا، وكان يتعبد في غار هناك[5].

قصته: أنه كان رجلا من أهل أنطاكية، وكان اسمه "حبيبا" وكان يعمل الجرير، وكان رجلا سقيما، قد أسرع فيه الجذام، وكان منزله عند باب من أبوب المدينة قاصيا، وكان مؤمنا ذا صدقة، يجمع كسبه إذا أمسى فيما يذكرون، فيقسمه نصفين، فيطعم نصفا عياله، ويتصدق بنصف، فلم يهمه سقمه ولا عمله ولا ضعفه، عن عمل ربه، قال: فلما أجمع قومه على قتل الرسل، بلغ ذلك: "حبيبا" وهو على باب المدينة الأقصى، فجاء يسعى إليهم يذكرهم بالله، ويدعوهم إلى اتباع المرسلين، فقال: (يَٰقَوْمِ

---

(1) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ١٨ / ٢١.

(2) المصدر السابق، ١٨ / ٢٣.

(3) المصدر السابق، ١٨ / ٢٤.

(4) سورة يس، الآيات: ٢٠-٢٧.

(5) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٦ / ٥٧٠.

ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ)[1]، يحض قومه على اتباع الرسل الذين أتوهم، {ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا} أي: على إبلاغ الرسالة، {وَهُم مُّهۡتَدُونَ} فيما يدعونكم إليه، من عبادة الله وحده لا شريك له، {وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي} أي: وما يمنعني من إخلاص العبادة للذي خلقني وحده لا شريك له، {وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ} أي: يوم المعاد، فيجازيكم على أعمالكم، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، {ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً}؟ استفهام إنكار وتوبيخ وتقريع، {إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ} أي: هذه الآلهة التي تعبدونها من دونه لا يملكون من الأمر شيئا، فإن الله لو أرادني بسوء، لا تملك دفع ذلك ولا منعه، ولا ينقذونني مما أنا فيه، {إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ} أي: إن اتخذتها آلهة من دون الله، و{إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ} الذي كفرتم به،{فَٱسۡمَعُونِ} أي: فاسمعوا قولي، ويحتمل أن يكون خطابه للرسل بقوله:{إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ} أي: الذي أرسلكم، {فَٱسۡمَعُونِ} أي: فاشهدوا لي بذلك عنده، فلما قال ذلك وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه، ولم يكن له أحد يمنع عنه، وقيل: جعلوا يرجمونه بالحجارة، وهو يقول: "اللهم اهد قومي، فإنهم لا يعلمون"، فلم يزالوا به حتى أقعصوه[2] وهو يقول كذلك، فقتلوه، رحمه الله، ﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧﴾[3]. فلما وطئوه بأرجلهم حتى خرج قصبه[4] من دبره قال الله له: {قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَ}، فدخلها فهو يرزق منها، قد أذهب الله عنه سقم الدنيا وحزنها ونصبها، فلما رأى الثواب {قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ} تمنى على الله أن يعلم قومه ما عاين من كرامة الله له وما هجم عليه، وقال ابن عباس: نصح قومه في حياته بقوله: {يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ}، وبعد مماته في قوله:{قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ} بإيماني بربي وتصديقي

([1]) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ٢٠ / ٥٠٠- ٥٠٥.

([2]) يقال: ضربه فأقعصه، أي قتله مكانه، ويقال: مات فلان قعصا، إذا أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه. الجوهري، **الصحاح**، ط٤، ٤ / ١٩٠.

([3]) سورة يس، الآيتان: ٢٦-٢٧.

([4]) القصب: عروق الرئة، وهي مخارج النفس ومجاريه، الجوهري، **الصحاح**، ط٤، ٢ / ٢٢٢.

المرسلين، ومقصوده أنهم لو اطلعوا على ما حصل من هذا الثواب والجزاء والنعيم المقيم، لقادهم ذلك إلى اتباع الرسل، فرحمه الله ورضي عنه، فلقد كان حريصا على هداية قومه[1].

تاسع وعشرون: أصحاب الجنة:

قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾[2] الآيات.

ذكر أهل التفسير أن رجلا كان بناحية اليمن له بستان، وكان مؤمنا، وذلك بعد عيسى بن مريم عليهما السلام، وكان يأخذ منه قدر قوته، ويتصدق بالباقي[3].

قوله تعالى: (إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ)، يعني اختبرنا أهل مكة بالقحط والجوع، (كَمَا بَلَوْنَآ) ابتلينا، (أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ)،حين هلكت جنتهم، روي عن ابن عباس في قوله عز وجل: (إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ)، قال: كان بستان باليمن يقال له الضروان، دون صنعاء بفرسخين، يطؤه أهل الطريق، كان غرسه قوم من أهل الصلاة، وكان لرجل فمات، فورثه ثلاثة بنين له، وكان يكون للمساكين إذا صرموا نخلهم كل شيء تعداه المنجل، فلم يجزه، فإذا طرح من فوق النخل إلى البساط، فكل شيء يسقط عن البساط فهو أيضا للمساكين، وإذا حصدوا زرعهم فكل شيء تعداه المنجل فهو للمساكين، وإذا داسوا كان لهم كل شيء ينتثر أيضا، فلما مات الأب وورثه هؤلاء الإخوة عن أبيهم، فقالوا: والله إن المال لقليل وإن العيال لكثير، وإنما كان هذا الأمر يفعل إذا كان المال كثيرا والعيال قليلا، فأما إذ قل المال وكثر العيال فإنا لا نستطيع أن نفعل هذا، فتحالفوا بينهم يوما ليغدون غدوة قبل خروج الناس فليصرمن نخلهم ولم يستثنوا، يعني لم يقولوا: إن شاء الله، فغدا القوم بسدفة من الليل إلى جنتهم ليصرموها قبل أن يخرج المساكين، فرأوها مسودة، وقد طاف عليها من الليل طائف من العذاب، فأحرقها،

([1]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٦ / ٥٧٠- ٥٧٢.

([2]) سورة القلم، الآيات: ١٧-٢٠.

([3]) ابن الجوزي، **زاد المسير**، ط٣، ٦/ ٥٩.

فأصبحت كالصريم، فذلك قوله عز وجل: ﴿إِذْ أَقْسَمُوا﴾، حلفوا، ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾، ليجذنها وليقطعن ثمرها إذا أصبحوا قبل أن يعلم المساكين، ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾، لا يقولون إن شاء الله[1].

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ﴾، عذاب، ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾، ليلا، ولا يكون الطائف إلا بالليل، وكان ذلك الطائف نارا نزلت من السماء فأحرقتها، ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾، كالليل المظلم الأسود، وقيل: صرم منها الخير فليس فيها شيء، وأصل الصريم المصروم، مثل قتيل ومقتول وكل شيء قطع فهو صريم فالليل صريم، والصبح صريم، لأن كل واحد منهما ينصرم عن صاحبه[2].

﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ﴾، نادى بعضهم بعضا لما أصبحوا، ﴿أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾ يعني الثمار والزروع والأعناب، ﴿إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ﴾، قاطعين للنخل، ﴿فَانطَلَقُوا﴾، مشوا إليها، ﴿وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ﴾، يتسارون يقول بعضهم لبعض سرا، ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾، الحرد في اللغة يكون بمعنى القصد والمنع والغضب، أي: على أمر مجتمع قد أسسوه بينهم، وهذا على معنى القصد لأن القاصد إلى الشيء جاد مجمع على الأمر، وعن ابن عباس: على قدرة، قادرين، عند أنفسهم على جنتهم وثمارها لا يحول بينها وبينهم أحد، ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾﴾ أي لما رأوا الجنة محترقة قالوا: إنا لمخطئون الطريق أضللنا مكان جنتنا ليست هذه بجنتنا، فقال بعضهم: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾﴾: حرمنا خيرها ونفعها لمنعنا المساكين وتركنا الاستثناء، (قال أوسطهم): أعدلهم وأعقلهم وأفضلهم، ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾﴾: هلا تستثنون، أنكر عليهم ترك الاستثناء في قولهم ليصرمنها مصبحين، وسمي الاستثناء تسبيحا لأنه تعظيم لله وإقرار بأنه لا يقدر أحد على شيء إلا بمشيئته، وقيل: هلا تسبحون الله وتقولوا سبحان الله وتشكرونه على ما أعطاكم، ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾: نزهوه عن أن يكون ظالما فيما فعل وأقروا على أنفسهم بالظلم، فقالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾، بمنعنا المساكين[3]. ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾، يلوم بعضهم بعضا في منع المساكين حقوقهم ونادوا على أنفسهم بالويل، ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾﴾، في منعنا حق الفقراء، وقيل: طغينا نعم الله فلم نشكرها ولم نصنع ما صنع آباؤنا من قبل[4].

([1]) البغوي، **معالم التنزيل**، ط١، ٥/ ١٣٧- ١٣٨.

([2]) المصدر السابق، ط١، ٥ / ١٣٨.

([3]) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

([4]) المصدر السابق، ٥/ ١٣٩.

المطلب الثاني: ذكر المهاجرين والأنصار في الجملة:

خصص الله سبحانه وتعالى المهاجرين والأنصار بالذكر في ثلاثة مواضع من الكتاب العزيز، في ثلاث سور، وهي قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾[3].

والمراد بالمهاجرين: الذين هاجروا قومهم وعشيرتهم، وفارقوا منازلهم وأوطانهم من أجل الله، والأنصار: الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه من أهل الكفر بالله ورسوله[4].

والمقصود بالسبق السبق في الإيمان، لأن سياق الآيات قبلها في تمييز أحوال المؤمنين الخالصين، والكفار الصرحاء، والكفار المنافقين، فتعين أن يراد الذين سبقوا غيرهم من صنفهم، فالسابقون من المهاجرين هم الذين سبقوا بالإيمان قبل أن يهاجر النبيء صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، والسابقون من الأنصار هم الذين سبقوا قومهم بالإيمان، وهم أهل العقبتين الأولى والثانية[5]، وقد اختلف

([1]) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

([2]) السورة السابقة، الآية: ١١٧.

([3]) سورة الحشر، الآية: ٨-٩.

([4]) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ١٤ / ٤٣٤.

([5]) بيعة العقبة الأولى: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه في موسم الحج على القبائل، فتعرض لستة نفر من الخزرج سنة ١١ من النبوة، منهم أسعد بن زرارة، وعقبة بن عامر، وجابر بن عبد الله، ودعاهم إلى الإسلام وإلى معاونته في تبليغ رسالة ربه، فآمنوا به وصدقوه ووعدوه المقابلة في الموسم القابل، وهذه بداية إسلام الأنصار، فلما كان الموسم التالي سنة ١٢ من النبوة أتوا، ويقول عبادة بن الصامت: "كنا اثني عشر رجلا في العقبة الأولى، فبايعنا رسول الله صلى الله عليه

المفسرون في تحديد المدة التي عندها ينتهي وصف السابقين من المهاجرين والأنصار معا، فقال بعضهم: من صلى القبلتين، وقال آخرون: من شهد بدرا، وقال غيرهم: من أدركوا بيعة الرضوان[1].

ومما لا شك فيه أن أول من أسلموا يدخلون في الآية دخولا أوليا، بدءا من أول من أسلم من الرجال، وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ومن النساء خديجة رضي الله عنها، ومن الصبيان علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومن العبيد بلال رضي الله عنه، ومن الموالي زيد بن حارثة رضي الله عنه، ولما أسلم أبو بكر رضي الله عنه أظهر إسلامه ودعا إلى الله وإلى رسوله، وكان رجلا محببا سهلا، فأسلم على يديه عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم أجمعين، وجاء بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استجابوا له فأسلموا وصلوا، فكان هؤلاء الثمانية نفر الذين سبقوا إلى الإسلام، ثم تتابع الناس في الدخول إلى الإسلام، وأما السابقون من الأنصار فهم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة، وكانوا ستة نفر في العقبة الأولى وسبعين في العقبة الثانية، والذين آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة مصعب بن عمير يعلمهم القرآن، فأسلم معه خلق كثير وجماعة من النساء والصبيان[2].

وسلم علي بيعة النساء" (رواه البخاري ومسلم)، وعاد الأنصار إلى المدينة ومعهم مصعب بن عمير، يعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين ويقرئهم القرآن.

وبيعة العقبة الثانية: قدم وفد الأنصار في موسم الحج في السنة الثالثة عشر من النبوة، واجتمع منهم في الشعب عند العقبة ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان، وجاءهم الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه عمه العباس، وتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهم إلى الله ورغبهم في الإسلام، فبايعوه وتمت البيعة، وعاد الأنصار إلى المدينة يترقبون هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن جعل عليهم اثني عشر نقيبا. **إقامة الحجة على العالمين بنبوة خاتم النبيين**، ط ١، ١ / ١٧- ١٨.

(1) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ط١، ١١ / ١٧. وبيعة الرضوان: أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان رسولا إلى قريش – بعد عدة مراسلات – وأخرت قريش عثمان فحسب المسلمون أنها قتلته، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه للبيعة تحت الشجرة، فبايعوه جميعا – إلا أحد المنافقين – وكانت البيعة على الموت، رواه البخاري، ونزل القرآن برضوان الله على أهل البيعة، قال تعالى: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾. الفتح/ ١٨. **إقامة الحجة على العالمين بنبوة خاتم النبيين**، ط ١، ١ / ٣٦.

(2) البغوي، **معالم التنزيل**، ط١، ٢ / ٣٨١ -٣٨٢.

المطلب الثالث: أفراد الصحابة وأمهات المؤمنين، وعددهم ستة:

أولا: أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

هو خليفة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي، التيمي، المكي، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومؤنسه في الغار، وصديقه الأكبر، وصديقه الأشفق، ووزيره الأحزم، وأفضل الأمة بعد رسولها، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم[1].

ورد ذكر أبي بكر الصديق رضي الله عنه، في القرآن، في ثلاث آيات، منها آية واحدة ذكر فيها بصفته صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾[2].

يقول تعالى: { إِلَّا تَنصُرُوهُ } أي: تنصروا رسوله، فإن الله ناصره ومؤيده وكافيه وحافظه، كما تولى نصره {إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ } أي: عام الهجرة، لما هم المشركون بقتله أو حبسه أو نفيه، فخرج منهم هاربا صحبة صديقه وصاحبه أبي بكر بن أبي قحافة، فلجأ إلى غار ثور ثلاثة أيام ليرجع الطلب الذين خرجوا في آثارهم، ثم يسيرا نحو المدينة، فجعل أبو بكر، رضي الله عنه، يجزع أن يطلع عليهم أحد، فيخلص إلى الرسول، عليه السلام منهم أذى، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يسكنه ويثبته ويقول: "يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما"[3].

([1]) الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، ط١، ١ / ٩.

([2]) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

([3]) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ثاني اثنين إذ هما في الغار، ٦٦/٦، حديث رقم: ٤٦٦٣. وانظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٤ / ١٥٥.

و(ثاني اثنين)، يقول: أخرجوه وهو أحد الاثنين، أي: واحد من الاثنين، وكذلك تقول العرب: "هو ثاني اثنين" يعني: أحد الاثنين، و"ثالث ثلاثة، ورابع أربعة"، يعني: أحد الثلاثة، وأحد الأربعة[1].

وفي السكينة ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الرحمة، والثاني: الوقار، والثالث: السكون والطمأنينة، وهو أصح، وفي هاء «عليه» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى أبي بكر ، واحتج من نصر هذا القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان مطمئنا، والثاني: أنها ترجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، لأن السياق فيه أصلا، وإنما ذكر أبو بكر معه عرضا، والثالث: أن الهاء هاهنا في معنى تثنية، لأن السياق فيهما جميعا، والتقدير: فأنزل الله سكينته عليهما، فاكتفى بإعادة الذكر على أحدهما من إعادته عليهما، كقوله: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾[2][3].

قوله تعالى: {وَأَيَّدَهُۥ} أي: قواه: يعني النبي صلى الله عليه وسلم بلا خلاف، {بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا} وهم الملائكة، لما كان في الغار، صرفت الملائكة وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته، فإن قيل: إذا وقع الاتفاق أن هاء الكناية في {أيده} ترجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فكيف تفارقها هاء {عليه} وهما متفقتان في نظم الكلام؟ فالجواب: أن كل حرف يرد إلى الأليق به، والسكينة إنما يحتاج إليها المنزعج، ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم منزعجا، فأما التأييد بالملائكة، فلم يكن إلا للنبي صلى الله عليه وسلم ونظير هذا قوله: ﴿لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾[4]. يعني النبي صلى الله عليه وسلم ، {وَتُسَبِّحُوهُ} يعني: الله عز وجل[5].

([1]) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ١٤ / ٢٥٧.

([2]) سورة التوبة، الآية: ٦٢.

([3]) ابن الجوزي، **زاد المسير**، ط٣، ٣ / ١٧٨.

([4]) سورة الفتح، الآية: ٩.

([5]) ابن الجوزي، **زاد المسير**، ط٣، ٣ / ١٧٩.

{وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ} أي: الساقطة المخذولة، فإن الذين كفروا قد كانوا على حرد قادرين، في ظنهم على قتل الرسول صلى الله عليه وسلم، وأخذه، فعملوا غاية مجهودهم في ذلك، فخذلهم الله ولم يتم لهم مقصودهم، بل ولا أدركوا شيئا منه[1].

وآيتان نزلتا بسببه رضي الله عنه، أولاهما: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٢﴾[2].

المشهور من الروايات أن هذه الآية نزلت في قصة أبي بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه ومسطح بن أثاثة[3]، وذلك أنه كان ابن خالته، وكان من المهاجرين البدريين المساكين، وكان أبو بكر رضي الله عنه ينفق عليه لمسكنته وقرابته، فلما وقع أمر الإفك، وقال فيه مسطح ما قال، حلف أبو بكر ألا ينفق عليه، ولا ينفعه بنافعة أبدا، فجاء مسطح فاعتذر، وقال: إنما كنت أغشى مجالس حسان، فأسمع ولا أقول، فقال له أبو بكر: لقد ضحكت وشاركت فيما قيل، ومر على يمينه، فنزلت الآية، وقيل: إن جماعة من المؤمنين قطعوا منافعهم عن كل من قال في الإفك، وقالوا: والله لا نصل من تكلم في شأن عائشة، فنزلت الآية في جميعهم، والأول أصح، غير أن الآية تتناول الأمة إلى يوم القيامة، بألا يغتاظ ذو فضل وسعة، فيحلف ألا ينفع من هذه صفته غابر الدهر، إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[4].

([1]) السعدي، **تيسير الكريم**، ط١، ١ / ٣٣٧.

([2]) سورة النور، الآية: ٢٢.

([3]) هو مسطح بن أثاثة، من قريش، صحابي، كان اسمه عوفا، ولقب بمسطح، فغلب عليه، وأمه بنت خالة أبي بكر، وكان أبو بكر يمونه لقرابته منه، فلما كان حديث أهل الإفك في أمر عائشة حلف أبو بكر أن لا ينفق عليه، فنزلت الآية: ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فعاد أبو بكر إلى الإنفاق عليه. النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ط١، ٢٦/١.

([4]) القرطبي، **الجامع**، ط١، ١٢ / ٢٠٧.

قوله تعالى: ولا يأتل، يعني ولا يحلف، وهو يفعل من الألية، وهي القسم، و (أولوا الفضل منكم والسعة) يعني أولو الغنى والسعة[1].

وثانيتهما: قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾[2].

وقوله: {وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى} أي: وسيزحزح عن النار التقي النقي الأتقى، ثم فسره بقوله: {ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ} أي: يصرف ماله في طاعة ربه؛ ليزكي نفسه وماله وما وهبه الله من دين ودنيا، {وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ} أي: ليس بذله ماله في مكافأة من أسدى إليه معروفا، فهو يعطي في مقابلة ذلك، وإنما دفعه ذلك {ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ} أي: طمعا في أن يحصل له رؤيته في الدار الآخرة في روضات الجنات، قال الله تعالى: {وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ} أي: ولسوف يرضى من اتصف بهذه الصفات، وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك، ولا شك أنه داخل فيها، وأولى الأمة بعمومها، فإن لفظها لفظ العموم، وهو قوله تعالى: {وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾} ولكنه مقدم الأمة وسابقهم في جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحميدة؛ فإنه كان صديقا تقيا كريما جوادا بذالا لأمواله في طاعة مولاه، ونصرة رسول الله، فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم، ولم يكن لأحد من الناس عنده منة يحتاج إلى أن يكافئه بها، ولكن كان فضله وإحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل[3]، وهذا على أن (أفعل) التفضيل غير مراد، وإنما المراد: التقي، فيكون عاما، أما إذا كان (أفعل) مرادا منه التفضيل، بمعنى الأكثر تقوى، فلا شك أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه، كان أتقى الأمة بعد رسولها، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

---

(1) البغوي، **معالم التنزيل**، ط١، ٣ / ٣٩٥.

(2) سورة الليل، الآيات: ١٧-٢١.

(3) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٨ / ٤٢٢.

ثانيا: أم المؤمنين (عائشة بنت أبي بكر الصديق التيمية رضي الله عنهما):

هي بنت الإمام الصديق الأكبر، خليفة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة، القرشية، التيمية، المكية، النبوية، أم المؤمنين، زوجة النبي –صلى الله عليه وسلم– أفقه نساء الأمة على الإطلاق، وأمها: هي أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة الكنانية، ومسندها: يبلغ ألفين ومائتين وعشرة أحاديث، اتفق لها البخاري ومسلم على: مائة وأربعة وسبعين حديثا، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين، وانفرد مسلم بتسعة وستين، توفيت سنة ست أو سبع أو ثمان وخمسين من الهجرة، رضي الله عنها وأرضاها[1].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾[2]. إلى آخر الآيات، وهو قوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾[3].

هذه العشر الآيات كلها نزلت في شأن عائشة أم المؤمنين، رضي الله عنها، حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البحت والفرية التي غار الله تعالى لها ولنبيه، صلوات الله وسلامه عليه، فأنزل الله عز وجل براءتها صيانة لعرض الرسول، عليه أفضل الصلاة والسلام، فقال: {إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ} أي: جماعة منكم، يعني: ما هو واحد ولا اثنان، بل جماعة، فكان المقدم في هذه اللعنة عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين، فإنه كان يجمعه ويستوشيه، حتى دخل ذلك في أذهان بعض المسلمين، فتكلموا به، وجوزه آخرون منهم، وبقي الأمر كذلك قريبا من شهر، حتى نزل القرآن[4].

وحاصلها: أن النبي صلى الله عليه وسلم، في بعض غزواته، ومعه زوجته عائشة الصديقة بنت الصديق، فانقطع عقدها فانحبست في طلبه، ورحلوا جملها وهودجها، فلم يفقدوها، ثم استقل الجيش

---

(1) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ط٢، ٣ /١١٧– ١١٩.

(2) سورة النور، الآية: ١١.

(3) السورة السابقة، الآية: ٢٠.

(4) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٦ / ١٩.

راحلا، وجاءت مكانهم، وعلمت أنهم إذا فقدوها، رجعوا إليها فاستمروا في مسيرهم، وكان صفوان بن المعطل السلمي[1]، من أفاضل الصحابة رضي الله عنه، قد عرس[2] في أخريات القوم ونام، فرأى عائشة رضي الله عنها فعرفها، فأناخ راحلته، فركبتها من دون أن يكلمها أو تكلمه، ثم جاء يقود بها بعد ما نزل الجيش في الظهيرة، فلما رأى بعض المنافقين الذين في صحبة النبي صلى الله عليه وسلم، في ذلك السفر مجيء صفوان بها في هذه الحال، أشاع ما أشاع، ووشى الحديث، وتلقفته الألسن، حتى اغتر بذلك بعض المؤمنين، وصاروا يتناقلون هذا الكلام، وانحبس الوحي مدة طويلة عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وبلغ الخبر عائشة بعد ذلك بمدة، فحزنت حزنا شديدا، فأنزل الله تعالى براءتها في هذه الآيات، ووعظ الله المؤمنين، وأعظم ذلك، ووصاهم بالوصايا النافعة، فقوله تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ} أي: الكذب الشنيع، وهو رمي أم المؤمنين {عُصْبَةٌ مِّنكُمْ} أي: جماعة منتسبون إليكم يا معشر المؤمنين، منهم المؤمن الصادق في إيمانه، ولكنه اغتر بترويج المنافقين، ومنهم المنافق[3].

ثالثا: أم المؤمنين (حفصة بنت عمر الفاروق رضي الله عنهما):

هي حفصة بنت عمر بن الخطاب العدوية أم المؤمنين، بنت أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب، تزوجها النبي –صلى الله عليه وسلم– في سنة ثلاث من الهجرة، وتوفيت سنة إحدى وأربعين، عام الجماعة[4].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾﴾[5] الآيات.

---

(1) هو صفوان بن المعطل بن رحضة السلمي الذكواني، صحابي، شهد الخندق والمشاهد كلها، وحضر فتح دمشق، واستشهد بأرمينية، وقيل: في سميساط، الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ط١، ٥ / ٢٤٩.

(2) عرس هنا: من التعريس: نزول القوم في السفر من آخر الليل، يقعون فيه وقعة للاستراحة ثم يرتحلون. الجوهري، **الصحاح**، ط٤، ٤ / ٨٦.

(3) السعدي، **تيسير الكريم**، ط١، ١ / ٥٦٣.

(4) سمي هذا العام (عام الجماعة) لاجتماع كلمة المسليمن فيه. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ط٢، ٣ / ٢٠١– ٢٠٢.

(5) سورة التحريم، الآية: ١.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: يا أيها النبي المحرم على نفسه ما أحل الله له، يبتغي بذلك مرضاة أزواجه، لم تحرم على نفسك الحلال الذي أحله الله لك، تلتمس بتحريمك ذلك مرضاة أزواجك، واختلف أهل العلم في الحلال الذي كان الله جل ثناؤه أحله لرسوله، فحرمه على نفسه ابتغاء مرضاة أزواجه، فقال بعضهم: كان ذلك مارية مملوكته القبطية[1]، حرمها على نفسه بيمين أنه لا يقربها طلبا بذلك رضا حفصة بنت عمر زوجته، لأنها كانت غارت بأن خلا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في يومها وفي حجرتها[2].

وقيل: إن ذلك كان في تحريمه العسل[3]، كما في البخاري عند هذه الآية: عن عائشة قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يشرب عسلا عند زينب بنت جحش، ويمكث عندها، فتواطأت أنا وحفصة على: أيتنا دخل عليها، فلتقل له: أكلت مغافير[4]؟ إني أجد منك ريح مغافير، قال: "لا ولكني كنت أشرب عسلا عند زينب بنت جحش، فلن أعود له، وقد حلفت لا تخبري بذلك أحدا"[5].

واعلم أيها القارئ أن العلماء كما اختلفوا حول السبب الذي من أجله نزلت هذه الآيات، اختلفوا أيضا في الترجيح بينهما، فذهب بعضهم إلى الأخذ بالأول، لأنه الأليق والأنسب بسبب نزول الآية، وذهب آخرون إلى الأخذ بالثاني، لأنه الأصح من الأول، حيث رواه البخاري، ورجحه،

([1]) هي مارية بنت شمعون القبطية، أم إبراهيم، من سراري النبي صلى الله عليه وآله وسلم، مصرية الأصل، بيضاء، ولدت في قرية " حفن " من كورة " أنصنا " بمصر، وأهداها المقوقس القبطي (صاحب الاسكندرية ومصر) سنة ٧هـ إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، الحلبي، **السيرة الحلبية**، ٣ / ٤١٩.

([2]) القرطبي، **الجامع**، ط ١، ٢٣ / ٤٧٥.

(٣) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٨ / ١٦٠.

([4]) مغافير، (ج) مغفار، وهو صمغ حلو يسيل من شجر العرفط، يؤكل أو يوضع في ثوب ثم ينضح بالماء فيشرب. إبراهيم، **المعجم الوسيط**، ط ١، ٢ / ٦٥٦.

([5]) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ** ﴾ ١ / ٢٥٣٥، حديث رقم: ٤٩١٢.

وسلك فريق ثالث مسلك الجمع، وقال: هذان سببان صحيحان لنزول الآية، والجمع ممكن بوقوع القصتين: قصة العسل وقصة مارية، وأن القرآن نزل فيهما جميعا[1].

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾﴾[2].

قوله تعالى: (وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا) أي: واذكر إذ أسر النبي إلى حفصة حديثا" يعني تحريم مارية على نفسه واستكتامه إياها ذلك، وقيل: أسر إليها أن أباك وأبا عائشة يكونان خليفتي على أمتي من بعدي، وقيل: أسر أمر الخلافة بعده إلى حفصة، فذكرته حفصة[3]، والقولان الأخيران متقاربان، والأول أقرب، والله أعلم، فيظهر بذلك أن المراد ببعض أزواجه: حفصة بلا خلاف بين المفسرين.

قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾[4].

يقول تعالى ذكره: إن تتوبا إلى الله أيتها المرأتان فقد مالت قلوبكما إلى محبة ما كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم من اجتنابه جاريته، وتحريمها على نفسه، أو تحريم ما كان له حلالا مما حرمه على نفسه بسبب حفصة[5].

والخطاب للزوجتين الكريمتين من أزواجه صلى الله عليه وسلم عائشة وحفصة رضي الله عنهما، كانتا سببا لتحريم النبي صلى الله عليه وسلم على نفسه ما يحبه، فعرض الله عليهما التوبة، وعاتبهما على ذلك، وأخبرهما أن قلوبهما قد صغت أي: مالت وانحرفت عما ينبغي لهن، من الورع

---

(1) الشوكاني، **فتح القدير**، ط١، ٥ / ٣٥١.

(2) سورة التحريم، الآية: ٣.

(3) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ٢٣ / ٤٨٣.

(4) سورة التحريم، الآية: ٤.

(5) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ٢٣ / ٤٨٣.

والأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم واحترامه، وأن لا يشققن عليه، {وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ} أي: تعاونا على ما يشق عليه، ويستمر هذا الأمر منكن، {فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٞ} أي: الجميع أعوان للرسول، مظاهرون، ومن كان هؤلاء أعوانه فهو المنصور، وغيره ممن يناوئه مخذول، وفي هذا أكبر فضيلة وشرف لسيد المرسلين، حيث جعل الباري نفسه الكريمة، وخواص خلقه، أعوانا لهذا الرسول الكريم[1].

وإذ كان المخاطب مثنى كانت صيغة الجمع في (قلوب) مستعملة في الاثنين طلبا لخفة اللفظ عند إضافته إلى ضمير المثنى كراهية اجتماع مثنيين فإن صيغة التثنية ثقيلة لقلة دورانها في الكلام، فلما أمن اللبس ساغ التعبير بصيغة الجمع عن التثنية، وهذا استعمال للعرب غير جار على القياس، وذلك في كل اسم مثنى أضيف إلى اسم مثنى فإن المضاف يصير جمعا كما في هذه الآية[2].

رابعا: زيد بن حارثة رضي الله عنه:

هو زيد بن حارثة الكلبي، الأمير، الشهيد، النبوي، المسمى في سورة الأحزاب، سيد الموالي، وأسبقهم إلى الإسلام، وحب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأبو حبه، وما أحب -صلى الله عليه وسلم- إلا طيبا، ولم يسم الله -تعالى- في كتابه صحابيا باسمه إلا زيد بن حارثة، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لزيد بن حارثة: (يا زيد! أنت مولاي، ومني، وإلي، وأحب القوم إلي)[3].

ولما أمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أسامة على قوم، وطعن الناس في إمارته، قال: (إن تطعنوا في إمارته، فقد طعنتم في إمارة أبيه[4]، وأيم الله، إن كان لخليقا للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إلي، وإن ابنه هذا لأحب الناس إلي بعده)، عن عائشة رضي الله عنه: ما بعث رسول الله زيدا في جيش قط إلا أمره عليهم، ولو بقي بعده استخلفه، وعقد رسول الله -صلى الله عليه

---

(1) السعدي، **تيسير الكريم**، ط١، ١ / ٨٧٢.

(2) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ط١، ٢٨ / ٣٥٦. ٣٥٧.

(3) أخرجه أحمد في **المسند**، ١١١/٦٦، حديث رقم: ٢١٧٧٧. والحاكم في **المستدرك على الصحيحين**، ط١ ٣/ ٢٦١، وقال الحاكم: " هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه "

(4) يقصد النبي صلى الله عليه وسلم بأبيه هنا: نفسه عليه الصلاة والسلام، حيث كان يدعى رضي الله عنه ب: زيد بن محمد.

وسلم- لزيد على الناس في غزوة مؤتة[1]، وقدمه على الأمراء، فلما التقى الجمعان، كان الأمراء يقاتلون على أرجلهم، فأخذ زيد اللواء، فقاتل، وقاتل معه الناس حتى قتل طعنا بالرماح -رضي الله عنه-، فصلى عليه رسول الله - أي دعا له - وقال: (استغفروا لأخيكم، قد دخل الجنة وهو يسعى)، وكانت مؤتة في جمادى الأولى، سنة ثمان، وهو ابن خمس وخمسين سنة[2].

ورد ذكر الصحابي الجليل زيد بن حارثة ثلاث مرات، في الذكر الحكيم، مرة مصرحا باسمه، وقبل التصريح باسمه وصفه بالذي أنعم الله ونبيه صلى الله عليه وسلم عليه، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾[3].

معنى الآية: وإذ تقول -أيها النبي- للذي أنعم الله عليه بالإسلام -وهو زيد بن حارثة الذي أعتقه وتبناه النبي صلى الله عليه وسلم- وأنعمت عليه بالعتق: أبق زوجك زينب بنت جحش ولا تطلقها، واتق الله يا زيد، وتخفي -يا محمد- في نفسك ما أوحى الله به إليك من طلاق زيد لزوجه وزواجك منها، والله تعالى مظهر ما أخفيت، وتخاف المنافقين أن يقولوا: تزوج محمد مطلقة متبناه، والله تعالى أحق أن تخافه، فلما قضى زيد منها حاجته، وطلقها، وانقضت عدتها، زوجناكها؛ لتكون أسوة في إبطال عادة تحريم الزواج بزوجة المتبنى بعد طلاقها، ولا يكون على المؤمنين إثم وذنب في أن يتزوجوا من زوجات من كانوا يتبنونهم بعد طلاقهن إذا قضوا منهن حاجتهم، (وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا) لا عائق له ولا مانع، وكانت عادة التبني في الجاهلية، ثم أبطلت بقوله تعالى: { ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ }[4].

---

(١) غزوة مؤتة هي الغزوة التي وقعت في جمادى الأولى من السنة الثامنة للهجرة وسببها كما ذكره ابن القيم: "أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعث الحارث بن عمير الأزدي... بكتابه إلى الشام إلى ملك الروم أو بصرى فعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فأوثقه رباطا ثم قدمه فضرب عنقه، فاشتد ذلك على الرسول - صلى الله عليه وسلم - حين بلغه الخبر فبعث البعوث. **ابن كثير**، السيرة النبوية، ٣ / ٤٥٥، و**إرشاد السؤول إلى حروب الرسول**، ١ / ٧٩.

(٢) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ط٢، ١ / ١٨٨. ١٩٢.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٧.

(٤) مجموعة من العلماء، **التفسير الميسر**، ط٢، ٧ / ٣٤٧.

كما ذكر مرتين في خبر التبني، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾﴾[1].

قوله: {وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ}: نزل في شأن زيد بن حارثة مولى النبي صلى الله عليه وسلم، كان النبي صلى الله عليه وسلم قد تبناه قبل النبوة، وكان يقال له: "زيد بن محمد" فأراد الله تعالى أن يقطع هذا الإلحاق وهذه النسبة بقوله: {وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ} كما قال في أثناء السورة: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾[2]. وقال هاهنا: {ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ} يعني: تبنيكم لهم قول لا يقتضي أن يكون ابنا حقيقيا، فإنه مخلوق من صلب رجل آخر، فما يمكن أن يكون له أبوان، كما لا يمكن أن يكون للبشر الواحد قلبان، وقوله: {ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ}: هذا أمر ناسخ لما كان في ابتداء الإسلام من جواز ادعاء الأبناء الأجانب، وهم الأدعياء، فأمر الله تعالى برد نسبهم إلى آبائهم في الحقيقة، وأن هذا هو العدل والقسط[3].

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما؛ أن زيدا بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد، حتى نزل القرآن: {ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ}[4].

([1]) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤-٥.

([2]) السورة السابقة، الآية: ٤٠.

([3]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٦ / ٣٧٦. ٣٧٧.

([4]) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة الأحزاب، باب ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ ١١ / ٥٨٨، برقم: ٤٧٨٢.

خامسا: الثلاثة الذين خلفوا:

أولهم: كعب بن مالك رضي الله عنه:

هو كعب بن مالك بن أبي كعب عمرو الأنصاري، بن القين بن كعب بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري، الخزرجي، العقبي، الأحدي، شاعر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وصاحبه، وأحد الثلاثة الذين خلفوا، فتاب الله عليهم، شهد العقبة، وله عدة أحاديث، تبلغ الثلاثين، آخى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بين طلحة بن عبيد الله، وكعب بن مالك، وقيل: بل آخى بين كعب والزبير، يقول كعب عن نفسه: لما انكشفنا يوم أحد، كنت أول من عرف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وبشرت به المؤمنين حيا سويا، وأنا في الشعب، فدعا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كعبا بلأمته، وكانت صفراء، فلبسها كعب، وقاتل يومئذ قتالا شديدا حتى جرح سبعة عشر جرحا، وكان كعب من أهل الصفة[1]، واختلف في وفاته، فقيل: سنة أربعين، وقيل: خمسين، وقيل: إحدى وخمسين، فالله أعلم.

وثانيهم: مرارة بن الربيع:

هو مرارة بن الربيع العمري، من بني عمرو بن عوف، ولم يكن منهم صريحا، وإنما هو حليف لهم، وهو مرارة بن الربيع بن عمرو بن الحارث بن زيد بن الجد بن العجلان بن حارثة بن ضبيعة بن حرام[2].

وثالثهم: هلال بن أمية:

هو هلال بن أمية الواقفي، ابن عامر بن قيس بن عبد الأعلم بن عامر بن كعب بن واقف[3].

([1]) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ط٢، ٣ / ٤٥٦-٤٥٧.

([2]) السبكي، **الطناحي**، ط ١، ١٠ / ١١٣.

([3]) المصدر السابق، ١٠/ ١١٤.

نزل فيهم قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨﴾[1].

هذه الآية نزلت في كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، وكانوا فيمن تخلف عن تبوك من غير عذر، ثم لم يبالغوا في الاعتذار كما فعل البعض، ولم يوثقوا أنفسهم بالسواري؛ فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم، ونهى الناس عن كلامهم ومخالطتهم حتى نزل قوله: {وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ}[2].

وفي معنى «خُلِّفُواْ» قولان: أحدهما: خلفوا عن التوبة، فيكون المعنى: خلفوا عن توبة الله إذ لم يخضعوا كما خضع غيرهم، والثاني: خلفوا عن غزوة تبوك[3]، والمعنى الأول أرجح، بدليل قول كعب نفسه، قال رضي الله عنه: وكنا خلفنا -أيها الثلاثة -عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا، فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله أمرنا، حتى قضى الله فيه، فبذلك قال الله تعالى: {وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ} وليس تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا الذي ذكر مما خلفنا بتخلفنا عن الغزو، وإنما هو عمن حلف له واعتذر إليه، فقبل منه[4].

{حَتَّىٰٓ إِذَا} حزنوا حزنا عظيما، و {ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ} أي: على سعتها ورحبها {وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ} التي هي أحب إليهم من كل شيء، فضاق عليهم الفضاء الواسع، والمحبوب الذي لم تجر العادة بالضيق منه، وذلك لا يكون إلا من أمر مزعج، بلغ من الشدة والمشقة ما لا يمكن التعبير عنه، وذلك لأنهم قدموا رضا الله ورضا رسوله على كل شيء، {وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ} أي: تيقنوا وعرفوا بحالهم، أنه لا ينجي من الشدائد، ويلجأ إليه، إلا الله وحده لا شريك له، فانقطع تعلقهم بالمخلوقين، وتعلقوا بالله ربهم، وفروا منه إليه، فمكثوا بهذه الشدة نحو خمسين ليلة،

([1]) سورة التوبة، الآية: ١١٨.

([2]) ابن الجوزي، **زاد المسير**، ط٣، ٣ / ٢٣٠.

([3]) المصدر السابق، ٣ / ٢٤١.

([4]) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك وقول الله عز وجل ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ ٩ / ٥٦٨، و ١٠ / ٥٠٥. برقم: ٨٨٩، وبرقم: ٢٧٥٧.

{ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ} أي: أذن في توبتهم ووفقهم لها {لِيَتُوبُوا} أي: لتقع منهم، فيتوب الله عليهم، {إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ} أي: كثير التوبة والعفو، والغفران عن الزلات والعصيان، {الرَّحِيمُ} وصفه الرحمة العظيمة التي لا تزال تنزل على العباد في كل وقت وحين، في جميع اللحظات، ما تقوم به أمورهم الدينية والدنيوية[1].

سادسا: المرأة الواهبة نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٠﴾ ﴾[2].

قوله: {وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا} أي: ويحل لك -يأيها النبي- المرأة المؤمنة إذا وهبت نفسها لك أن تتزوجها بغير مهر إن شئت ذلك[3].

وفي المرأة التي وهبت له نفسها أقوال: أحدها: أم شريك[4]، والثاني: خولة بنت حكيم[5]، ولم يدخل بواحدة منهما، وقيل غير ذلك، والأول: أصح[6].

---

(1) السعدي، **تيسير الكريم**، ط١، ١ / ٣٥٤.

(2) سورة الأحزاب، الآية: ٥٠.

(3) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٦ / ٤٤٢.

(4) هي أم شريك الأنصارية النجارية، امرأة أنصارية، النجارية، ورد أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (إني أحب أن أتزوج في الأنصار؛ ثم إني أكره غيرتهن)، قال: فلم يدخل بها، نعم، وروى: عروة بن الزبير، عن أم شريك: أنها كانت فيمن وهبت نفسها للنبي -صلى الله عليه وسلم-. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ط٢، ٣ / ٢٢٥.

(5) عن ابن المسيب، عن خولة بنت حكيم، أنه كان النبي -صلى الله عليه وسلم- تزوجها؛ فأرجأها فيمن أرجأ من نسائه. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ط٢، ٣ / ٢٣١.

(6) ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، ط٣، ٥ / ١٤٣.

المطلب الرابع: أفراد المشركين والمنافقين، وعددهم تسعة:

أولا: أبو طالب (عم النبي صلى الله عليه وسلم):

هو أبو طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم، من قريش، والد علي (رضي الله عنه) وعم النبي صلى الله عليه وسلم وكافله ومربيه ومناصره، كان من أبطال بني هاشم ورؤسائهم، ومن الخطباء العقلاء، وله تجارة كسائر قريش، نشأ النبي صلى الله عليه وسلم في بيته، وسافر معه إلى الشام في صباه، ولما أظهر الدعوة إلى الإسلام هم أقرباؤه (بنو قريش) بقتله، فحماه أبو طالب وصدهم عنه، فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام، فامتنع خوفا من أن تعيره العرب بتركه دين آبائه[1].

قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾[2].

نزلت هذه الآية في أبي طالب، عند ما حضره أجله، وأراد النبي صلى الله عليه وسلم له الهداية، بل وحرص على ذلك أشد الحرص، فيقول تعالى لرسوله، صلوات الله وسلامه عليه: إنك يا محمد { إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ } أي: ليس إليك ذلك، إنما عليك البلاغ، والله يهدي من يشاء، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة، كما قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾[3]، وقال: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾[4]، وهذه الآية أخص من هذا كله؛ فإنه قال: { إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ } أي: هو أعلم بمن يستحق الهداية بمن يستحق الغواية، وقد ثبت في الصحيحين[5] أنها نزلت في أبي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كان يحوطه وينصره، ويقوم في صفه ويحبه حبا شديدا طبعيا لا شرعيا، فلما حضرته الوفاة

([1]) علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ط٤، ٥ / ١٧٣.

([2]) سورة القصص، الآية: ٥٦.

([3]) سورة البقرة، الآية: ٢٧٢.

([4]) سورة يوسف، الآية: ١٠٣.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب، ٥٢/٥ برقم ٣٨٨٤، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الوفاة ما لم يشرع في النزع، ٥٤/١، حديث رقم: ٣٩.

وحان أجله، دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان والدخول في الإسلام، فسبق القدر فيه، واختطف من يده، فاستمر على ما كان عليه من الكفر، ولله الحكمة التامة[1].

عن سعيد بن المسيب، عن أبيه –وهو المسيب بن حزن المخزومي[2]، رضي الله عنه –قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجد عنده أبا جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة[3]، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله"، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه، ويعودان له بتلك المقالة، حتى قال آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما إني لأستغفرن لك ما لم أنه عنك"، فأنزل الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ﴾[4]، وأنزل في أبي طالب: { إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ }[5].

([1]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٦ / ٢٤٦.

([2]) هو المسيب بن حزن بن أبي وهب، بن عمرو بن عايذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب أبو سعيد، وهو والد سعيد بن المسيب المخزومي، له صحبة، وهو ممن بايع تحت الشجرة، روى عن النبي صلى الله عليه و سلم هذا الحديث وعن أبيه؛ وشهد اليرموك، ابن منظور، **مختصر تاريخ دمشق**، ط١، ١ / ٣٢٨٩.

([3]) هو عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي فأسلم، وكان قبل إسلامه شديد العداوة له – عليه الصلاة والسلام – وللمسلمين، خرج مهاجرا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلقيه في الطريق بين السقيا والعرج مريدا مكة عام الفتح فتلقاه، فأعرض عنه عليه الصلاة والسلام، ثم تلقاه فأعرض عنه مرة أخرى، حتى دخل على أخته لأمه، أم سلمة، وسألها أن تشفع له، فشفعها فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأسلم وحسن إسلامه، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة مسلما وحنينا والطائف، فرمى يوم الطائف بسهم فقتل فمات شهيدا. العصامي، **سمط النجوم**، ط١، ١ / ١٧٩.

([4]) سورة التوبة، الآية: ١١٣.

([5]) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب، ٥٢/٥ برقم ٣٨٨٤، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الوفاة ما لم يشرع في النزع، ٥٤/١، حديث رقم: ٣٩.

ثانيا: أبو لهب (عم النبي صلى الله عليه وسلم) وزوجته أم جميل:

هو أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم، من قريش: عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأحد الأشراف الشجعان في الجاهلية، ومن أشد الناس عداوة للمسلمين في الإسلام. كان غنيا عتيا، كبر عليه أن يتبع دينا جاء به ابن أخيه، فآذى أنصاره وحرض عليهم وقاتلهم، وفيه نزل ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ وكان أحمر الوجه، مشرقا، فلقب في الجاهلية ب أبي لهب، مات بعد وقعة بدر بأيام ولم يشهدها، مات سنة ٢ هـ [١].

أنزل الله في أبي لهب وزوجته[٢] سورة كاملة خاصة بهما، جزاء وفاقا لعداوتهما للنبي صلى الله عليه وسلم، تلك السورة هي سورة المسد، بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾[٣].

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤﴾[٤]. خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا، فهتف: يا صباحاه! فقالوا: من هذا الذي يهتف؟ قالوا محمد، فاجتمعوا إليه. فقال: يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني فلان، فاجتمعوا إليه، فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل[٥] أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبا، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تبا لك!، أما جمعتنا إلا لهذا! ثم قام، فنزلت هذه السورة: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ فلما سمعت امرأته ما نزل في زوجها وفيها من القرآن، أتت رسول

---

(١) علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ط٤، ٥ / ٢٠٢.

(٢) هي أم جميل بنت أمية، أروى بنت حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، شاعرة جاهلية، من سادات نساء قريش، وهي أخت أبو سفيان بن حرب، وامرأة أبي لهب، وهي حمالة الحطب في قوله تعالى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾ . **تراجم شعراء الموسوعة الشعرية**، ط ١، ١ / ٩٠٦.

(٣) سورة المسد، الآية: ١-٥.

(٤) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

(٥) سفح الجبل: أسفله حيث يسفح فيه الماء، وهو مضطجعه. الجوهري، **الصحاح**، ط٤، ٢ / ٣٩٨.

الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد عند الكعبة، ومعه أبو بكر رضي الله عنه، وفي يدها فهر[1] من حجارة، فلما وقفت عليه أخذ الله بصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا ترى إلا أبا بكر، فقالت: يا أبا بكر، إن صاحبك قد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه، والله إني لشاعرة: مذمما عصينا ... وأمره أبينا ودينه قلينا

ثم انصرفت، فقال أبو بكر: يا رسول الله، أما تراها رأتك؟ قال: ما رأتني، لقد أخذ الله بصرها عني[2].

ثالثا: أبو جهل (الحكم بن هشام):

هو عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي: أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم في صدر الإسلام، وأحد سادات قريش وأبطالها ودهاتها في الجاهلية، وكان يقال له "أبو الحكم" فدعاه المسلمون "أبا جهل"[3].

نزلت في شأن أبي جهل آيات، أوضحها هذه الآيات في أربع سور:

١. قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[4] الآيات.

فهو القائل لهذا؛ قاله أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال أبو جهل: ﴿ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ فنزلت ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ

---

(١) الفهر (بالكسر): الحجر ملء الكف، وقيل الحجارة مطلقا.

(٢) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٨ / ٥١٦.

(٣) العصامي، **سمط النجوم**، ط١، ١ / ٢٦٧.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٣٢.

لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[1] الآية، وهو مخرج في الصحيحين[2].

٢. قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾[3]. أي: قولوا له ذلك على وجه التهكم والتوبيخ، أي لست بعزيز ولا كريم[4].

عن عكرمة قال: لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا جهل -لعنه الله- فقال: "إن الله تعالى أمرني أن أقول لك: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾﴾[5]. قال: فنزع ثوبه من يده، وقال: ما تستطيع لي أنت ولا صاحبك من شيء، ولقد علمت أني أمنع أهل البطحاء[6]، وأنا العزيز الكريم، قال: فقتله الله تعالى يوم بدر وأذله وعيره بكلمته، وأنزل: { ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ }[7].

٣. قال تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾[8].

([1]) سورة الأنفال، الآيتان: ٣٣-٣٤.

([2]) أخرجه البخاري **في** صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾، حديث رقم: ٤٦٤٨، ١١ / ٢٩٤، ومسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب قوله ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾، حديث رقم: ٢٧٩٦، ٤ / ٢١٥٤. وابن الجوزي، **زاد المسير**، ط٣، ٣ /١٠٤.

([3]) سورة الدخان، الآية: ٤٩.

([4]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٧ / ٢٦٠.

([5]) سورة القيامة، الآيتان: ٣٤-٣٥.

([6]) البطحاء بطن الوادي، البغدادي، **الأمالي في لغة العرب**، ط ١، ١ / ١٨٧.

([7]) السيوطي، **الدر المنثور**، ط ١، ٤١٨/٧، وهو مرسل.

([8]) سورة القيامة، الآية: ٣١-٣٥.

{فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ} «لا» هاهنا في موضع «لم»، قال المفسرون: هو أبو جهل {وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ} عن الإيمان {ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ} أي: رجع إليهم يتبختر ويختال، و«يَتَمَطَّىٰ» أي يتبختر، لأن الظهر هو المطا، فيلوي ظهره متبخترا، وقيل: أصله يتمطط، فقلبت الطاء فيه ياء، كما قيل: يتظنى، وأصله: يتظنن، ومنه المشية المطيطاء، وأصل الطاء في هذا كله دال، إنما هو مد يده في المشي إذا تبختر، يقال: مططت ومددت بمعنى[1].

وزعموا أن عدو الله أبا جهل أخذ نبي الله بمجامع ثيابه، ثم قال: "أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى" فقال عدو الله أبو جهل: أتوعدني يا محمد؟ والله لا تستطيع أنت ولا ربك شيئا، وإني لأعز من مشى بين جبليها[2].

٤. قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ۝١٩﴾[3].

نزلت هؤلاء الآيات في أبي جهل، لعنه الله، توعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصلاة عند البيت، فوعظه الله تعالى بالتي هي أحسن أولا فقال: {أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ} أي: فما ظنك إن كان هذا الذي تنهاه على الطريق المستقيمة في فعله، أو {أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ} بقوله، وأنت تزجره وتتوعده على صلاته؛ ولهذا قال: {أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ} أي: أما علم هذا الناهي لهذا المهتدي أن الله يراه ويسمع كلامه، وسيجازيه على فعله أتم الجزاء، ثم قال تعالى متوعدا ومتهددا: {كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ} أي: لئن لم يرجع عما هو فيه من الشقاق والعناد {لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ} أي: لنسمنها سوادا يوم القيامة، ثم قال: {نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ} يعني: ناصية أبي جهل كاذبة في مقالها خاطئة في فعالها، {فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ} أي: قومه وعشيرته، أي: ليدعهم يستنصر بهم، {سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ} وهم ملائكة العذاب، حتى يعلم من يغلب: أحزبنا أو

---

(1) ابن الجوزي، **زاد المسير**، ط٣، ٦ / ١٠٠.

(2) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٨ / ٢٨٣.

(3) سورة العلق، الآيات: ٩-١٩.

حزبه، وقوله: {كَلَّا لَا تُطِعْهُ} يعني: يا محمد، لا تطعه فيما ينهاك عنه من المداومة على العبادة وكثرتها، وصل حيث شئت ولا تباله؛ فإن الله حافظك وناصرك، وهو يعصمك من الناس، {وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب}[1].

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال أبو جهل: لئن رأيت محمدا يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: "لئن فعله لأخذته الملائكة"[2].

رابعا: العاص بن وائل السهمي:

هو العاص (أو العاصي) بن وائل بن هاشم السهمي، من قريش، أحد الحكام في الجاهلية، أدرك الإسلام، وظل على الشرك، ويعد من (المستهزئين) ومن (الزنادقة) الذين ماتوا كفارا وثنيين، وهو الذي منع عمر بن الخطاب من قريش، حين أظهر عمر الإسلام، وهو والد (عمرو بن العاص) الصحابي فاتح مصر، [3].

نزل في العاص آيات من القرآن، في جميعها خلاف، هل هي نزلت فيه خاصة، أم نزلت في غيره، وإن كان معلوما أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السب، وأصرح تلك الآيات قوله تعالى أواخر سورة مريم: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾[4].

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: (أَفَرَءَيْتَ) يا محمد (ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا) حججنا فلم يصدق بها، وأنكر وعيدنا من أهل الكفر، (وَقَالَ) وهو بالله كافر وبرسوله: (لَأُوتَيَنَّ) في الآخرة (مَالًا وَوَلَدًا)، ذكر أن هذه الآيات أنزلت في العاص بن وائل السهمي أبي عمرو بن العاص، عن

([1]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٨ / ٤٣٨- ٤٣٩.

([2]) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَـٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾﴾ حديث رقم ٤٩٥٨، ١٢/ ٣٥٩.

([3]) البغدادي، **تكملة الإكمال**، ط١، ١ / ١٢٥.

([4]) سورة مريم، الآيتان، ٧٧-٧٨.

خباب[1]، قال: كنت رجلا قينا[2]، وكان لي على العاص بن وائل دين، فأتيته أتقاضاه، فقال: والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث، قال: فقال: فإذا أنا مت ثم بعثت كما تقول، جئتني ولي مال وولد، قال: فأنزل الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾[3].... إلى قوله: ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾[4]، وعن ابن عباس، أن رجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يطلبون العاص بن وائل السهمي بدين، فأتوه يتقاضونه، فقال: ألستم تزعمون أن في الجنة فضة وذهبا وحريرا، ومن كل الثمرات؟ قالوا: بلى، قال: فإن موعدكم الآخرة، فو الله لأوتين مالا وولدا، ولأوتين مثل كتابكم الذي جئتم به، فضرب الله مثله في القران، فقال: (أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا).... إلى قوله: (وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾)[5].

وقوله تعالى آخر سورة الكوثر: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾[6].

قوله: {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ} أي: إن مبغضك -يا محمد- ومبغض ما جئت به من الهدى والحق والبرهان الساطع والنور المبين، هو الأبتر الأقل الأذل المنقطع ذكره، الذي لا عقب له، قال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة: نزلت في العاص بن وائل، وقد كان العاص بن وائل إذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: دعوه فإنه رجل أبتر لا عقب له، فإذا هلك انقطع ذكره، فأنزل الله هذه السورة[7].

---

(1) هو خباب بن الأرت التميمي، صحابي، من السابقين، قيل أسلم سادس ستة، وهو أول من أظهر إسلامه. كان في الجاهلية قينا يعمل السيوف، بمكة. ولما أسلم استضعفه المشركون فعذبوه ليرجع عن دينه، فصبر، إلى أن كانت الهجرة، ثم شهد المشاهد كلها، ونزل الكوفة، فمات فيها. الحلبي، **السيرة الحلبية**، ط١، ١ / ٤٨٢.

(2) القين: هو الحداد، والجمع القيون. ابن السكيت: يقال للحداد ما كان قينا، ولقد قان يقين قينا. الجوهري، **الصحاح**، ط٤، ٧ / ٣٥.

(3) سورة مريم، الآيتان: ٧٧-٧٨.

(4) السورة السابقة، الآية: ٨٠.

(5) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ١٨ / ٢٤٥- ٢٤٦.

(6) سورة الكوثر، الآية: ٣.

(7) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٨ / ٥٠٤.

قال الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن مبغض رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الأقل الأذل، المنقطع عقبه، فذلك صفة كل من أبغضه من الناس، وإن كانت الآية نزلت في شخص بعينه"[1].

خامسا: أبي بن خلف الجمحي:

هو أبي بن خلف الجمحي، أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بن خلف في الشعب يوم أحد، وهو يقول: أين محمد؟ لا نجوت إن نجا، فقالوا: يا رسول الله، يعطف عليه رجل منا؟! فقال صلى الله عليه وسلم: " دعوه "، فلما دنا، تناول – عليه الصلاة والسلام – الحربة، فلما أخذها – عليه الصلاة والسلام – انتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير إذا انتفض، ثم استقبله – عليه الصلاة والسلام – فطعنه طعنة – وقع عن فرسه، ولم يخرج له دم، فكسر ضلعا من أضلاعه، فلما رجع إلى قريش قال: قتلني محمد والله، قالوا: ليس عليك يا أبا علي من بأس، فقال: أليس كان قد قال لي بمكة: أنا أقتلك، فوالله، لو بصق علي لقتلني، نعم لقد كان أبي هذا يلاقي النبي صلى الله عليه وسلم بمكة، فيقول له: إن معي فرسا أعلفه كل يوم فرقا من ذرة أقتلك عليه، فيقول – عليه الصلاة والسلام – له: " بل أنا أقتلك عليه "، فذلك قول أبي: أليس قد قال لي... إلى آخره – فمات عدو الله بسرف[2] وهم قافلون به إلى مكة[3].

لقد نزل في أبي بن خلف آيات من القرآن الكريم، تخصه بالذكر، وذلك لعتوه وعناده الشديد، وشدة بغضه للرسول صلى الله عليه وسلم، من هذه الآيات قوله تعالى في أواخر سورة يس: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ

---

(1) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ٢٤ / ٦٥٨.

(٢) موضع يبعد عن مكة عشرة أميال على طريق المدينة قرب التنعيم. مجموعة من العلماء، **الموسوعة العربية العالمية**، ١

(3) العصامي، **سمط النجوم**، ط١، ١ / ٢٨٤.

﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾[1].

وذلك أن أبيا بن خلف الجمحي، أخذ عظما من البطحاء ففته بيده، ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أيحيي الله هذا بعد ما أرى؟ فقال: نعم، يميتك الله ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم، فنزلت هذه الآيات[2].

ومعنى الكلام: التعجب من جهل هذا المخاصم في إنكاره البعث؛ والمعنى : ألا يعلم أنه مخلوق فيتفكر في بدء خلقه فيترك خصومته؟! وقيل: هذا تنبيه له على نعمة الله عليه حيث أنشأه من نطفة فصار مجادلا، {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا} في إنكار البعث بالعظم البالي حين فته بيده، وتعجب ممن يقول: إن الله يحييه {وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥ} أي: نسي خلقنا له، أي: ترك النظر في خلق نفسه، إذ خلق من نطفة، {قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ}! أي: بالية يقال: رم العظم، إذا بلي، فهو رميم، لأنه معدول عن فاعله، وكل معدول عن وجهه ووزنه فهو مصروف عن إعرابه كقوله: ﴿وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴿٢٨﴾﴾[3]، فأسقط الهاء لأنها مصروفة عن (باغية)؛ فقاس هذا الكافر قدرة الله تعالى بقدرة الخلق، فأنكر إحياء العظم البالي، لأن ذلك ليس في مقدور الخلق، {قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ} أي: ابتدأ خلقها {أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ} من الابتداء والإعادة {عَلِيمٌ}، {ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا} أراد الزنود التي توري بها الأعراب من شجر المرخ والعفار، فإن قيل: لم قال: الشجر الأخضر ولم يقل: الشجر الخضر؟ فالجواب: أن الشجر جمع، وهو يؤنث ويذكر، قال الله تعالى: ﴿لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ﴿٥٣﴾﴾[4]، وقال: {فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ}، ثم ذكر ما هو أعظم من خلق الإنسان، فقال: {أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُم}؟ وهذا استفهام تقرير؛ والمعنى: من قدر على ذلك

---

(1) سورة يس، الآيات: ٧٧-٨٣.

(2) ابن الجوزي، **زاد المسير**، ط٣، ٥ / ٢٠١.

(3) سورة مريم، الآية: ٢٨.

(4) سورة الواقعة، الآية: ٥٣ .٥٤.

العظيم، قدر على هذا اليسير، ثم أجاب هذا الاستفهام فقال: {بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ} يخلق خلقا بعد خلق، {ٱلْعَلِيمُ } بجميع المعلومات، والملكوت والملك واحد[1].

سادسا: عقبة بن أبي معيط:

هو عقبة بن أبى معيط بن أبى عمرو بن أمية، ضرب رسول الله صلى الله عليه عنقه صبرا منصرفه من بدر،كان في الأسارى يوم بدر، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله، فقال: أأقتل دونهم؟ فقال، نعم، بكفرك وعتوك، فقال: من للصبية؟ فقال: النار، فقام علي رضي الله عنه فقتله، قتل يوم بدر صبرا، كان يستهزئ كثيرا بالنبي صلى الله عليه وسلم، ومن استهزائه به صلى الله عليه وسلم أنه كان يلقي القذر على بابه صلى الله عليه وسلم، وقد قال صلى الله عليه وسلم كنت بين شر جارين أبي لهب وعقبة بن أبي معيط إن كانا يأتيان بالفروث فيطرحانها على بابي، ومن استهزائه أنه بصق في وجه النبي صلى الله عليه وسلم، فعاد بصاقه على وجهه، وصار برصا[2].

نزل في عقبة آيات من التنزيل، بعضها مختلف في نزولها فيه، أو في غيره، منها هؤلاء الآيات: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ ﴾[3].

قوله تعالى: { وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ } في سبب نزوله ثلاثة أقوال:

أحدها: أن أبي بن خلف كان يحضر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجالسه من غير أن يؤمن به، فزجره عقبة بن أبي معيط عن ذلك، فنزلت هذه الآية، **والثاني:** أن عقبة دعا قوما فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لطعام فأكلوا، وأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأكل، وقال:

([1]) ابن الجوزي، **زاد المسير**، ط٣، ٥ / ٢٠١.

([2]) البغدادي، **المحبر**، ط ١، ١ / ١٥٧، والحلبي، **السيرة الحلبية**، ط٢، ١ / ٥٠٨. والفروث: الفرث بوزن الفلس: السرجين ما دام في الكرش، والجمع : فروث كفلوس. **المختار**، ٣٨٩. والحديث أخرجه ابن سعد عن عائشة، **كنز العمال**، ٩ / ٩٣.

([3]) سورة الفرقان، الآية: ٢٧.

«لا آكل حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله»، فشهد بذلك عقبة، فبلغ ذلك أبي بن خلف، وكان خليلا له، فقال: صبوت يا عقبة؟ فقال: لا والله، ولكنه أبى أن يأكل حتى قلت ذلك، وليس من نفسي، فنزلت هذه الآية، **والثالث**: أن عقبة كان خليلا لأمية بن خلف[1]، فأسلم عقبة، فقال أمية: وجهي من وجهك حرام إن تابعت محمدا، فكفر وارتد لرضى أمية، فنزلت هذه الآية، فأما الظالم المذكور هاهنا فهو الكافر، وفيه قولان: **أحدهما**: أنه أبي بن خلف، **والثاني**: عقبة بن أبي معيط[2]، وهو الظاهر لكثرة وروده في الروايات، حتى إن كثيرا من المفسرين لم يذكروا غيره، ولم يسميا في الآية لأنه أبلغ في الفائدة، ليعلم أن هذا سبيل كل ظالم قبل من غيره في معصية الله عز وجل، ويلاحظ أن هناك خلافا في خليله أهو أمية بن خلف؟ أم أبي بن خلف؟ فقال له خليله: لا أرضى حتى ترجع وتبصق في وجهه وتطأ عنقه وتقول كيت وكيت، ففعل عدو الله ما أمره به خليله، فأنزل الله عز وجل: " وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ" ولما بصق عقبة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع بصاقه في وجهه وشوى وجهه وشفتيه، حتى أثر في وجهه وأحرق خديه، فلم يزل أثر ذلك في وجهه حتى قتل، وعضه يديه فعل النادم الحزين لأجل طاعته خليله، (يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا) في الدنيا، يعنى طريقا إلى الجنة، (يَـٰوَيْلَتَىٰ) دعاء بالويل والثبور على مخالفة الكافر ومتابعته، (لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا) يعنى أمية، وكنى عنه ولم يصرح باسمه لئلا يكون هذا الوعد مخصوصا به ولا مقصورا، بل يتناول جميع من فعل مثل فعلهما، وقيل: الظالم عام في كل ظالم، وفلان: الشيطان، واحتج لصاحب هذا القول بأن بعده﴿ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِلْإِنسَـٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾[3].

وسيظل يوم القيامة يأكل يديه حتى تذهبا إلى المرفقين، ثم تنبتان، فلا يزال هكذا كلما نبتت يده أكلها ندامة على ما فعل[4].

ولقد أحسن من قال:

---

(1) هو أمية بن خلف بن وهب، من بني لؤي: أحد جبابرة قريش في الجاهلية، ومن ساداتهم، أدرك الإسلام، ولم يسلم، وهو الذي عذب بلالا الحبشي في بداية ظهور الإسلام، العصامي، **سمط النجوم العوالي**، ط١، ١ / ٢٦٨.

(2) ابن الجوزي، **زاد المسير**، ط٣، ٤ / ٤٧١.

(3) القرطبي، **الجامع**، ط ١، ١٣ / ٢٥-٢٦.

(4) ابن الجوزي، **زاد المسير**، ط٣، ٤ / ٤٧١.

تجنـــب قـــرين الســـوء واصـــرم[1] حبالـــه فإن لم تجد عنه محيصا فداره[2]

سابعا: النضر بن الحارث:

هو النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف، من بني عبد الدار، من قريش: صاحب لواء المشركين ببدر، كان من شجعان قريش ووجوهها، ومن شياطينها، له اطلاع على كتب الفرس وغيرهم، قرأ تاريخهم في "الحيرة "، وقيل: هو أول من غنى على العود بألحان الفرس، وهو ابن خالة النبي صلى الله عليه وسلم، ولما ظهر الإسلام استمر على عقيدة الجاهلية، وآذى رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا، وكان إذا جلس النبي صلى الله عليه وسلم مجلسا للتذكير بالله والتحذير من مثل ما أصاب الأمم الخالية من نقمة الله، جلس النضر بعده فحدث قريشا بأخبار ملوك فارس ونحوهم، ويقول: أنا أحسن منه حديثا! إنما يأتيكم محمد بأساطير الأولين، وشهد وقعة "بدر" مع مشركي قريش، فأسره المسلمون، وقتلوه بالأثيل (قرب المدينة) بعد انصرافهم من الوقعة[3].

نزل في الحارث بن النضر آيات، منها:

١. قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ۙ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾[4].

قوله تعالى: {وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا} ذكر أهل التفسير أن هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة، وأنه لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر قصص القرون الماضية، قال: لو شئت لقلت مثل هذا، وكان النضر يختلف إلى فارس تاجرا، فيسمع العباد يقرؤون الإنجيل[5].

---

(1) اصرم: فعل أمر من: صرم، صرمت الشيء صرما، إذا قطعته، وصرمت الرجل صرما، إذا قطعت كلامه. الجوهري، **الصحاح**، ط٤، ٦ / ٢٤٣.

(2) القرطبي، **الجامع**، ط ١، ١٣ / ٢٦. لم أجد البيت إلا في القرطبي، ولم ينسبه إلى قائل.

(3) السمعاني، **الأنساب**، ط١، ٣ / ١١٠، والعصامي، **سمط النجوم العوالي**، ١ / ٢٦٧.

(4) سورة الأنفال، الآية: ٣١.

(5) ابن الجوزي، **زاد المسير**، ط٣، ٣ / ١٠٣.

٢. قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٦ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٧ ﴾[1].

نزل في النضر بن الحارث، وذلك أنه كان تاجرا إلى فارس، فكان يشتري أخبار الأعاجم، فيحدث بها قريشا، ويقول لهم: إن محمدا يحدثكم بحديث عاد وثمود، وأنا أحدثكم بحديث الأكاسرة[2]، فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن، فنزلت فيه هذه الآية[3]، وقال مجاهد: يعني شراء القيان[4] والمغنين، ووجه الكلام على هذا التأويل من يشتري ذات لهو أو ذا لهو الحديث[5].

ثامنا: الوليد بن المغيرة المخزومي:

هو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو ابن مخزوم، أبو عبد شمس: من قضاة العرب في الجاهلية، ومن زعماء قريش، ومن زنادقتها، يقال له "العدل" لأنه كان عدل قريش كلها: كانت قريش تكسو "البيت" جميعها، والوليد يكسوه وحده، وكان ممن حرم الخمر في الجاهلية، وضرب ابنه هشاما على شربها، وأدرك الإسلام وهو شيخ هرم، فعاداه وقاوم دعوته، وهو الذي جمع قريشا وقال: "إن الناس يأتونكم أيام الحج فيسألونكم عن محمد، فتختلف أقوالكم فيه، فيقول هذا: كاهن، ويقول هذا: شاعر، ويقول هذا: مجنون، وليس يشبه واحدا مما يقولون، ولكن أصلح ما قيل فيه "ساحر" لأنه

([1]) سورة لقمان، الآيتان: ٦-٧.

([2]) الأكاسرة: جمع كسرى، ويطلق ذلك على ملوك الفرس، وآخر الأكاسرة مطلقا اسمه: يزدجرد بن شهريار بن برويز المجوسي الفارسي، انهزم من جيش عمر، فاستولوا على العراق، وانهزم هو إلى مرو وولت أيامه، ثم ثار عليه أمراء دولته وقتلوه سنة ثلاثين. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ط٢، ٢ / ١٠٩.

([3]) ابن الجوزي، **زاد المسير**، ط٣، ٥ / ١٠٥.

([4]) القيان بكسر الأول جمع القينة، والقينة بفتح الأول الأمة مغنية كانت أم غير مغنية. الحسينيي، **سلك الدرر**، ط٣، ٢ / ٣٠.

([5]) البغوي، **معالم التنزيل**، ط١، ٣ / ٥٨٤.

يفرق بين المرء وأخيه والزوج وزوجته ! " وهلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر، وهو والد سيف الله خالد ابن الوليد[1].

وردت آيات من القرآن الكريم، ذكر بعض المفسرين أنها نزلت في الوليد بن المغيرة، بينما يذكر آخرون أنها نزلت في أشخاص أخرى، منها هذه الآيات:

١. قوله تعالى في سورة القلم: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾[2].

قوله تعالى: {هَمَّازٍ} هو العياب، {مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ} أي : يمشي بين الناس بالنميمة، وهو نقل الكلام السيء من بعضهم إلى بعض ليفسد بينهم {مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ}: مناع للحقوق في ماله، {مُعْتَدٍ} أي: ظلوم {أَثِيمٍ} فاجر {عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ} أي: مع ما وصفناه به عات شديد غليظ جاف، {زَنِيمٍ} دعي في قريش وليس منهم، وهذا معروف في اللغة أن الزنيم: هو الملتصق في القوم وليس منهم، والله تعالى لم يبلغ من ذكر عيوب أحد ما بلغه من ذكر عيوب الوليد، لأنه وصفه بالحلف، والمهانة، والعيب للناس، والمشي بالنميمة، والبخل، والظلم، والإثم، والجفاء، والدعوة، فألحق به عارا لا يفارقه في الدنيا والآخرة[3].

وحاصل هذا، أن الله تعالى نهى عن طاعة كل حلاف كذاب، خسيس النفس، سيئ الأخلاق، خصوصا الأخلاق المتضمنة للإعجاب بالنفس، والتكبر على الحق وعلى الخلق، والاحتقار للناس، كالغيبة والنميمة، والطعن فيهم، وكثرة المعاصي، وهذه الآيات – وإن كانت نزلت في بعض المشركين، كالوليد بن المغيرة أو غيره لقوله عنه: {أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾} أي: لأجل كثرة ماله وولده، طغى واستكبر عن الحق، ودفعه حين جاءه، وجعله من

---

(1) الحلبي، **السيرة الحلبية**، ١ / ٥١٢، والبغدادي، **المحبر**، ط١، ١ / ١٠٨.

(2) سورة القلم، الآيات: ١٠-١٦.

(3) ابن الجوزي، **زاد المسير**، ط٣، ٦ / ٥٧.

جملة أساطير الأولين، التي يمكن صدقها وكذبها- فإنها عامة في كل من اتصف بهذا الوصف، لأن القرآن نزل لهداية الخلق كلهم، ويدخل فيه أول الأمة وآخرهم، وربما نزل بعض الآيات في سبب أو في شخص من الأشخاص، لتتضح به القاعدة العامة، ويعرف به أمثال الجزئيات الداخلة في القضايا العامة[1].

٢. قوله تعالى في سورة المدثر: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾﴾[2].

قوله: (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: كل يا محمد أمر الذي خلقته في بطن أمه وحيدا، لا شيء له من مال ولا ولد إلي. (وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا) هو الكثير الممدود، عدده أو مساحته، وجعلت له بنين شهودا، كانوا عشرة، ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾﴾[3].يقول تعالى ذكره: وبسطت له في العيش بسطا، ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾﴾[4].يقول تعالى ذكره: ثم يأمل ويرجو أن أزيده من المال والولد على ما أعطيته، (كَلَّآ) يقول: ليس ذلك كما يأمل ويرجو من أن أزيده مالا وولدا، وتمهيدا في الدنيا، (إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَٰتِنَا عَنِيدًا) يقول: إن هذا الذي خلقته وحيدا كان لآياتنا -وهي حجج الله على خلقه من الكتب والرسل- عنيدا، يعني معاندا للحق مجانبا له، كالبعير العنود، (سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا) يقول تعالى ذكره: سأكلفه مشقة من العذاب لا راحة له منها، وقيل: إن الصعود جبل في النار يكلف أهل النار صعوده، (إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ)، زعموا أنه قال: والله لقد نظرت فيما قال هذا الرجل، فإذا هو ليس له بشعر، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه ليعلو وما يعلى، وما أشك أنه سحر، فأنزل الله فيه: (فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ...) الآية، يقول تعالى ذكره: إن هذا الذي خلقته وحيدا، فكر فيما أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن، وقدر فيما يقول فيه (فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ) يقول: ثم لعن كيف قدر النازل فيه (ثُمَّ نَظَرَ) يقول: ثم روى في ذلك (ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ) يقول: ثم قبض ما بين عينيه (وَبَسَرَ) يقول: كلح وجهه، عن عكرمة، أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله

---

(1) السعدي، **تيسير الكريم**، ط١، ١ / ٨٧٩.

(2) سورة المدثر، الآيتان: ١١-١٢.

(3) السورة السابقة، الآية: ١٤.

(4) السورة السابقة، الآية: ١٥.

عليه وسلم، فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل، فقال: أي عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا، قال: لم؟ قال: يعطونكه، فإنك أتيت محمدا تتعرض لما قبله، قال: قد علمت قريش أني أكثرها مالا، قال: فقل فيه قولا يعلم قومك أنك منكر لما قال، وأنك كاره له؛ قال: فما أقول فيه؟ فوالله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه مني، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، ووالله إن لقوله لحلاوة، وإنه ليحطم ما تحته، وإنه ليعلو ولا يعلى، قال: والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر فيه؛ فلما فكر قال: هذا سحر يأثره عن غيره، فنزلت: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ حتى بلغ ﴿تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ وعن ابن عباس، قوله: (إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ...) إلى ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ قال: دخل الوليد بن المغيرة على أبي بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه، يسأله عن القرآن، فلما أخبره خرج على قريش فقال: يا عجبا لما يقول ابن أبي كبشة[1]، فو الله ما هو بشعر، ولا بسحر، ولا بهذي من الجنون، وإن قوله لمن كلام الله، فلما سمع بذلك النفر من قريش ائتمروا وقالوا: والله لئن صبأ[2] الوليد لتصبأن قريش، فلما سمع بذلك أبو جهل قال: أنا والله أكفيكم شأنه، فانطلق حتى دخل عليه بيته، فقال للوليد: ألم تر قومك قد جمعوا لك الصدقة، قال: ألست أكثرهم مالا وولدا؟ فقال له أبو جهل: يتحدثون أنك إنما تدخل على ابن أبي قحافة لتصيب من طعامه، قال الوليد: أقد تحدثت به عشيرتي، فلا يقصر عن سائر بني قصي، لا أقرب أبا بكر ولا عمر ولا ابن أبي كبشة وما قوله إلا سحر يؤثر، فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم: (**ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا**...) إلى ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾﴾[3][4].

---

(1) كانت قريش تنسب النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي كبشة فيقولون " قال ابن أبي كبشة " و " فعل ابن أبي كبشة "، لأن (وهب) بن عبد مناف بن زهرة، أبا آمنة كان يكنى أبا كبشة. البغدادي، **المحبر**، ط ١، ١ / ١٢٩.

(2) صبأ: يصبأ صبأ وصبوءا وصبؤ يصبؤ صبأ وصبوءا، كلاهما خرج من دين إلى دين آخر، كما تصبأ النجوم، أي تخرج من مطالعها، وكان يقال للرجل إذا أسلم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قد صبأ. محمد بن مكرم بن منظور، **لسان العرب**، ط٣، ١ / ١٠٧.

(3) سورة المدثر، الآية: ٢٨.

(4) الطبري، **جامع البيان**، ط١، ٢٣ / ١٩ – ٢٥.

تاسعا: عبد الله بن أبي بن سلول:

هو عبد الله بن أبي بن سلول "من زعماء الخزرج، من بني الحبلى، وسلول: اسم جدته لأبيه، كان رجلا شريفا في يثرب[1]، لا يختلف عليه في شرفه من قومه اثنان، ولم تجتمع الأوس والخزرج قبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين غيره، وكان قومه قد نظموا له الخرز ليتوجوه ثم يملكوه عليهم، فما راعه إلا مجيء الإسلام إلى يثرب، وقدوم الرسول إليها، فانصرف قومه عنه، فضغن على الإسلام، ورأى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد استلبه ملكه، مرض عبد الله بن أبي بن سلول في أواخر شوال، ومات في ذي القعدة، وكان مرضه عشرين ليلة، في السنة التاسعة من الهجرة، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوده فيها، فلما كان اليوم الذي مات فيه صلى عليه الرسول صلى الله عليه وسلم واستغفر له، فنهاه ربه عن ذلك[2].

نزلت آيات في رأس المنافقين خصصت به، لتأثيره البالغ في نفوس المنافقين، وفشو شره وكيده وحقده ومكره على المسلمين، من هذه الآيات قوله تعالى:

١. ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾[3].

أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبرأ من المنافقين، وألا يصلي على أحد منهم إذا مات، وألا يقوم على قبره ليستغفر له أو يدعو له؛ لأنهم كفروا بالله ورسوله، وماتوا عليه، وهذا حكم عام في كل من عرف نفاقه، وإن كان سبب نزول الآية في عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين، كما روى بذلك البخاري، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: لما توفي عبد الله –هو ابن أبي –جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه، فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه، فقام عمر، فأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما خيرني الله فقال: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن

(١) يثرب: اسم المدينة المشرفة. العظيم آبادي، **عون المعبود**، ط٢، ٩ /٣٣٠.

(٢) الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ط٢، ٢ / ٦٥٩، و جواد، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ط٤، ٦ / ٤٦٩،.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٨٤.

نَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾[1]. وسأزيده على السبعين"، قال: إنه منافق! قال: فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله عز وجل آية: { وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ }[2].

٢. قوله تعالى في سورة المنافقون: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾[3].

روى البخاري عن زيد بن أرقم[4] قال: كنت مع عمي فسمعت عبد الله بن أبي بن سلول يقول: {لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ"} وقال:{لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ}، فذكرت ذلك لعمي فذكر عمي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبد الله بن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا، فصدقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبني، فأصابني هم لم يصبني مثله، فجلست في بيتي فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾[5] إلى قوله- ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ فأرسل إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: (إن الله قد صدقك)[6].

---

(1) سورة التوبة، الآية: ٨٠.

(2) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، ٤ / ١٩٢- ١٩٣، وأخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب سورة المنافقون، حديث رقم ٤٩٠١، ٢١٦/١٢.

(3) سورة المنافقون، الآيتان: ٧ . ٨.

(4) هو زيد بن أرقم الخزرجي الأنصاري، صحابي، غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم سبع عشرة غزوة، وشهد صفين مع علي، ومات بالكوفة، له في كتب الحديث ٧٠ حديثا، توفي سنة ٦٨هـ = ٦٨٧م. الصقدي، **الوافي بالوفيات**، ط١، ٤ / ٤٩٩.

(٥) سورة المنافقون، الآية: ١.

(6) القرطبي، **الجامع**، ط١، ١٨ / ١٢٠- ١٢١.

وبهذا ينتهي هذا البحث المتواضع، وأسأل الله المولى العلي القدير أن يجعلنا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، الذين هداهم الله وهم أولو الألباب، وأن يررزقنا حسن الخاتمة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الخاتمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، له الحمد أولا وآخرا، وله الشكر على ما أولى، وقدر ويسر، وأساله المزيد من آلائه ونعمائه، وأطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين، وأن يقيل عثراتي وهفواتي في بحثي وفي أموري كلها، وأرجو أن يكلل الله هذا الجهد المقل بالنجاح، ويجزي جميع المساهمين فيه خيرا.

وفيما يلي أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث:

١. الوصول إلى تعريف الدعوة، ومحورها وعناصرها وأساليبها وأهدافها.
٢. التعرف على الخطاب الإعلامي ومحوره وأنواعه وأهدافه.
٣. الكشف عن الحكمة من الحوار القرآني، واستخراج الأساليب والمناهج التي تعامل الله بها الأمم.
٤. التعرف على الفرز القرآني للأمم في توجيه الخطابات، والتعرف على حيثياته.
٥. الوصول إلى جمع هذه العناصر وبيانها والاستفادة منها في حل بعض مشاكل الدعوة.
٦. أن القرآن الكريم قد استعمل أقوى البراهين في حواره للوصول إلى معرفة الحق على أساس الحوار الإقناعي، وليس على أساس القهر والإكراه.
٧. أن الحوار في القران الكريم له صلة بثلاثة ألفاظ، وهي: الجدل والمحاجة والمراء، وعند التأمل يظهر أن الحوار أوسع دلالة من الجدل؛ فكل جدل حوار وليس كل حوار جدلا، وأن كثرة ترداد الجدل في القرآن كان أكثر من الحوار.
٨. أنه يمكن تعريف منهج القرآن باعتباره مركبا إضافيا، كما يمكن تعريفه باعتباره طريقة معينة، فأما تعريفه باعتباره مركبا إضافيا، فعلى أساس أنها كلمة مركبة من كلمتين، هما: منهج، والقرآن، وأما تعريف منهج القرآن باعتباره طريقة معينة، فالمراد به: تلك الطرق والوسائل والأساليب التي سلكها القرآن لتحقيق أهداف معينة، وأعني بها هنا خاصة: في التعامل مع الأمم السابقة، كالحوار والدعوة والتخاطب.

٩. أن للدعوة في اللغة معاني عديدة، أهمها: الدعاء، والنداء، والصياح، والإمالة، والاستمالة، والترغيب، والحض، والحث على قصد الشيء، وثم معان أخرى للدعوة في اللغة، غير أنها ترجع كلها إلى معنى واحد، كالتمني، والطلب، والزعم، وغير ذلك.

١٠. أن الدعوة في الاصطلاح لا تخلو من حالتين: إما أن تكون الدعوة قاصرة على إيصال الفكرة، أو يدخل فيها سلوك والتزام الداعي بما يدعو إليه، فتعرف من حيث كونها دعوة: تبليغ الإسلام، والحث على الدخول فيه، أو التزامه؛ من خلال الأساليب والوسائل المأذون بها شرعا، وإذا انضم إلى الدعوة سلوك والتزام الداعية، يكون التعريف للدعوة: تبليغ الإسلام، والحث على الدخول فيه، أو التزامه، وتعليمه، والتربية على معانيه، من خلال الأساليب والوسائل المأذون بها شرعا، والتزام ذلك في حياة الداعي.

١١. أن مفهوم الإعلام الإسلامي هو إعلام عام في محتواه ووسائله يلتزم في كل ما ينشره أو يذيعه أو يعرضه على الناس بالتصور الإسلامي للإنسان والكون والحياة المستمدة أساسا من القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية وما ارتضته الأمة من مصادر التشريع في إطارها.

١٢. ينهج العلماء في تحديد أنواع الخطاب الإعلامي منهجين اثنين، فهناك من ينظر إلى الخطاب من حيث الباعث والدافع منه، وهناك من ينظر إليه من حيث واقعه وحقيقته، فيكون للخطاب أنواع مختلفة تتعدد بحسب الغاية منه والمجال الموجه إليه، فمن اعتبر الخطاب من حيث الباعث قسم الخطاب الإعلامي إلى الخطاب العاطفي والخطاب الاجتماعي والفكري والثقافي والسياسي، ومن اعتبر الخطاب من حيث عرضه وواقعه فإنه ينقسم الخطاب الإعلامي إلى إيجابي وسلبي.

١٣. أن القرآن الكريم بين المنهجية الصحيحة في نقل الأخبار والمعلومات، وهي أن يسند الأمر إلى أهله، فيتولى ذلك من هو أحق الناس به من حيث العدالة والضبط والحكمة في طريقة النقل، وأن ذلك هو السب الذي يحفظ سلامة المجتمع من الزلق والردى، وأما إذا أسند الأمر إلى عامة الناس وغبر المؤهلين، فإنهم ينشرونها بطرق غير ملائمة، تؤدي إلى خلل كبير في المجتمع، وربما أدى ذلك إلى الفوضى والبلوى.

١٤. أن لفظ الأمة ورد في نص القرآن على عشرة أوجه: الصنف، السنين، القدوة أو الجامع للخير، الملة، القرون الماضية، القوم بلا عدد، القوم المعدود، الزمان الطويل، الكفار، أهل الإسلام.

١٥. أن الله سبحانه وتعالى تحدث عن الأمم السالفة بأساليب متعددة وطرق متنوعة، فأحيانا يتناول الحديث بشكل عام، فيتحدث عنها في الجملة، ويشركهم في القضايا العامة التي تعم جميعهم، وتارة يأتي على أمم خاصة، فيخصصهم بالذكر، وذلك لما اختصوا به دون سائر الأمم، وطورا يركز على أفراد بأعيانها، إما لكونهم رؤساء الأقوام، وإما لأنهم كانت لهم مواقف بارزة في تلك الأمم، أو يخصص جنسا معينا، وكل ذلك لأخذ العبرة والعظة والاستفادة من دروس الآخرين، لأن الإنسان مهما كان لا يخلو من أن يكون واحدا من تلك الأنواع السالفة الذكر، فيأخذ دروسا من تلك القصص التي هو من نوعها.

١٦. أن الله ذكر قوم نوح في ثمانية عشر موضعا من القرآن الكريم، وقوم هود في أربعة عشر موضعا، ذكروا باسم عاد ١٤ مرة فيها، وباسم قوم هود مرتين، وذكر قوم صالح في خمسة عشر موضعا من الذكر الحكيم، ذكروا باسم ثمود في جل المواضع، كما ذكروا قليلا باسم قوم صالح، وبأصحاب الحجر في موضع واحد، فيما ذكر قوم إبراهيم في تسعة مواضع، أما قوم لوط فقد ذكروا في خمسة عشر موضعا من القرآن الكريم، وذكر قوم شعيب في اثني عشر موضعا من القرآن الكريم، وقد سلك القرآن في ذكرهم مسلكين: تارة يذكرهم باسم مدين، وتارة يذكرهم باسم أصحاب الأيكة.

١٧. أن الله ذكر قوم موسى أحيانا بقوم موسى، وأحيانا ببني إسراء يل، وتارة بقوم فرعون، وحينا بأهل الكتاب، وطورا بالذين هادوا أو اليهود، فإذا كان الحديث عن القوم الذين آمنوا بموسى في عصره كان ذكرهم بقوم موسى، وإذا كان الحديث عن الذين أنكروا رسالة موسى عليه السلام وبقوا مع فرعون كان ذكرهم بقوم فرعون، وإن كانوا من قوم موسى في كونه مرسلا إليهم، وإذا كان الحديث عنهم في عصر النبي صلى الله عليه وسلم كان ذكرهم ببني إسراء يل في أغلب الأحوال، أو اليهود أو الذين هادوا، كل ذلك عند ما يكون الحديث خاصا بقوم موسى، أما إذا كان الحديث عاما في اليهود والنصارى كان ذكرهم بأهل الكتاب غالبا.

١٨. قد ورد ذكرهم بقوم موسى في عشرة مواضع من القرآن الكريم، وأما قوم فرعون فكان ذكرهم في ثلاثة مواضع، أما الحديث عن بني إسراء يل فحدث ولا حرج، فقد كان لهم ذكر كثير، وفي آيات مستفيضة، في ستة وثلاثين موضعا من القرآن الكريم، وأما ذكرهم بأهل الكتاب فقد ورد في اثنين وثلاثين موضعا من القرآن، وأما الحديث عنهم بالذين هادوا فقد جاء في عشرة مواضع من الذكر الحكيم، وأما ذكرهم باليهود فقد أتى في ستة مواضع، وأما ذكرهم بالهود فقد ورد ذلك في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم.

١٩. قد ذكر الله النصارى باسم النصارى في ثمانية مواضع فقط من القرآن الكريم، ويشاركون اليهود فيما ورد بأهل الكتاب.

٢٠. ذكر الله قوم تبع في موضعين اثنين من كتابه العزيز، كما صرح باسم قريش في السورة التي خصصها لهم، وهي سورة قريش، وبين في ثلاثة مواضع من كتابه العزيز بأن قريشا قوم النبي صلى الله عليه وسلم، حيث أضافهم إليه صلى الله عليه وسلم.

٢١. لقد خص الله سورة واحدة من الذكر الحكيم، سماها باسم المنزل عليه القرآن الكريم، هي سورة محمد، كما ورد التصريح بذكر محمد صلى الله عليه وسلم أربع مرات في الكتاب العزيز، ووصفه بالرسالة في ١٢٧ موضعا، في ٢٣ سورة، ووصفه بالنبوة قي ٣٢ موضعا، في ثماني سور.

٢٢. وجه الله الخطاب إلى عموم الناس، مؤمنهم وكافرهم، في عشرين موضعا، فيما خصص بالخطاب في كتابه الكريم في تسعة وثمانين موضعا، ولم يخصص الكفار بتوجيه الخطاب إليهم في كتابه الكريم إلا في موضع واحد فقط، ولذلك لقلة اعتبارهم وأهميهم عنده، حيث إنهم كفروا بالله وبرسوله، ولم يقوموا بالواجب الذي عليهم، ولم يستفيدوا من عموم الخطابات، التي وجهها الله إليهم فيها، للاتعاظ والاعتبار.

يتلخص المنهج القرآني في التعامل مع الغير بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، فقد خاطب كلا بما يناسبه وبالأسلوب المناسب، وجادل بالتي هي أحسن، وحاور من أجل الوصول إلى الحق ورد الباطل عن اقتناع عقلي وارتياح نفسي.

تتخلص مشاكل مناهج الدعوة في الأمور التالية:

١/ عدم التعرف على المناهج الصحيحة في الدعوة.
٢/ عدم التعرف على القواعد والأسس السليمة في الدعوة.
٣/ عدم التعرف على أساسيات الدعوة، كمحور الدعوة وعناصرها وأساليبها و أهدافها.
٤/ عدم الاهتداء بالهدي الرباني والنبوي في الدعوة، كالبدء بالأهم فالأهم، والتدرج المنطقي السليم.
٥/ عدم الاقتداء بمنهج السلف الصالح رضوان الله عليهم، وفهم النصوص وفق فهمهم.

كانت تلكم أهم النتائج التي توصل إليها هذا البحث المتواضع، غير أن الباحث . مع حرصه ومحاولته . لا يدعي الحصر فيما ذكر، فقد يفوته بعض الأشياء عن غير قصد، ويجزي الله خيرا كل من يذكره بشيء نسيه، أو ينبه إلى شيء قد غفل عنه، أو يتمم له شيئا قد نقصه، والله ولي التوفيق والهادي إلى سواء السبيل.

الاقتراحات:

١. أرجو من كل واقف على هذا البحث إخلاص دعوة لي من صميم قلبه.
٢. أرجو من كل قارئ لهذا البحث أو جزء منه ألا يبخل علي بما يراه مناسبا لتتويجه.
٣. أرجو من الباحثين البحث حول الأجزاء المتعلقة بهذا البحث، والتي لم يتسن لي التفصيل فيها، وهي كالتالي:

أ) نداءات المؤمنين في القرآن الكريم.

ب) نداءات عموم الناس في القرآن الكريم.

ج) نداءات أهل الكتاب في القرآن الكريم.

د) الفرز القرآني للأمم.

هـ) من نزل فيه قرآن.

و) منهج القرآن في الرد على مقترحات الأمم على رسلهم.

ز) أقوام الأنبياء في القرآن الكريم.

هذا ما تيسر لي كتابته حول الموضوع، والله أسأل أن يستخدمنا في نصرة دينه ودعوته، وأن يجعلنا سببا في هداية الآخرين، وأن يحشرنا في زمرة سيد الدعاة العاملين، وأن ينفع بهذا البحث، ويجزي الجميع خير الجزاء ويوفقهم لكل خير، وأن يحفظ بلاد المسلمين من كل سوء ومكروه، وأن يديم أمنها ورخاءها واستقرارها، وأن يعم بالخير جميع المسلمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس الآيات:

م	رأس الآية	الصفحة
	سورة البقرة	
١.	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ .... أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾.	١٩
٢.	﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ .... ﴿٤٤﴾﴾.	٢١
٣.	﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا ....﴿١١١﴾﴾.	٢٩
٤.	﴿تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ .... ﴿١٣٤﴾﴾.	٦٣
٥.	﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ ....وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾	١١٨
٦.	﴿أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ ....وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿١٤٠﴾﴾	١٢٠
٧.	﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا ....عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٤١﴾﴾.	٦٣
٨.	﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٤٢﴾﴾	٨٧
٩.	﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ ....﴾.	٨٦
١٠.	﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ ....﴿١٩٧﴾﴾	٢٨
١١.	﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ....﴿٢١٣﴾﴾.	٣٧
١٢.	﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا عَرَّضۡتُم بِهِۦ مِنۡ خِطۡبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾.	٤٠
١٣.	﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٞ ....﴿٢٤٣﴾﴾	١٩٠
١٤.	﴿وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗا ....﴿٢٤٧﴾﴾	١٤٦
١٥.	﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ .... وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾.	١٠٥
١٦.	﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ ....﴿٢٥١﴾﴾	١٤٦
١٧.	﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ ﴿٢٥٨﴾﴾	١٢٩
١٨.	﴿أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا .... ﴿٢٥٩﴾﴾.	١٩٢
١٩.	﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾.	٢٢١

سورة آل عمران		
٢٠.	﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ ....إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾.	١٨٧
٢١.	﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ ....بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾.	١٨٨
٢٢.	﴿ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ .... ﴿٥٢﴾﴾.	١٠٩
٢٣.	﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ ....﴿٨٤﴾﴾.	١٢٠
٢٤.	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ....﴿١٠٢﴾﴾.	١
٢٥.	﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ .... لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾.	٨٣
٢٦.	﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ .... ﴿١١٠﴾﴾.	٨٨
٢٧.	﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ....﴿١٦٤﴾﴾	٣٧
سورة النساء		
٢٨.	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ....﴾.	١
٢٩.	﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ....﴿١٣﴾﴾.	٣٦
٣٠.	﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ ....﴿١٤﴾﴾.	٣٦
٣١.	﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ ﴾.	٢٧
٣٢.	﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا ﴾.	٧٨
٣٣.	﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ ....﴿٤١﴾﴾.	٧٨
٣٤.	﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ ﴾.	٢٧
٣٥.	﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ ....﴾.	٥٠
٣٦.	﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ ....﴿١٦٣﴾﴾.	١٢٠
٣٧.	﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ ....﴾.	٣٤
سورة المائدة		
٣٨.	﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ ....﴾.	١٩٠
٣٩.	﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ....﴾.	١٢٤
٤٠.	﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ ....﴾.	٩

٤١.	﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ....﴾.	١٩٠
٤٢.	﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ....﴾.	١٩٠
	سورة الأنعام	
٤٣.	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ .... مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾.	٦٤
٤٤.	﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾.	٣٦
٤٥.	﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ﴿٥٣﴾﴾.	٨٧
٤٦.	﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ .... ﴿٦٦﴾﴾	١١٥
٤٧.	﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ .... فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴿١٠٨﴾﴾.	٦٩
٤٨.	﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ .... ﴿١٢٥﴾﴾.	٧٣
	سورة الأعراف	
٤٩.	﴿﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ .... ﴿٤٩﴾﴾.	١١٧
٥٠.	﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ ....﴿٦٩﴾﴾.	٩٥
٥١.	﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ ....﴿٧٤﴾﴾.	٩٨
٥٢.	﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ....فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾	٩٨
٥٣.	﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾﴾.	١٥٢
٥٤.	﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ....﴿٨٥﴾﴾.	١٠٤
٥٥.	﴿وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ....﴿٨٦﴾﴾	٩١
٥٦.	﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا ....﴿١١٣﴾﴾.	١٧٩
٥٧.	﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ ....وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾.	١٧٩
٥٨.	﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾.	١٨٠
٥٩.	﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا ....﴿١٢٣﴾﴾.	١٨٠
٦٠.	﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾﴾.	١٨١
٦١.	﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴿١٥٦﴾﴾.	١٠٦

٦٢.	﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ...﴿١٥٨﴾﴾.	٢٣
٦٣.	﴿أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾.	٧١
سورة الأنفال		
٦٤.	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ....﴿٢٤﴾﴾.	٣٤
٦٥.	﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ .... ﴿٢٦﴾﴾.	٩١
٦٦.	﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا ....﴿٣١﴾﴾.	٢٣٣
٦٧.	﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّٰهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ ....﴿٣٢﴾﴾.	٢٢٤
٦٨.	﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ .... عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾.	٢٢٥
٦٩.	﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ ....﴾.	٣٢
٧٠.	﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾.	٥٨
سورة التوبة		
٧١.	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾	٣٧
٧٢.	﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ ....﴿٤٠﴾﴾.	٢٠٧
٧٣.	﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ ....﴿٦٢﴾﴾.	٢٠٨
٧٤.	﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ .... ﴿٧٠﴾﴾.	١٠٤
٧٥.	﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾	٢٣٩
٧٦.	﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾	٢٣٨
٧٧.	﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ....﴿١٠٠﴾﴾.	٢٠٥
٧٨.	﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ ....﴿١١٧﴾﴾.	٢٠٥
٧٩.	﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ....﴿١١٨﴾﴾.	٢١٩
٨٠.	﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ....﴿١٢٨﴾﴾.	٢٢
سورة يونس		
٨١.	﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ ....﴿١٩﴾﴾.	٥٨

٨٢.	﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ ....(٤٧)﴾.	٧٤
	سورة هود	
٨٣.	﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ (٤٦)﴾.	٢٦
٨٤.	﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ ....(٤٨)﴾.	٩٤
٨٥.	﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ ....(٧٠)﴾.	١٠٧
٨٦.	﴿.... أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨١)﴾.	١٥٣
٨٧.	﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا ....وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ (٨٣)﴾.	١٠٢
٨٨.	﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ....(٨٨)﴾	٢٠
٨٩.	﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ (٨٩)﴾	١٧٣
٩٠.	﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً ....وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١١٩)﴾.	٦٠
	سورة يوسف	
٩١.	﴿إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ ....(٤)﴾.	١١٧
٩٢.	﴿۞ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ (٧)﴾.	١١٨
٩٣.	﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى ....(٢١)﴾.	١٣٨
٩٤.	﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ (٢٣)﴾	١٣٩
٩٥.	﴿قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ ....(٢٦)﴾.	١٥٨
٩٦.	﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا ....(٣٠)﴾.	١٣٩
٩٧.	﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا ....(٣١)﴾.	١٥٩
٩٨.	﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ (٣٢)﴾	١٦٠
٩٩.	﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ (٣٥)﴾.	١٣٨
١٠٠.	﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ ....(٣٦)﴾.	١٦٠
١٠١.	﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ .... (٣٩)﴾.	١٦١
١٠٢.	﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ ....﴾.	١٦١٣
١٠٣.	﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ ....(٤٣)﴾.	١٣٥

١٠٤.	﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾﴾	٥٢
١٠٥.	﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ .... ﴿٥١﴾﴾.	١٣٩
١٠٦.	﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ ....إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾.	١١٦
١٠٧.	﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾	٢٢١
١٠٨.	﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ﴾.	٢٩
	سورة الرعد	
١٠٩.	﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ ....﴿٣٠﴾﴾.	٦٧
	سورة إبراهيم	
١١٠.	﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ ....﴾.	٣٣
١١١.	﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ﴿٤﴾﴾.	١١٣
١١٢.	﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ ....﴿٣٧﴾﴾.	١١٤
	سورة الحجر	
١١٣.	﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾.	١٥٢
١١٤.	﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾.	١٠٤
١١٥.	﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾﴾.	٩٧
	سورة النحل	
١١٦.	﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ﴿٣٥﴾﴾	٧٢
١١٧.	﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ....﴿٣٦﴾﴾.	١٨
١١٨.	﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ....﴿٦٣﴾﴾.	٦٥
١١٩.	﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ ....﴿٨٤﴾﴾.	٧٧
١٢٠.	﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ....﴿٨٩﴾﴾.	٧٨
١٢١.	﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ....ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾	٢٧
١٢٢.	﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً .... ﴿٩٣﴾﴾.	٥٩

١٢٣.	﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ....﴾.	٣٦
١٢٤.	﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ ....(١٢٥)﴾.	١٧
سورة الإسراء		
١٢٥.	﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾.	١١
١٢٦.	﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾.	٥٠
١٢٧.	﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾.	٧٠
سورة الكهف		
١٢٨.	﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ ....(٦)﴾.	٢٢
١٢٩.	﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ .... (١٠) ﴾	١٩٥
١٣٠.	﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ﴾	١٩٦
١٣١.	﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ....أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا (١٢)﴾.	١٩٤
١٣٢.	﴿رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ .... (١٤)﴾.	١٩٦
١٣٣.	﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ ....أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤)﴾ .	١٩٨
١٣٤.	﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ....لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا (٣٦)﴾	١٩٩
١٣٥.	﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ ....فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) ﴾	٢٠٠
١٣٦.	﴿وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ ﴾ .	٢٠٠
١٣٧.	﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ ....﴾.	٢
١٣٨.	﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ....(٥٦) ﴾	٣٦
١٣٩.	﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ .... سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا (٦٢)﴾ .	١٢٤
١٤٠.	﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ ....﴾.	١٢٥
١٤١.	﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا ....(٦٥)﴾.	١٢١
١٤٢.	﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ ....فَأَتْبَعَ سَبَبًا (٨٥)﴾.	١٣١
١٤٣.	﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ ....(٩٨)﴾.	١٣٤

سورة مريم		
١٤٤.	﴿يَـٰٓأُخۡتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴿٢٨﴾﴾.	١٨٧
١٤٥.	﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَا﴾.	١٧٢
١٤٦.	﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا .... عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ﴿٧٨﴾﴾.	٢٢٧
١٤٧.	﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأۡتِينَا فَرۡدٗا ﴿٨٠﴾﴾	٢٢٨
سورة طه		
١٤٨.	﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ ....وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾.	١٦٣
١٤٩.	﴿ إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ.... ﴿٤٠﴾﴾.	١٦٤
١٥٠.	﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴿٦٥﴾﴾.	١٧٩
١٥١.	﴿فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ ....وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾	١٨٠
١٥٢.	﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ .... مِنَ ٱلسِّحۡرِۖ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾.	١٨١
١٥٣.	﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ ....فَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾.	١٨١
١٥٤.	﴿قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾﴾.	١٧٥
١٥٥.	﴿.... أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾﴾.	١٧٥
١٥٦.	﴿ قَالَ فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾﴾.	١٧٥
١٥٧.	﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ﴾.	٣٦
١٥٨.	﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾.	٣٦
١٥٩.	﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا﴾.	٢١
١٦٠.	﴿ وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ مِّن قَبۡلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا ....﴾.	٣٤
سورة الأنبياء		
١٦١.	﴿وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ ....جَعَلۡنَٰهُمۡ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾﴾.	٣٥
١٦٢.	﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ ....﴿٢٥﴾﴾.	١٨
١٦٣.	﴿ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾.	٩٩

١٦٤.	﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ....(٧٤)﴾.	١٠١
١٦٥.	﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ....(٩١)﴾.	١٨٩
١٦٦.	﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾.	٧٠
١٦٧.	﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٨)﴾	٣٥
سورة الحج		
١٦٨.	﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ ....(٣٤)﴾.	٧٥
١٦٩.	﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ ....فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٤)﴾.	١٠٤
١٧٠.	﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ ....(٦٧)﴾.	٧٦
١٧١.	﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ ....﴾.	٨٦
سورة المؤمنون		
١٧٢.	﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٣٧)﴾.	٩٦
١٧٣.	﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا .... (٤٤)﴾.	٦٧
١٧٤.	﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ....(٥٠)﴾.	١٩٠
سورة النور		
١٧٥.	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ ....(١١)﴾.	٢١١
١٧٦.	﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٧)﴾.	٢٧
١٧٧.	﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٢٠)﴾.	٢١١
١٧٨.	﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ .... (٢٢)﴾.	٢٠٩
١٧٩.	﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ .... (٥٥)﴾.	٣٦
سورة الفرقان		
١٨٠.	﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا (١)﴾.	٢٣
١٨١.	﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧)﴾.	٢٣١
١٨٢.	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ (٦٠)﴾	٧٠

سورة الشعراء		
١٨٣.	﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ ....لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾﴾.	٩٦
١٨٤.	﴿وَاتَّقُواْ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ .... وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾﴾.	٩٥
١٨٥.	﴿أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ....وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾﴾.	٩٨
١٨٦.	﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾.	١١٤
سورة النمل		
١٨٧.	﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ ....﴿٧﴾﴾.	١٧٤
١٨٨.	﴿إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ .... فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾.	١٤٧
١٨٩.	﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُآ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾.	١٤٨
١٩٠.	﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُواْ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾.	١٤٨
١٩١.	﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُآ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا ....﴿٣٢﴾﴾.	١٤٨
١٩٢.	﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ ....﴾.	١٨٣
١٩٣.	﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ ....﴾.	١٨٤
١٩٤.	﴿قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾﴾.	١٨٥
١٩٥.	﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ....﴾.	١٨٥
١٩٦.	﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾﴾	١٨٥
١٩٧.	﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ....﴾.	١٨٦
١٩٨.	﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ....﴿٤٨﴾﴾.	٩٨
١٩٩.	﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ ....﴿٤٩﴾﴾.	٩٨
٢٠٠.	﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا ....وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾﴾.	١٥٥
٢٠١.	﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾.	١٥٢
٢٠٢.	﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ .... ﴿٨٣﴾﴾.	٨١
٢٠٣.	﴿قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْمًا ....﴿٨٤﴾﴾.	٨٢

سورة القصص		
٢٠٤.	﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ....﴿٦﴾﴾.	١٤٢
٢٠٥.	﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ .... أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾	١٦٤
٢٠٦.	﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ ....﴿١٠﴾﴾.	١٦٤
٢٠٧.	﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ ....﴿١١﴾﴾.	١٦٥
٢٠٨.	﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾﴾.	١٦٤
٢٠٩.	﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا ....﴿١٥﴾﴾.	١٦٦
٢١٠.	﴿فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسْتَنصَرَهُۥ ....﴿١٨﴾﴾.	١٦٨
٢١١.	﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ﴾.	١٦٧
٢١٢.	﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ....﴿٢٠﴾﴾.	١٧٠
٢١٣.	﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ.... ﴿٢٣﴾﴾.	١٧١
٢١٤.	﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾.	١٦٥
٢١٥.	﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ .... وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾.	١٧١
٢١٦.	﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ....﴿٢٩﴾﴾.	١٧٤
٢١٧.	﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ ....﴿٣٨﴾﴾.	١٤٢
٢١٨.	﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ....﴿٥٦﴾﴾.	٢٢١
٢١٩.	﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ....﴿٧٥﴾﴾.	٨٠
٢٢٠.	﴿۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ ....لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾.	١٤٣
٢٢١.	﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.	٢٣
سورة العنكبوت		
٢٢٢.	﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ .... إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾.	١٠٠
٢٢٣.	﴿وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى .... ﴿١٨﴾﴾.	٦٦
٢٢٤.	﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ ....﴿٢٤﴾﴾.	١٠٠

٢٢٥.	﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ....وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾	١٠٦
٢٢٦.	﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ .... إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾.	١٠١
٢٢٧.	﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ ....﴿٣٢﴾ ﴾.	١٥٢
٢٢٨.	﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾.	١٥٣
٢٢٩.	﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ ....﴿٣٩﴾ ﴾.	١٤٢
	سورة الروم	
٢٣٠.	﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ ....﴾.	٣٧
	سورة لقمان	
٢٣١.	﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ....فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾.	٢٣٤
٢٣٢.	﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ .... لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾.	١٢٦
	سورة الأحزاب	
٢٣٣.	﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ .... وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ﴾.	٢١٧
٢٣٤.	﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ....﴿٣٧﴾ ﴾.	٢١٦
٢٣٥.	﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ....﴿٤٠﴾ ﴾.	٢١٧
٢٣٦.	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ....﴿٥٠﴾ ﴾.	٢٢٠
٢٣٧.	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ ....إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾	١
	سورة سبأ	
٢٣٨.	﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾.	٢٣
٢٣٩.	﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ﴾.	٢٧
	سورة فاطر	
٢٤٠.	﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾.	٧٥
	سورة يس	
٢٤١.	﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ ....بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾.	١٢٧

٢٤٢.	﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ ....وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾.	٢٠١
٢٤٣.	﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ ....كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾.	٢٣٠
سورة الصافات		
٢٤٤.	﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾.	٨١
سورة ص		
٢٤٥.	﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا ....إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ ﴾.	١٨
٢٤٦.	﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ .... فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ ﴾.	١٠٥
٢٤٧.	﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾.	٢٥
٢٤٨.	﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴾.	٤٠
٢٤٩.	﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ﴾.	٣٩
٢٥٠.	﴿ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾.	٤
سورة الزمر		
٢٥١.	﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ .... مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ ﴾.	١٨
٢٥٢.	﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ ....مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾.	٣٥
سورة غافر		
٢٥٣.	﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ .... ﴿٥﴾ ﴾.	٦٨
٢٥٤.	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ ﴾.	١٤٤
٢٥٥.	﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ ....﴿٢٤﴾ ﴾.	١٤٢
٢٥٦.	﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥ ۖ .... ﴿٢٦﴾ ﴾.	١٨٣
٢٥٧.	﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ .... ﴿٢٨﴾ ﴾.	١٨٢
٢٥٨.	﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ .... ﴿٣٠﴾ ﴾.	١٨٢
٢٥٩.	﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾ ﴾.	١٤٢
٢٦٠.	﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ .... ﴿٣٨﴾ ﴾.	١٨٢
٢٦١.	﴿ ....قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴾	٣٥

سورة فصلت		
٢٦٢.	﴿وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾.	٣٧
٢٦٣.	﴿فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ ....١٥﴾.	٩٦
٢٦٤.	﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ ....١٦﴾.	٩٧
٢٦٥.	﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ....١٧﴾.	٩٨
٢٦٦.	﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي ....وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ٥٠﴾	١٩٩
سورة الشورى		
٢٦٧.	﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُدۡخِلُ ....٨﴾.	٦٠
٢٦٨.	﴿إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ﴾.	٣٥
سورة الزخرف		
٢٦٩.	﴿بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم ....٢٢﴾.	٥٢
٢٧٠.	﴿وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ لَّجَعَلۡنَا ....٣٣﴾.	٦٢
٢٧١.	﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ٤٤﴾.	١١٥
٢٧٢.	﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ﴾.	١٨٠
٢٧٣.	﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا ....بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ٥٨﴾.	١١٥
سورة الدخان		
٢٧٤.	﴿أَهُمۡ خَيۡرٌ أَمۡ قَوۡمُ تُبَّعٖ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡۖ ....٣٧﴾.	١١٢
٢٧٥.	﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ٤٩﴾.	٢٢٥
سورة الجاثية		
٢٧٦.	﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗۚ كُلُّ أُمَّةٖ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ ....مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٩﴾.	٨٢
سورة الأحقاف		
٢٧٧.	﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ....٢١﴾.	٩٥
٢٧٨.	﴿يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم ....٣١﴾	١٥

سورة الفتح		
٢٧٩.	﴿لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ....(٩)﴾.	٢٠٨
سورة الحجرات		
٢٨٠.	﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ....(٧)﴾.	٧٢
سورة ق		
٢٨١.	﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ ....فَحَقَّ وَعِيدِ (١٤)﴾.	١١٢
٢٨٢.	﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ .... أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (٢٤)﴾	١٠١
سورة الذاريات		
٢٨٣.	﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.	٣٢
سورة القمر		
٢٨٤.	﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ .... عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢)﴾.	٩٤
سورة الرحمن		
٢٨٥.	﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ (٢٢)﴾.	١٢٥
سورة الواقعة		
٢٨٦.	﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ (٥٣)﴾.	٢٣٠
سورة الحديد		
٢٨٧.	﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾.	٥٩
٢٨٨.	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ .... ﴾.	١٠٦
سورة الحشر		
٢٨٩.	﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ ....(٩)﴾.	٢٠٥
٢٩٠.	﴿....وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ (٨)﴾.	٢٠٥
سورة الصف		
٢٩١.	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ .... أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣)﴾.	٢١
٢٩٢.	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ....(١٤)﴾.	١٠٩

سورة الجمعة		
٢٩٣.	﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ .... ﴿٢﴾﴾.	١٧
٢٩٤.	﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ .... ﴿٦﴾﴾.	١٠٦
سورة المنافقون		
٢٩٥.	﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ .... ﴿٧﴾﴾.	٢٣٩
سورة التحريم		
٢٩٦.	﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ .... ﴿١﴾﴾.	٢١٢
٢٩٧.	﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ .... ﴿٣﴾﴾.	٢١٤
٢٩٨.	﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَـٰهَرَا عَلَيْهِ .... ﴿٤﴾﴾.	٢١٤
٢٩٩.	﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ ....﴿١٠﴾﴾.	١٥١
٣٠٠.	﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ .... ﴿١١﴾﴾.	١٧٦
٣٠١.	﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَانَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ .... ﴿١٢﴾﴾.	١٨٧
سورة الملك		
٣٠٢.	﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ ....فَسُحْقًا لِّأَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾.	٣٥
سورة القلم		
٣٠٣.	﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ ....سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾.	٢٣٥
٣٠٤.	﴿إِنَّا بَلَوْنَـٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ .... فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾	٢٠٣
٣٠٥.	﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾.	٨٨
سورة المدثر		
٣٠٦.	﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾﴾.	٢٣٦
٣٠٧.	﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾﴾	٢٣٦
٣٠٨.	﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾﴾	٢٣
٣٠٩.	﴿لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾﴾	٢٣٧

سورة القيامة		
٣١٠.	﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾.	١٠
٣١١.	﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾.	٢٢٥
سورة النبأ		
٣١٢.	﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾.	٨٠
سورة النازعات		
٣١٣.	﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾.	١٨٠
سورة التكوير		
٣١٤.	﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾﴾.	٨١
سورة المطففين		
٣١٥.	﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾﴾	١٩٥
سورة الغاشية		
٣١٦.	﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾.	٣٥
سورة الفجر		
٣١٧.	﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾﴾.	٩٦
سورة الشمس		
٣١٨.	﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾.	٣٦
سورة الليل		
٣١٩.	﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ .... وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾.	٢١٠
سورة العلق		
٣٢٠.	﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ .... كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾.	٢٢٦
سورة العصر		

٣٢١.	﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ ....﴾.	٢١
سورة قريش		
٣٢٢.	﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١....وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ۝٤﴾.	١١٤
سورة الكوثر		
٣٢٣.	﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣﴾.	٢٢٨
سورة المسد		
٣٢٤.	﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۝١....حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ۝٥﴾.	١١٤

فهرس الأحاديث النبوية:

متن الحديث	درجة الحديث	الراوي	رقم الصفحة
كنت وأنا في الجاهلية، أظن أن الناس ...	صحيح	عمرو بن عنبسة السلمي	١٩
يجاء بالرجل يوم القيامة ...	صحيح	أسامة بن زيد	٢١
إنك تأتي قوما أهل كتاب ...	صحيح	معاذ بن جبل	٣٠
رأيت رسول الله بصر عيني...	حسن	ربيعة بن عباد الديلي	٣٣
لا أحد أحب إليه العذر من الله	صحيح	ابن مسعود	٣٤
نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ...	صحيح	أبو هريرة	٥٧
قال لي رسول الله اقرأ علي القرآن، ...	صحيح	عبد الله بن مسعود	٧٩
من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ...	صحيح	أبو هريرة	٨٤
والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ...	حسن	حذيفة بن اليمان	٨٥
إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على ...	حسن	أبو عامر عبد الله بن لحي	٨٥
يجاء بنوح يوم القيامة، فيقال له: هل بلغت؟...	صحيح	أبو سعيد الخدري	٨٨
أنتم توفون سبعين أمة، أنتم خيرها ...	حسن	أبو هريرة	٩٠
يأتي النبي معه الرهط ...	صحيح	ابن عباس	٨٠
إنما سمي خضرا لأنه جلس على فروةبيضاء ...	صحيح	أبو هريرة	١٢٢
خير نسائها مريم بنت عمران ...	صحيح	علي بن أبي طالب	١٨٩
كمل من الرجال كثير ...	صحيح		١٧٧
أن النبي صلى الله عليه وسلم سحر...	صحيح		١٧٨
ما أنعم الله على عبد نعمة من أهل ...	صحيح	أنس بن مالك	٢٠٠
كان النبي صلى الله عليه وسلم يشرب عسلا...	صحيح	عائشة رضي الله عنها	٢١٣
إن تطعنوا في إمارته ...	صحيح	عبد الله بن عمر	٢١٥
ما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا	صحيح	عائشة رضي الله عنها	٢١٥

لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ...	صحيح	المسيب بن حزن	٢٢٢
لما نزلت (وأنذر عشيرتك الأقربين) ...	صحيح	ابن عباس رضي الله عنهما	٢٢٣
قال أبو جهل: لئن رأيت محمدا يصلي ...	صحيح	ابن عباس	٢٢٧
لما توفي عبد الله بن ابي بن سلول ...	صحيح	ابن عمر	٢٣٨
كنت مع عمي فسمعت عبد الله بن أبي بن سلول يقول	صحيح	زيد بن أرقم	٢٣٩

فهرس الأعلام المترجم لهم:

م	العلم	الصفحة
١.	أمية بن خلف	٢٣٢
٢.	أم جميل	٢٢٣
٣.	خباب بن الأرت	٢٢٨
٤.	ربيعة بن عباد	٣٣
٥.	زيد بن أرقم	٢٣٩
٦.	زيد بن أسلم	٥٧
٧.	زينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم	١٣٢
٨.	السدي	٧٦
٩.	أم شريك	٢٢٠
١٠.	صفوان بن المعطل	٢١٢
١١.	الضحاك	٧٦
١٢.	ابن عاشور	٦٩
١٣.	عبد الرحمن بن زيد	٥٧
١٤.	عبد الله بن كثير	١١
١٥.	عبد الله بن لحي	٨٥
١٦.	عبد مناف	٢٢٧
١٧.	عبد المطلب	٢٢٧
١٨.	أم عطية	١٣٢

١٩.	عقبة بن عامر	١٣٣
٢٠.	علي بن أبي طلحة	٧٠
٢١.	عمرو بن عنبسة	١٩
٢٢.	قصي بن كلاب	١١٣
٢٣.	مارية القبطية	٢١٣
٢٤.	محمد بن إسحاق	١١٩
٢٥.	مسطح بن أثاثة	٢٠٩
٢٦.	المسيب بن حزن	٢٢٢

فهرس البلدان والأماكن

م	اسم المكان والبلد	رقم الصفحة
١	الأحقاف	٩٥
٢	الحجر	٩٧
٣	سدوم	١٠١
٤	سوق ذي المجاز	٣٣
٥	معان	١٠٢
٦	موآب	١٠٢

فهرس المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم.

٢. أحمد بدر، **أصول البحث العلمي ومناهجه**، ط١، (الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٨٢/٦ م).

٣. الأصفهاني، أبو القاسم، الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب، **مفردات ألفاظ القرآن**، ط١، (دمشق: دار القلم، د.ت).

٤. آل عرعور، عدنان بن محمد، **منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر**، ط١، (د.م: د.ن، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).

٥. إبراهيم، مصطفى، والزيات، أحمد، وعبد القادر، حامد، والنجار، محمد، **المعجم الوسيط**، تحقيق: مجمع اللغة العربية، ط١، (د.م: دار الدعوة، د.ت).

٦. إمام، إبراهيم، **العلاقات العامة والمجتمع**، د.ط، (القاهرة: مكتبة الأنجلو، ١٩٨١م).

٧. إميل، يعقوب، **قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية**، ط١، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م).

٨. بدري، محمد محمد، **إعانة الربان للمقالات الدعوية** في مجلة البيان، د. ع.

٩. البخاري، محمد بن إسماعيل، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه** = صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، (د.م: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ) .

١٠. البر، محمد موسى، **الإعلام الإسلامي** (دراسة في المفاهيم والأصول والخصائص)، ط١، (د.م: د.ن، د.ت).

١١. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل في تفسير القرآن** = تفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠ هـ).

١٢. البيانوني، محمد أبو الفتوح، **المدخل إلى علم الدعوة**، ط١، (د.م: د.ن، د.ت).
١٣. التركي، عبد الله بن عبد المحسن وزملاؤه، **التفسير الميسر**، ط٢، (السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م).
١٤. ابن تيمية، أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم الحراني، **مجموع الفتاوى**، تحقيق: أنور الباز - عامر الجزار، ط٣، (د.م: دار الوفاء ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م).
١٥. الجابري، الدكتور سيف بن راشد، **التعبير عن الرأي بعد التعديل**، الدورة التاسعة عشرة، إمارة الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة.
١٦. الجامعة الإسلامية، **مجلة الجامعة الإسلامية**، بالمدينة المنورة، العدد: ٦٣-٦٤.
١٧. ابن الجوزي، أبو الفرج، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد، **زاد المسير في علم التفسير**، ط٣، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٤).
١٨. الجوهري، إسماعيل بن حماد، **الصحاح؛ تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق محمد زكريا يوسف، ط٤، (بيروت: دار العلم للملايين، يناير، ١٩٩٠).
١٩. ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر، أبو الفضل، العسقلاني، **فتح الباري، شرح صحيح البخاري**، (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩).
٢٠. ابن حجر، أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، ط١، (الهند، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م).
٢١. الحربي، فرحان بدري، **الأسلوبية في النقد العربي الحديث** (دراسة في تحليل الخطاب)، ط١، (بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ٢٠٠٣).
٢٢. الحاطي، يوسف بن عبد الله، **العناية بالقرآن الكريم في العهد النبوي الشريف**، ط١، (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، د.ت).
٢٣. الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).

٢٤. الحسني، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الإدريسي، **البحر المديد**، ط٢، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢ م. ١٤٢٣ هـ).

٢٥. الحسيني، محمد بن محمد، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: مجموعة من المحققين، ط١، (بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت).

٢٦. الحكمي، حافظ بن أحمد، **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول**، تحقيق عمر بن محمود أبو عمر، ط١، (الدمام: دار ابن القيم، ١٤١٠/١٩٩٠).

٢٧. ابن حنبل، أبو عبد الله، أحمد بن محمد بن هلال بن أسد الشيباني، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، (القاهرة: دار الحديث، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م).

٢٨. ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني، **مسند أحمد**، ط١، (بيروت: الرسالة، د.ت).

٢٩. الخلف، سعود بن عبد العزيز، **دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية**، ط٤، (الرياض: مكتبة أضواء السلف، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).

٣٠. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، **تذكرة الحفاظ**، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م).

٣١. الذهبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، ط٣، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م).

٣٢. الذهبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن عثمان، **سير أعلام النبلاء**، ط٢، (القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).

٣٣. رابطة العالم الإسلامي، **تاريخ القرآن الكريم، سلسلة دعوة الحق**، السنة الثانية، ١٤٠٢هـ.

٣٤. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م).

٣٥. الرازي، محمد بن أبي بكر، **مختار الصحاح**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط٥، (بيروت: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م).

٣٦. الراغب، الحسين بن محمد الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط١، (دمشق، بيروت: دار القلم، الدار الشامية، ١٤١٢ هـ).

٣٧. الربيعة، عبد العزيز، **البحث العلمي: حقيقته، مصادرته، مادته، مناهجه**، ط٢، (الرياض، سنة ١٤٢٠هـ).

٣٨. الرحيلي، حمود أحمد فرج، **منهج القرآن في دعوة أهل الكتاب**، رسالة ماجستير، كلية الدعوة، الجامعة الإسلامية، المدينة النبوية.

٣٩. الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، **جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين**، ط١، (د.م: د.ن، د.ت).

٤٠. الرومي، ياقوت بن عبد الله الحموي، **معجم البلدان**، ط٢، (بيروت: دار صادر، ١٩٩٥ م).

٤١. الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ط٢، (دمشق: دار الفكر المعاصر، ١٤١٨ هـ).

٤٢. الزرقاني، محمد عبد العظيم، **مناهل القرآن** في علوم القرآن، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات، ط١، (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٦م).

٤٣. الزركلي، خير الدين بن محمود الدمشقي، **الأعلام**، ط١٥، (د.م: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢ م).

٤٤. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ط١، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م).

٤٥. سليم، محمد أمين، **بنو إسرائيل في ضوء الإسلام**، ط٣، (المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ١٣٩٥هـ – يناير ١٩٧٥م).

٤٦. سيلا، سعيد محمد بابا، **أسباب هلاك الأمم السالفة**، ط١، (بريطانيا: دار الحكمة، ١٤٢٠هـ. ٢٠٠٠م).
٤٧. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، د.ط، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م).
٤٨. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **الديباج على مسلم**، تحقيق وتعليق: أبي إسحاق الحويني الاثري، ط١، (د.م: دار ابن عفان، د.ت).
٤٩. الشاطبي، القاسم بن فيره بن خلف، **حرز الأماني ووجه التهاني**، ط١، (بيروت: دار الكتاب النفيس، ١٤٠٧).
٥٠. الشحود، علي بن نايف، **الخلاصة في فقه الدعوة**، ط١، (ماليزيا: دار المعمور، ١٤٣٠هـ -٢٠٠٩ م).
٥١. الشحود، علي بن نايف، **موسوعة الدين النصيحة**، ط١، (د.م: د.ن، د.ت).
٥٢. الشحود، علي بن نايف، **موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة**، ط١، (د.م: د.ن، د.ت).
٥٣. الشرقاوي، أحمد محمد، **الحوار القرآني في ضوء سورة الأنعام**، بحث مقدم إلى المؤتمر العالمي، جامعة الأزهر وجامعة القصيم، ١٤٢٨هـ.
٥٤. الشريم، سعود بن إبراهيم، **النظم الحبير في علوم القرآن وأصول التفسير**، ط١، (د.م: د.ن، د.ت).
٥٥. الصابوني، محمد علي، **التبيان في علوم القرآن**، ط١، (د.م: مكتبة الغزالي، د.ت).
٥٦. الصالح، صبحي، **مباحث في علوم القرآن**، ط١٦، (بيروت: دار العلم للملايين، د.ت).
٥٧. الصغير، فالح بن محمد بن فالح، **مثل ما بعثني الله**،ط١، (د.م: د.ن، د.ت).
٥٨. الطالقاني، إسماعيل ابن عباد، **المحيط في اللغة**، تحقيق محمد حسن آل ياسين، ط١، (بيروت: عالم الكتب، ١٤١٤هـ -١٩٩٤ م).

٥٩. الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط١، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م).

٦٠. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر، **تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك**، ط٢، (دار التراث - بيروت- ١٣٨٧ هـ).

٦١. الطحاوي، أبو جعفر الوراق، **العقيدة الطحاوية**، ط١، (د.م: د.ن، د.ت).

٦٢. ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، ط١، (بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، ١٤٢٠هـ٢٠٠٠م).

٦٣. ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، **التحرير والتنوير**، «**تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**»، ط١، (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م).

٦٤. عبد الحليم محمود، **فتاوى عبد الحليم محمود**، ط١، (د.م: د.ن، د.ت).

٦٥. عبد الرحمن، إسماعيل محمد علي، **تبصير المفكرين بحوار القرآن مع المشركين**، بحث مقدم إلى مؤتمر الحوار مع الآخر في الفكر الإسلامي، (٢٨-٣٠ ربيع الأول ١٤٢٨هـ ٦ - ٢٠٠٧/٤/٨م).

٦٦. عبد القادر، محمد، **دور الإعلام في التنمية**، ط١، (د.م: وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٢م).

٦٧. عبد اللطيف، رشاد أحمد، **تنمية المجتمع وقضايا العالم التربوية**، ط١، (د.م: دار المعرفة الجامعية د.ت).

٦٨. العثيمين، محمد بن صالح، **شرح المنظومة البيقونية في مصطلح الحديث**، دراسة وتحقيق: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، ط٢ (د.م: دار الثريا للنشر، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م).

٦٩. العدناني، محمد، **معجم الأخطاء الشائعة**، ط٢، (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٠م).

٧٠. علي، جواد، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ط٤، (د.م: دار الساقي، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).
٧١. العودة، **دروس للشيخ سلمان العودة**، ط١، (د.م: د.ن، د.ت)..
٧٢. عويضة، أبو رحمة، محمد نصر الدين محمد، **فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب**، ط١، (د.م: د.ن، د.ت).
٧٣. العيد، سليمان بن قاسم، **دعوة الأقربين في القرآن الكريم**، ط١، (الرياض: جامعة الملك سعود، د.ت).
٧٤. العنزي، عزيز بن فرحان، **البصيرة في الدعوة إلى الله**، ط١، (أبو ظبي: دار الإمام مالك، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م).
٧٥. غرايبة، إبراهيم، **موسوعة البحوث والمقالات العلمية في الخطاب الإعلامي للعمل الإسلامي**، ١٤٢٤/٨/١٧، ٢٠٠٣/١٠/١٣. من الانترنت.
٧٦. الغزي، محمد بن محمد بن محمد، **إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن**، تحقيق: خليل محمد العربي، ط١، (القاهرة: الفاروق الحديثة، ١٤١٥هـ).
٧٧. غلوش، أحمد أحمد، **دعوة الرسل**، ط١، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م).
٧٨. فائز، عبد القادر، **إغاثة الطالب بتراجم القراء**، ط١، (د.م: د.ن، د.ت).
٧٩. ابن فارس، أبو الحسين، أحمد بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط١، (د.م: دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م).
٨٠. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد، **كتاب العين**، تحقيق: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، ط١، (د.م: دار ومكتبة الهلال، د.ت) .
٨١. الفيروز آبادي، أبو طاهر، محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، ط٨، (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م).
٨٢. القاري، علي بن سلطان محمد، **موسوعة الرد على الصوفية**، ط١، (د.م: د.ن، د.ت).

٨٣. القاري، الملا علي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب العمري التبريزي، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ط١، (د.م: د.ن، د.ت).

٨٤. القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، **قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث**، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).

٨٥. القحطاني، خالد، الأخصائي النفسي من الانترنت، ١٩-١٢-٢٠١٠.

٨٦. القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥ هـ).

٨٧. القرطبي، عريب بن سعد، **صلة تاريخ الطبري**، ط١، (بيروت: منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، د.ت).

٨٨. ابن قرقول، **مشكل الصحيحين**، أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف الحمزي، تحقيق: الدكتور جميل عبد الله عويضة، ط١، (د.م: د.ن، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م).

٨٩. القطان، مناع خليل، **مباحث في علوم القرآن**، ط١، (د.م: مكتبة وهبة، د.ت).

٩٠. القشطة، محمد نزار، الإتقان في تعليم أحكام القرآن الكريم، ط١، (دمشق، د.ت).

٩١. ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).

٩٢. ابن قيم، محمد بن أبي بكر، الجوزية، **تفسير القرآن الكريم**، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، ط١، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤١٠ هـ).

٩٣. القلموني، محمد رشيد بن علي رضا، **تفسير القرآن الحكيم**، (**تفسير المنار**)، ط١، (مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م).

٩٤. ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر، الدمشقي، **البداية والنهاية**، تحقيق: علي شيري، ط١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨ م).
٩٥. ابن كثير، إسماعيل الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط٢، (د.م: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ /١٩٩٩م).
٩٦. ابن كثير، إسماعيل الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: محمود حسن، ط١، (د.م: دار الفكر، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م).
٩٧. ابن كثير، إسماعيل الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: مصطفى السيد، ط١، (الجيزة: مؤسسة قرطبة + مكتبة أولاد الشيخ للتراث، ١٤١٢هـ/ ٢٠٠٠م).
٩٨. ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي، **قصص الأنبياء**، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، ط١، (القاهرة: مطبعة دار التأليف، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م).
٩٩. كحيل، عبد الوهاب، **الأسس العلمية والتطبيقية للإعلام الإسلامي**، ط١، (بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٥م).
١٠٠. الكفومي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، **الكليات**، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، ط١، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).
١٠١. الكيالي: عبد الوهاب، **موسوعة السياسة**، ط١، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٣).
١٠٢. لجنة من علماء الأزهر، **تفسير المنتخب**، ط١، (د.م: د.ن، د.ت).
١٠٣. المبارك، أحمد عبد العزيز، **أجهزة الإعلام ودورها في توجيه المجتمع**، ط١، (أبو ظبي: دائرة القضاء الشرعي، ١٩٧٧م).
١٠٤. المجيدي، عبد السلام، **تلقي النبي –صلى الله عليه وسلم– ألفاظ القرآن الكريم عن جبريل**، ط١، (د.م: د.ن، د.ت).
١٠٥. ابن المثنى، معمر، **مجاز القرآن**، أبو عبيدة، معمر، تحقيق : محمد فواد سزگين، ط١، (القاهرة: مكتبة الخانجى، د.ت).
١٠٦. محمد، عبد الكريم، **العلم والدعوة**، ط١، (د.م: د.ن، د.ت).

١٠٧. المسعودي، أبو الحسن على عبد الحسين، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ط١، (د.م: د.ن، د.ت).
١٠٨. مسلم، ابن الحجاج النيسابوري القشيري، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت).
١٠٩. المقدم، محمد إسماعيل، **أهداف الدعوة ومنطلقاتها**، ط١، (د.م: د.ن، د.ت).
١١٠. المنتدى الإسلامي، **مجلة البيان**، العدد١٤/٦٠.
١١١. ابن منظور، محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري، **لسان العرب**، ط٣، (بيروت: دار صادر، ١٤١٤ هـ).
١١٢. نخبة من العلماء، **أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة**، (السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢١هـ).
١١٣. الهاشمي، محمد بن حبيب، **المنمق في أخبار قريش**، تحقيق: خورشيد أحمد فاروق، ط١، (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥).
١١٤. الهروي، محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م).
١١٥. الهنداوي، د. فوزي هادي، **أثر الخطاب الإعلامي في القيم الاجتماعية**، جريدة الصباح- ٢٠-٦-٢٠٠٦.
١١٦. وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، **الموسوعة الفقهية الكويتية**، ط٢، (الكويت: دار السلاسل، ١٤٢٧ هـ).
١١٧. وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، **الموسوعة الفقهية الكويتية**، الكويت، ط١، (مصر: مطابع دار الصفوة، ١٤٠٤ - ١٤٢٧ هـ).

١١٨. يونس، محمد محمد، **وظائف الإعلام الإسلامي**، ورقة مقدمة إلى ندوة: "الإعلام الدولي وقضايا العالم الإسلامي"، (القاهرة: نوفمبر ١٩٩٨م).

مراجع شبكة الانترنت:

١. أحمد، هبة عبد المعز، **تحليل الخطاب الإعلامي**، مدارس تحليل الخطاب الإعلامي، من موقع النور، http://www.alnoor.se، استعرض بتاريخ: ٢٠١٤/٩/٢٩.

٢. حراس البوابة والخطاب الإعلامي، **المدونة السياسية**، http://aminhassanomer.blogspot.com استعرض بتاريخ: ٢٨/ ٢٠١٤/٧.

٣. شومان، محمد، **الخطاب الإعلامي، غموض المفهوم واختلاف أدوات التحليل**، موقع الهدى للثقافة والإعلام، www.al-hodaonline.com، استعرض بتاريخ: ٢٠١٤/٤/٠٢.

٤. فتحي، عادل محمد، **بحث في مناهج وطرق تدريس، حول تعريف المنهج**، كلية التربية، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، *adel.mater@mediu.edu.my*، استعرض *بتاريخ: ١٥/٢/ ٢٠١٤*.

٥. الكركوشي، عمران، **الخطاب الإعلامي في المرحلة القادمة**، من مركز الفرات، http://www.siironline.org، استعرض بتاريخ: ١١/٨/ ٢٠١٤.